▪ كيف نكتشف أطفالنا المبدعين؟ ▪ أين المفر؟ ▪ الإفراط في النشيد

مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن المنتدى الإسلامي

البيان
AL BAYAN

السنة الحادية والعشرون . العدد ٢٣٢ . ذوالحجة ١٤٢٧هـ . يناير ٢٠٠٧ م

▪ إمبراطورية المحافظين الجدد: البداية والنهاية

▪ الدعوة في الحج أمانة

فلسطين
تحت الحصار



Harper University Hospital

Abha Private Hospital

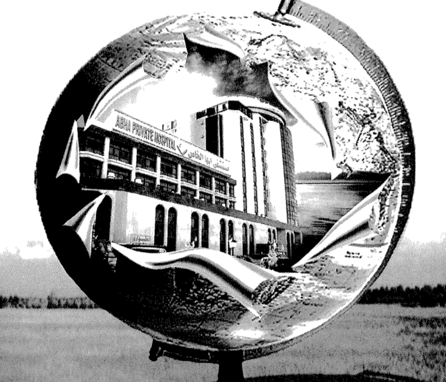
اتفاقية التعاون الطبي مع جامعة ماكجيل بكندا
ومركز ديترويت الطبي العالمي

توفير عناء السفر للخارج

زيارات أساتذة عالميين

ندوات - مؤتمرات - واستشارات طبية متخصصة

استشاريون سعوديون في كافة التخصصات الطبية
مجمع خاص ومتكامل للنساء
تجهيزات طبية حديثة





المملكة العربية السعودية - أبها - شمال الخطوط السعودية هاتف: ٢٢٩٢٢٢٢ فاكس: ٢٢٤٤٨٠١ ص ب: ١٧٩٤

موقعنا على الانترنت: www.aph.med.sa البريد الإلكتروني: info@aph.med.sa







المراسلات والإعلانات:

الدول العربية:

السعودية:

ص. ب ٢٦٩٧٠ الرياض: ١١٤٩٦.

هاتف الاشتراكات مباشر: ٢٢٥١٩٦٧

هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ ـ فاكس: ٤٥٣٢١٢١

للمراسلات عبر البريد الإلكتروني:

التحرير:
editors@albayan-magazine.com

الاشتراكات:
sub@albayan-magazine.com

التسويق:
sales@albayan-magazine.com

عنوان المجلة على الشبكة العالمية: www.albayan-magazine.com

الموزعون:

- **الأردن:** الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص. ب ٣٧٥ هاتف: ٥٣٥٨٨٥٥، فاكس: ٥٣٣٧٧٣٣.
- **الإمارات العربية المتحدة:** شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص. ب ٦٠٤٩٩، هاتف: ٣٩١٦٥٠١، فاكس ٢٦٦٦١٢٦.
- **سلطنة عُمان:** مؤسسة العطاء للتوزيع، ص.ب ٤٧٣ ـ العذيبة ١٣٠ ـ هاتف: ٢٤٤٩١٣٩٩ ـ فاكس: ٢٤٤٩٣٢٠٠.
- **البحرين:** مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ـ المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ ـ ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.
- **السعودية:** الشركة الوطنية للتوزيع: هاتف: ٤٨٧١٤١٤ ـ فاكس: ٤٨٧١٤٦٠.
- **السودان:** الخرطوم، دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع، هاتف ٧٩٣٢٨٣ - فاكس ٧٩٣٢٨٤ - ص.ب ١١١٦٦ الخرطوم.
- **قطر:** دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف: ٤٥٥٧٨١٠ - ٤٥٥٧٨١١ - ٤٥٥٧٨١٢ - فاكس: ٤٥٥٧٨١٩.
- **الكويت:** شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع: ص. ب: ٢٩١٢٦ ـ الكويت الرمز البريدي ١٣١٥٠ ـ هاتف: ٢٤٠٥٣٢١ ـ ٢٤١٧٨١٠ ـ فاكس: ٢٤٧٨٠٩.
- **المغرب:** سوشبرس للتوزيع، الدار البيضاء، ش جمال بن أحمد ص. ب ٣ ـ هاتف: ٤٠٠٢٢٣ ـ فاكس: ٢٤٦٢٤٩.
- **اليمن:** دار القدس للنشر والتوزيع، صنعاء: ص. ب ١١٧٧٦ الطريق الغربي أمام الجامعة القديمة، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ ـ فاكس: ٤٠٥١٣٥.

طبعت بمطابع الأهرام التجارية - ٦ اكتوبر

■ افتتاحية العدد

إمبراطورية المحافظين الجدد: البداية والنهاية — التحرير — ٤

■ دراسات في الشريعة والعقيدة

- دروس من الحج في زمن التغيير — محمد بن عبد الله الخطابي — ٨
- نماذج مضيئة في تحقيق عقيدة الولاء والبراء — خالد بن عبد المحسن التويجري — ١٢

■ قضايا دعوية

- كيف نحيي رسالة المسجد — شوقي عبد الله عبّاد — ١٦
- الشجاعة — محمد بن عبد الله السحيم — ٢٢

■ مع الدعاة

الدعوة في الحج أمانة — فيصل بن علي البعداني — ٢٨

■ دراسات تربوية

- التسيان في ضوء القرآن — توفيق علي مراد — ٣٠
- كيف نكتشف أطفالنا المبدعين؟ — أ. د. مصطفى رجب — ٣٦

■ تأملات تربوية

ما من نبي إلا رعى الغنم — محمد بن عبد الله الدويش — ٣٨

■ أفق أخضر

الانفتاح على مبادئ الحياة — د. عبد الكريم بكار — ٤٠

■ قصة قصيرة

الشافي — بسام الطعان — ٤٢

■ ملف العدد

- قراءة سياسية في الأسباب المحلية والإقليمية والدولية للهجمة على حماس — د. رائد نعيرات — ٤٦
- الحرب الأمريكية على الإسلام وموقع حماس منها — د. أسامة عبد الحكيم — ٥٠
- فصول المؤامرة: مخطط حركة فتح لإفشال حكم حماس! — إبراهيم أبو الهيجاء — ٥٤

الحسابات:

- **السعودية:** شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع الربوة ـ شارع الأربعين ـ حساب مجلة البيان رقم ٧/٢١٠٠
  - مصرف فيصل الإسلامي ـ حساب رقم: ٠٠٢ ـ ٤٥١٤ ـ ٤٢ ـ ١٠٩
  - الشركة الإسلامية للاستثمار الخليجي ـ حساب رقم ٦٣٤٩٢٤
- **الإمارات:** بنك دبي الإسلامي ـ (فرع دبي) رقم الحساب ٥٥٤٦٥٢٤
- **قطر:** بنك قطر الدولي الإسلامي رقم: ١١١١٠٠٥٤٢٣٠٠١

- الفلسطينيون تحت الحصار/ وضع الشعب الفلسطيني في ظل الأزمة السياسية — ٦٠
تحقيق: خبَّاب بن مروان الحمد
- لقاء مع الدكتور أسامة المزيني — ٦٦
- جدار الفصل العنصري في القدس — ٧٢
يوسف كامل إبراهيم

■ المسلمون والعالم
- التغلغل الصهيوني في العراق بات حقيقة — ٧٨
د. اكرم المشهداني
- الانتخابات النيابية والبلدية في موريتانيا — ٨٦
أحمد ولد محمد ذو النورين
- حسن الحكيم وعبد العزيز نصر الله! — ٨٩
أحمد فهمي
- أين المفر — ٩٠
د. يوسف بن صالح الصغير

■ مرصد الأحداث — ٩٢

■ نص شعري
هموم الأمة — ٩٨
يحيى بشير حاج يحيى

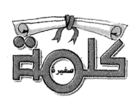
■ البيان أدبي
منظور لغوي للواقع السياسي — ٩٩
د. جمال الحسيني أبو فرحة

■ دراسات في السيرة والتاريخ
تاريخ الأندلس والدراسات الاستشراقية الإسبانية — ١٠٠
محمد السروتي

■ في دائرة الضوء
الفساد والصلاح الإداريان وأثرهما في ازدهار التنمية — ١٠٤
حامد محمد إدريس

■ الباب المفتوح
إن شاء الله أدب مع الله — ١٠٨
متعب العصيمي

■ الورقة الأخيرة
الإفراط في النشيد — ١١٠
د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف



عودة الحجاب

تعد حركات (تحرير!) المرأة من أقدم المشروعات العلمانية التغريبية في بلادنا الإسلامية. ولم تتعرض قضية من قضايا الأمة للتشويه والتلبيس كما تعرضت له قضية الحجاب.

لقد صور إعلامنا العربي الحجاب على أنه رمز من رموز التخلف الحضاري والانحطاط الثقافي، وارتفعت الأصوات التغريبية بكل حدة تسخر منه بكل ألوان السخرية والاستهزاء!

وبعد عقود متتابعة من ذلك الكيد والمكر: هل تخلّت المرأة المسلمة عن حجابها..؟

الواقع يحدثنا بأن عودة النساء إلى الحجاب أصبحت ظاهرة متصاعدة؛ ففي بلد مثل تونس يصنَّف الحجاب رسمياً على أنه (زي طائفي!) وتحاصَر المرأة المحجبة حصاراً مستفزاً في دوائر العمل والمؤسسات العامة، ومع ذلك فالحجاب هو السمَة السائدة في الشارع التونسي، ليس في الأرياف والمدن الصغيرة؛ بل في العاصمة والمدن الكبيرة..!

وعندما تتأمل تصريحات وزير الثقافة المصري الأخيرة بشأن الحجاب والمحجبات، تدرك يقيناً أنها تصريحات المحبَط الذي يرى الجهود التغريبية تتآكل كل ثمراتها، وتذبل بوضوح في الشارع المصري، وحسبك أن تنظر إلى ردود الفعل الغاضبة من كافة شرائح المجتمع المصري، التي أصبحت أكثر وعياً وإدراكاً بطبيعة تلك المعارك المفتعلة.

إنها بكل وضوح عودة صادقة للحجاب.

لقد وجدت المرأة المسلمة أن الحجاب ليس مجرد رمز تقليدي أو شعبي لا معنى له؛ بل هو رمز ديني تعتز به وتفخر.. وجدت فيه معنى العفة والكرامة.. إنه شعيرة لا تقبل المساومة أو المزايدة..!!

سعر العدد:

السعودية ١٠ ريالات — قطر ١٠ ريالات — الأردن ٧٥ قرشاً
الكويت ٨٠٠ فلس — اليمن ١٠٠ ريالاً — الإمارات العربية ١٠ دراهم
مصر ٤ جنيهات — السودان ٢٠٠ دينار — البحرين دينار واحد
المغرب ١٢ درهماً — سلطنة عُمان ٨٠٠ بيزة — فلسطين نصف دولار أمريكي

أوروبا وأمريكا ٢,٧٥ يورو أو ما يعادلهما

الاشتراكات:

السعودية ودول الخليج ١٢٠ ريال سعودي
بريطانيا وإيرلندا ٤٧ يورو
أوروبا ٥٥ يورو
البلاد العربية وإفريقيا ٤٥ يورو
أمريكا وبقية دول العالم ٥٥ يورو
المؤسسات الرسمية ٦٠ يورو



إمبراطورية المحافظين الجدد: البداية والنهاية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

قال الله - تعالى -: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]، وهذا ما يعنيه الله - جل وعلا - وهو يحذِّر أهل الكتاب مما فعله رجال دينهم من تحريف الكتب الإلهية المنزلة على أنبيائهم. فقد رأينا وقرأنا التحريف في كتبهم المقدسة في مختلف طبعاتها لا سيما وقد فضحهم العلماء والباحثون والمتخصصون في مقارنة الأديان. وبالاطلاع على كتاب العلاّمة (موريس بوكاي) المعنون بـ (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) يتضح للقارئ الكريم مصداق ذلك؛ حيث يرى التناقض والكذب وما لا يليق في حق الرسل والأنبياء.

والمحافظون الجدد هم أصلاً من المهاجرين الأوائل إلى أمريكا؛ إذ ينحدرون من (الأنجلو - ساكسون) القادمين من الجزيرة البريطانية (ويدينون) بالبروتستانتية، وتتالت بعدهم الهجرات الأوروبية الأخرى القادمة من ألمانيا وإيرلندا وإيطاليا وبولونيا، وسُموا بـ (التحالف العظيم). وجاءت بعدهم الهجرات اليهودية التي استطاع اليهود بتنظيمهم الداخلي وعصبيتهم، التي يصعب معها اندماجهم في المجتمع الجديد، وظلوا عنصراً متميزاً داخل هذا التحالف، وأبَوْا إلا أن يكون لهم فيها حصة.

والمحافظون الجدد ليسو جدداً إلا في إعادة ممارسة دورهم؛ فالفكر المحافظ هو لب القيم الأمريكية منذ تأسيس دولتهم؛ ولكن خلاياهم النائمة عادت للظهور المتطرف في برامجهم ومبادئهم(١).

ويُعَدُّ المحافظون الجدد أول جماعة صغيرة شكَّلها اليهود الليبراليون خلال عقدي السبعينيات والثمانينيات من القرن الميلادي الماضي، وقد لعبت عوامل كثيرة في تكوين الثقافة الأمريكية المؤثرة حقاً في سلوكهم؛ ومن هذه العوامل: التراث اليهودي والنصراني اللذان حملا الثقافة الغربية، ويعتبر اليمين النصراني المتطرف أساسها في أمريكا بمعظم فئاته؛ حيث يسود

(١) أمريكا المسيحيانية: تأليف (آلان فوشن) و (ادنيال هرشه)، بتصرف.

الأوساط البروتستانتية بصورة خاصة.

ويمكن تلخيص المبادئ الأساسية التي يؤمنون بها على النحو التالي:

١ ـ دعواهم عصمة الكتاب المقدس بعهديه: القديم والجديد!

٢ ـ اعتقادهم أن كل حرف كتبه مؤلفو (الكتاب المقدس) بجميع أسفاره هو وحي من الله أو من الروح القُدُس الذي حل فيهم كما يزعمون!

٣ ـ القراءة الحرفية للكتاب المقدس واعتقادهم دقة نبوءاته بكل تفاصيلها.

٤ ـ زعمهم تحقُّق جميع النبوءات على الأرض!

٥ ـ قولهم بحتمية الصراع بين قوى الخير (جيش المسيح) والمنتمين إليه! وقوى الشر وهم (جيش الشيطان) والمنتمون إليه، وانتصار قوى الخير في معركة هرمجدُّون كما يزعمون.

٦ ـ ربطهم المباشر بين يهود اليوم والدولة العبرية؛ ولذلك سُمي اليمين المتطرف بـ (النصارى المتصهينين)[١].

وانتشر فكر المحافظين الجدد في أمريكا بشكل خاص، وفي أوروبا كذلك، فلا يكاد يوجد بلد دون أن يكون فيه حزب للمحافظين، وهم الذين ناصروا الإدارة الأمريكية اليمينية في حروبها المجنونة ضد الإسلام والمسلمين فيما يسمى بـ (الحرب على الإرهاب) فانتكست أحزابهم بفشلها لمناصرتها تلك الحرب الغاشمة، وتساقُط رؤسائها سواء في أسبانيا أو إيطاليا؛ وبريطانيا ربما على الطريق.

ومن أبرز ما يتسم به أولئك المحافظون هو دعوة كل النصارى، وخاصة (البروتستانت) إلى دعم الدولة الصهيونية ليكونوا مهمين ـ بزعمهم ـ في ميزان الله، وليس ذلك حباً في اليهود؛ بل للاعتقاد بأن اليهود ستقوم دولتهم في أرض الميعاد (أي فلسطين) فهي مكان دولتهم الذي يعتقدونه محطة نزول المسيح ـ عليه السلام ـ في عودته الثانية[٢]. وهذه هي عقيدة (بوش) الذي جاء لأبوين متدينين (بوش الأب) و (باربارا بوش الأم) عام ١٩٣٦م، وانتقل به أبوه وهو صبي إلى (تكساس) التي أصبحت موطنه ومكان صعود نجمه السياسي؛ فهو في البداية لم يسر على خطى والديه المتدينين؛ بل كان مدمناً على الخمر ومتسبباً في إزعاج زوجته (لورا) التي كانت صاحبة الفضل في إقناعه بالكف عن الشراب والأخذ بيده إلى الكنيسة، ولكن الرجل الذي انتقل به نقلة جذرية من حياة الإدمان واللهو إلى حياة الأصولية هو القس (بيلي جراهام) الذي هو بمثابة شيخه، ويعتبر أبرز وجوه اليمين النصراني المتصهينين في أمريكا، وكان ابنه (فرانكلين) هو الذي قام بالصلوات في تدشين (رئاسة) بوش الابن لأمريكا.

فهل سُعار (بوش الابن) الديني هو مصدر قوته وطاقته؟ أم هو مصدر ضعفه وسوء تقديره للأمور؟ والأخير فيما نحسب هو الصحيح؛ وليس هذا رأي أعدائه ومنتقديه فقط؛ بل هو قول مساعديه ومقربيه. فقد ذكرت صحيفة (النيوزويك) أن مستشاري الرئيس يدركون ذلك، وكثير من المحافظين والدارسين يعتبرونه قد أعمته معتقداته المتطرفة وأفقدته بصيرته عن رؤية الآثار السلبية في غزوه للعراق في ٢٠ مارس ٢٠٠٣م، والتي سقط فيها آلاف المدنيين والعسكرين الأمريكيين، و (خطابات فخامته!) تذكِّر بخطابات المستعمرين في القرن الـ ١٩ وأوائل القرن العشرين عند حديثهم فيما يزعمونه عن مسؤولية (الرجل الأبيض) والهمّ الذي يحمله بين جنبيه، والعبء الملقى على عاتقه لنشر الحضارة وتمدين الشعوب المتوحشة!!

ويأخذ بعضهم على فخامته! نظرته التي تتسم بها رؤيته الشخصية والسياسية؛ فالكاتبة الأمريكية (دانا مليابانك) تشير إلى أن الحرب على العراق اعتبرها بوش سياحة؛ بينما سماها الكثيرون مغامرة كارثية، لكن بوش يعتبرها من واقع عقيدته (حتمية تاريخية). وقبل ذلك غزوه لأفغانستان وما لاقاه الجيش الأمريكي من قتل وإبادة؛ إلا أن إسقاطهم لإمارة طالبان لم يسقط معها تأثيرها في المجتمع الأفغاني، بل عادت للمقاومة من جديد وسامت الأمريكيين سوء العذاب، وبالرغم من ذلك فـ (الرئيس بوش) يعتبر قيادته لرئاسة أمريكا، بزعمه، أمراً إلهياً واختياراً ربانياً؛ كما جاء في (الواشنطن بوست) في ٢٩/٢/٢٠٠٢م، وتكرر ذلك كثيراً في غمرة حربه الإعلامية على الإرهاب، وهذا ما أسمته الكاتبة السابقة الذكر: «روح السذاجة التي تتسم بها خطاباته وقراراته» فضلاً عن اتهامه بالغباء وهو ما أطلقه عليه الرئيس الجنوب أفريقي السابق (نيلسون مانديلا)، والكاتب الأمريكي الساخر (مايكل مور) في كتابه (رجال بيض أغبياء).

وثمة مآخذ على الرئيس بوش ومَنْ وراءه من مدرسته الأصولية النصرانية الذين يمثلون اتجاهات أصولية أساسها العنف والكراهية والتكبر في وقت تحتاج فيه البشرية إلى التواضع والإنصاف، واعتماد النسبية في تقويم الأفراد والأمم؛ فلا يوجد من البشر المعاصرين من هو شرير بشكل مطلق ولا خيِّر بشكل مطلق كما يريد بوش أن يوهمنا في كثير من خطاباته ورؤاه؛ فهو ليس إنساناً ذا بعد واحد؛ مما يفسر شخصيته تفسيراً أحادياً، فشخصيته مركبة من الحماس الديني والنفعية السياسية[٣].

● مظاهر الإخفاق في الإدارة الأمريكية:

منذ بدايات الرؤى المتغطرسة والسياسات المتهورة التي تبنتها الإدارة الأمريكية في سياساتها المخالفة للعقل الرشيد والفكر السديد، والتي أصبحت ظاهرة للعيان، أصبحت محل

(١) انظر: الإدارة الأمريكية المحافظة وتفسير نبوءات التوراة لآخر الزمان، تأليف (مروان ماضي).

(٢) لمعرفة المزيد عن هذا الموضوع، انظر إلى كتاب الشيخ د. عبد العزيز كامل (حمى سنة ألفين) وهو نظرات جديدة في مسيرة الصراع الديني ضد المسلمين من سلسلة كتاب البيان الصادر في ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٣) انظر: صحيفة الجزيرة المغربية، العدد ٥٦ بتاريخ جمادى الأولى عام ١٤٢٥هـ، بتصرف.

النقد والرفض من قِبَل كل المنصفين من الكُتّاب والساسة والمفكرين، لما تحمله من اتجاهات منحرفة ومنها:

- الرؤى العنصرية للمحافظين الجدد:

وبخاصة محاباتهم الدولة العبرية على حساب الحق الفلسطيني ووقوفهم مع الصهاينة بشكل واضح، والسكوت عن سياسات (اليهود) الخرقاء وتصرفاتهم العدوانية؛ بل والدفاع عن الصهاينة ضد القرارات الأممية التي أدانتهم وإفشالها باستخدام حق الرفض (الفيتو) لمصلحة العدو الصهيوني، مما كانت معه محل النقد والتذمر لا سيما من دولة لها وزنها العالمي، وهذا بلا شك عدوان على الحق واستهتار بالحقيقة لا يقره عاقل. وإذا عرفنا سياسات الحزب الجمهوري المتطرفة ومنها مناصرتهم للباطل، فمندوبهم في هيئة الأمم (جون بولتون) الذي عُيِّنَ بأمر رئاسي رغم أنف الكونجرس؛ حين عرف فشل حكومته وانهزام حزبه استقال مؤخراً وهو أحد رموز اليمين المتطرف، بعدما علم كذلك أنه على كف عفريت.

- الفشل في الحروب الاستباقية:

وهي الحروب التي نادى المحافظون بها ضد غيرهم، وخاصة من يرون فيهم تهديداً لهم. فالدعاوى التي قدموها تسويغاً لغزو العراق، بزعم وجود أسلحة الدمار الشامل لدى الحكومة العراقية السابقة قبل الغزو، قد عرف الجميع كذب هذه الدعاوى، ومنذ تم الغزو إلى الآن لم يعثروا على تلك الأسلحة المزعومة، وقد حرثوا العراق طولاً وعرضاً ولم يجدوها.

- النقد الموضوعي الذي يقوم به المنصفون في أمريكا ضد المحافظين الجدد:

أصبح نقد القوم محل الإعجاب من الرأي العام الأمريكي. فمثلاً كتابات ومؤلفات المفكر المعروف (نعوم تشومسكي) حيث هاجم في كتاباته العلمية الناقدة سياسات الإدارة الأمريكية؛ مما هو معروف للجميع، وكتب الاقتصادي الأمريكي الشهير (جورج سورس) في كتابه (فقاعة التفوق الأمريكي) ما سلط به الأضواء على اقتصادهم؛ ففي الجزء الأول الذي عنونه بـ (رؤية ناقدة) فكَّك وانتقد وهاجم واتهم، وفي الجزء الثاني المعنون بـ (رؤية بنَّاءة) قدم البدائل؛ فصاغ ما رآه حلولاً ومقترحات تُخرج أمريكا من الوحل الذي ورطها فيه الرئيس بوش، وانتقد إدارته المحافظة؛ حيث رأى أن حكومة أقوى دولة على وجه الأرض في يد من يرى أنهم مجموعة من المتطرفين الذين سماهم بـ (الداروينية الاجتماعية) ويعني بهم اليمين المحافظ الحاكم؛ حيث دعوا إلى انتقال أمريكا إلى الهجوم والسيطرة العالمية من دون تحفُّظ؛ ليضمنوا بقاءهم على موقعهم القيادي لهم في القرن الحادي والعشرين، وبحسب هذا المشروع يجب على أمريكا أن تنطلق لتحقيق أهدافها غير آبهة بأحد، وأنها لن تتعاون مع الدول أو مع الأمم المتحدة إذا ما رأت أن مصالحها ممكن تحقيقها من دون ذلك؛ لأن عليها مواجهتهم بالقوة العسكرية والحسم، وأنها يمكن أن تقوم بذلك من دون تردد. ووضح الكاتب فشل مشروعهم (القرن الأمريكي الجديد!) وختم حديثه عن أنه لن يمر وقت على أمريكا، حتى يتدهور وضعها في العالم في وقت قياسي[1].

هذه بعض الأسباب التي أدت إلى فشل الحزب الجمهوري الحاكم بعد الانتخابات النصفية للكونجرس الأمريكي بعد سقوط بعض أعضائه وانتقال بعضهم للحزب الديمقراطي الذي نال الأغلبية، وهناك دعوات أمريكية لإنقاذ الرئيس من المحافظين الجدد الذين اختطفوه وارتهنوه في سياساته المتهورة، وفي حروبه الفاشلة التي سبق الإشارة إلى بعضها يوم خدعوا الشعب الأمريكي بمنطلقاتهم. ونتيجة لهذا الفشل تساقط أعضاء الإدارة الأمريكية؛ فاستقال وزير الدفاع (رامسفيلد) وكذلك مندوبهم في هيئة الأمم (جون بولتون)، والحبل على الجرّار، وفوز الحزب الديمقراطي - فيما نحسب - بسبب غضب الشعب الأمريكي من بوش وحكومته في سياساتها المتطرفة التي هي محل النقد والسخط من المواطن الأمريكي الذي يرى أهمية محاكمة الرئيس على جرائمه، وكذلك محاكمة رموز حزبه اليميني المتطرف على ما اقترفوه في حق شعبهم والشعوب الأخرى التي نالها الظلم والدمار بسبب سياسات الحزب الجمهوري الحاكم المتهورة. فمن يردُّ للآباء والأمهات فلذات أكبادهم؟ ومن يرد للمظلومين حقوقهم المنتهكة؟ ومن يرد لأمريكا سمعتها التي وصلت إلى الحضيض في انتهاكها حقوق الإنسان؟ بينما هي تتبنى بكذب مكشوف اتهامات كثيرة من الدول لحقوق الإنسان، وهي أول من انتهكها وداسها منذ تأسيسها بإبادة الهنود الحمر! فإلى متى تبقى أمريكا أسيرة للصوت الصهيوني؟ حيث وصلت الإدارة الأمريكية إلى حال لا تحسد عليها من الضعف.

ولا يفوتنا في هذا المقام الإشارة إلى ما ذكره مؤلفا كتاب (أمريكا لوحدها: المحافظون الجدد والنظام العالمي) أن الأحداث الأخيرة التي مرت بأمريكا أثبتت ما يلي:

١ - خطأ المنهج الذي سار عليه المحافظون الجدد.

٢ - خطأ نظرية نشر الديمقراطية الأمريكية بالقوة.

٣ - استيقاظ الرأي العام الأمريكي، وعدم تصديقه لما يحدث من نكبات تبنتها حكومتهم.

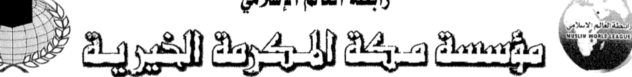
وهذه بداية النهاية للمحافظين الجدد. وقد توقع المؤلفان ردود فعل داخلية وعدائية ضدهم[2]؛ فقد مل الشعب الأمريكي مبادئ القوم وفشلهم في تحقيق أهدافهم المتطرفة مع الخسائر الكبرى التي تكبدوها. وصدق الله العظيم: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾.

(١) انظر: مجلة الكوثر، العدد ٥٦، لشهر جمادى الأولى عام ١٤٢٥هـ. في عرض للكتّاب المشار له.

(٢) أمريكا لوحدها: تأليف (ستيفن هالبر) و (جونتان كلارك)، بتصرف من صحيفة الشرق الأوسط، الصادر في ١٤/١٢/١٤٢٥هـ.

رابطة العالم الإسلامي



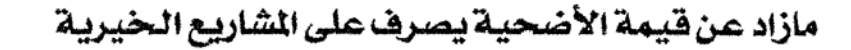







أو





نقوم بشراء أضحيتك وفق الشروط الشرعية ونذبحها ونوزع لحمها على الأيتام والفقراء والمساكين والأرامل من المسلمين داخل المملكة وخارجها

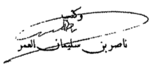
تم سؤال الشيخ ناصر بن سليمان العمر فكان الرد :

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وآله وصحبه وبعد : فجواباً على السؤال الوارد من مؤسسة مكة المكرمة الخيرية والذي نصه : **هل يجوز للمسلمين هنا بالمملكة أن يوكلوا مؤسسة مكة المكرمة الخيرية في شراء الأضاحي وذبحها وتوزيع لحومها على أيتام وفقراء المسلمين لشدة حاجتهم إليها خارج المملكة؟**

فأقول وبالله التوفيق :

الأضحية سنة مؤكدة كما في أحاديث البراء وعائشة وأنس - رضي الله عنهم - والأصل أن يقوم صاحبها بذبحها والأكل منها والإهداء والتصدق، ولكن نظرا لحاجة المسلمين إليها واستغناء المضحي عنها، وبخاصة إذا كانت لديه أضاحي أخرى أو يشق عليه ذبحها وتوزيعها، فإنني أرى أنه لا حرج في توكيل من يرى لذبح أضحيته في البلاد التي يراها هو أو يراها الوكيل، وبهذا يجمع بين إحياء السنة واستمرارها ومساعدة المسلمين في بلادهم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،،،



٢٧ / ١١ / ١٤٢٣هـ

ناصر بن سليمان العمر



نستقبل تبرعاتكم لمشروع وجبة الحاج على مصرف الراجحي حساب رقم ٢٠٤٦٠٨٠١٠٠٠٨٣٨٥

يمكنكم الإيداع في حساب الأضاحي رقم ٢٠٤٦٠٨٠١٠٠٠٧٣٧٩ بمصرف الراجحي

المكتب الرئيس : الرياض هاتف مجاني ٨٠٠١٢٤٩١٩١ - هاتف : ٤٩٣٢٢٠٠ - فاكس : ٤٩٢٠٦٩٣ ص.ب ٥٧٠٩١ الرياض ١١٥٧٤
المعارض داخل الرياض : الخليج : ٢٤٩١٤٢٠ - العليا : ٤٦٣٢٣٣٨ - السويدي : ٤٢٤٩١٩١
الفروع النسائية : حي الروابي : ٤٩٦٣٢٣٣ - حي الشفا : ٢٩٧٢٩٧٧ - حي البديعة : ٤٣٢٢٦٧٦
الفروع : مكة المكرمة : ٥٥٦٥٥٠٠ - (جده وفروعها : ٦٧٣٦٧٣٠ - الفرع النسائي ش الأربعين : ٦٧٤٥٩٨٨ - معرض الأربعين : ٦٧٤٥٩٥٤
معرض النسيم : ٢٢٧٤٧٦٤ - معرض الصفا : ٢٧١٧٧٢٧ - معرض السامر : ٢٧١٣٥٠٠ - معرض حراء : ٦٠٥٢٧٥٩ - معرض الإسكان : ٢٨٠٠٥٥٨)
الطائف : ٧٤٨٥٢١٢ - المدينة المنورة : ٨٤٥٤٤٤٤ - الزلفي : ٤٢٢٥١٢٨ - الخرج : ٥٤٤٦٩٧٠ - الدلم : ٥٤١٢٥٢٥ - حائل : ٥٣٥٧٥٥٧ - (الدمام وفروعه : ٨٤٢٤٤٤٤
الإحساء : ٥٨٨٥٥٣٣ - الخبر العقربية : ٨٦٥١١٣٦ الخفجي : ٧٦٦٤٥٠٠ - إبقيق : ٥٦٥٠٠٢٦ - الجبيل الصناعية : ٠٥٠٤٥٦٠٠١١ - حفر الباطن : ٧٢٥٩١٩٩)



دروس من الحج في زمن التغيير

محمد بن عبد الله الخطابي

حين تشتد الهاجرة وتلفح الوجوهَ سمومُ التبديل والتخذيل والبدعة، ويسطعُ غبارها ابتغاء الفتنة عن الحق وابتغاء التأويل بما يرضي المشرق والمغرب؛ فإن الملجأ يكون إلى المحاضن الآمنة والمعاهد الحصينة. وحين يُوري المبطلون زند العوائق ويتطاير شررها فإن الرِّي والرُّواء والمرتعَ والمغتبق هناك في حمى «النص» وفسطاط التسليم للكتاب والسُّنة وفهم السلف.

ولا زال المصلحون وأصحاب الدعوات وأرباب التغيير، من العلماء العاملين والحكام المقسطين والمجاهدين الصادقين، يثوبون إلى ذلك المأزر الرشيد، ويركبون له الصَّعب والذلول موئلاً وثمالاً، وقد وثقوا؛ أنه لا يُصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به وعليه أولها.

ويصونُون ويحذِّرون أن يواقعوا خُطَّة التبديل، أو أن يجذبهم شَرَك البدعة عن سيرهم إلى الله. قال ابن وضَّاح - عليه رحمة الله - فيما رُوي عن بعض السلف: «يأتي على الناس زمان يسمِّن الرجل راحلته حتى تعقد شحماً، ثم يسير عليها في الأمصار حتى تعود نقصاً، يلتمس من يفتيه بسنَّة قد عُمل بها فلا يجد من يُفتيه إلاّ بالظن»، قال ابن وضاح - سنة ٢٨١ -: سمعت سحنوناً - أحد علماء المالكية المشهورين - يقول منذ خمسين سنة: «إني أظن أنّا في ذلك الزمان، فطلبت أهل السُّنة في ذلك فكانوا كالكواكب المضيء في ليلة مظلمة»[1].

- وقال ابن عبد البر في التمهيد - في حديث لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه -: «وذلك لمَا يحدث فيه من المحن والبلاء والفتن، وقد أدركنا ذلك الزمان كما شاء الواحد المنان لا شريك له، عصمنا الله ووفقنا وغفر لنا. آمين»[2].

ولئن كان السالفون الصالحون الأولون يخافون أشد الخوف ويحذرون من ذلك أشد الحذر وهم في زمن الراية والرواية وصَوْلة السنة فلئن يحذر أهل زماننا أوْلى وأجدى وأجدر... لذا فهذه وقفات خيِّرات، تبضُّ بمروفها تلك المواسمُ المباركة الفاضلة وتستجلبها المشاعرُ من المشاعر، مهَّد لقطب رحاها النظرُ في حال الأمة والتفكر الحثيث في مشروع نهضتها وسبيل ارتقائها، وإذ اعتاد علماء أمتي وطلابُهم في هذه المواسم المباركة عقد حلَق الفقه والعلم؛ لتدارس مسائل الحج ومناسكه وأحكامه، فنِعمَ إذاً رديف ذلك أن يُتحدث عن تلك الفوائد واللطائف والدروس، في الدعوة والمنهج والتغيير والأسباب والسنن الثابتة، التي يغذوها الحج بمناسكه ومواطنه ونصوصه.. إذ لا يرعى الهشيم من وَجَدَ الجميم، ولا ينتجع الغيث في أقطاره من سقاه ريّق الوبل في دياره.

فمن أعظم تلك الدروس المستفادة من مواطن الحج ونصوصه ومناسكه ما قد جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «قدم رسول الله ﷺ وأصحابه مكة وقد وهنتم حُمَّى يثرب، قال المشركون: إنه يقدم عليكم غداً قومٌ قد وهنتهم الحُمَّى ولقوا منها شدة، فجلسوا مما يلي الحجر وأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا ثلاثة أشواط ويمشوا ما بين الركنين ليرى المشركون جَلَدهم، فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى وهنتهم؟ هؤلاء أجلد من كذا وكذا»[3].

وفي هذا الحديث الجليل تقرير لما قد تمهَّد في الأصول الشرعية من مشروعية مراغمة الكافر ومماتنته، حتى قال ابن القيم - رحمه الله - في مدارج السالكين: (لا شيء أحبّ إلى الله من مراغمة وليِّه لعوده، وإغاظته له، وقد أشار - سبحانه - إلى هذه العبودية في مواضع من كتابه...) بل جعلها هذا الإمام السلفي الجليل ذريعةً من ذرائع الصدِّيقية، ووليجة يلج بها العبد المنيب المخبت لبحبوحتها فقال: (فمن تعبَّد الله بمراغمة عدوه، فقد أخذ من الصدِّيقية بسهم وافر، وعلى قدر محبة

(١) البدع والنهي عنها (١٦٤).

(٢) التمهيد - المرتب - (٦/٣٩٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٦٠٢)، ومسلم (١٢٦٦).

العبد لربه وموالاته ومعاداته لعدوه يكون نصيبه من هذه المراغمة)[1].

وإذا قرأت هذا علمت عُظْم الشطط والدَّرْك المنحط الذي هوى إليه دعاة التسامح الديني والطائفي ـ كما زعموا ـ وعلمت أيَّ ركن من الديانة يسعى أولئك المنهزمون المبدلون إلى أن يهدموه، وعلمت أيضاً أن قرناً للبدعة قد ذرَّ طالعه وبدا أوله وفسق بصياصيه، ولئن كانت الأمة قد فتنت في قرون مضت بما أخذت من أمم الكفر السالفة من علم المنطق والكلام والفلسفة حتى تشذرت بدداً وطرائق قدداً، ونُصب قدر البدعة على أثافي الهوى قروناً متطاولة، فإن بدعة أعظم وأطَمَّ وأحبُولة للتبديل والخروج من الديانة أكبر وأدهى قد رُكزت أعلامها في أسواق الأهواء فراجت بأسماء الإخاء الديني والتسامح الحضاري والحوار مع الآخر، وولجت في الأمة بدعاية نبذ التطرف والعنصرية والكراهية، كأن الكلب لم يأكل لهم عجيناً، وكأن القوم لم يقرؤوا قول الله ـ تعالى ـ: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قال محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ: (إنه لا يستقيم للإنسان إسلام ولو وحَّد الله وترك الشرك إلا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغض)[2].

فسبحان الله! ماذا أُنزل من الفتن[3]، حتى فُوِّقت سهام اللوم والتخطئة لمن نادى ودعا إلى هذه الشعيرة الجليلة؛ ولكنا كما قال ابن القيم في عبودية المراغمة: «وهذا باب من العبودية لا يعرفه إلا القليل من الناس، ومن ذاق طعمه ولذّته بكى على أيامه الأُوَل»[4].

ومن عجائب الأمر أن هذه الشعيرة مما تكاثرت عليه النصوص حتى لا يكاد يعشو عن منازلها إلا من أعمى الله بصيرته، بل قال الشيخ الصالح محمد بن عتيق ـ رحمه الله ـ عن هذا الحكم الجليل «الولاء والبراء»: (ليس في كتاب الله ـ تعالى ـ حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده)[5].

والناظر في نصوص متفرقة في الحج ومناسكه يرى رعي الشريعة لمثل هذا الأمر الكُبّار، حتى كانت خطبته ﷺ في حجة الوداع تأكيداً لهذا الشأن فقال ﷺ: «كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع»[6]، هكذا بهذه الصفة المنفّرة التي تشي بكل معاني الاحتقار للجاهلية والاستعلاء عليها والترفّع عنها وعن أصحابها[7].

والحج كلّه تأكيد لهذا الأمر وتأكيد لمعناه وتربية للقلوب عليه، فقد خالف النبي ﷺ المشركين في أفعالهم في الحج كما ثبت في البخاري من حديث عمرو بن ميمون قال: «شهدت عمر ـ رضي الله عنه ـ صلّى بجَمْع ثم وقف فقال: إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس، ويقولون: أشرقْ ثبير، وأن النبي ﷺ خالفهم ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس»[8].

ومما يبين أيضاً هذا الأمر من نصوص الحج، ويزيد هذه القضية إيضاحاً ـ وهي والله الواضحة الجليّة ـ ما ثبت عند الترمذي وصححه النسائي[9] عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وعبد الله بن رواحة بين يديه يمشي وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله
اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يُزيل الهام عن مقيله
ويُذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر ـ رضي الله عنه ـ: يا ابن رواحة! بين يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله تقول الشعر! فقال له النبي ﷺ: «خلِّ عنه يا عمر! فلهي أسرع فيهم من نضح النبل»، فانظر إلى حَوْط الشريعة وتقريرها لقاعدة البراء من الشرك ومراغمته بالإعلام المسموع في مواسم الحج والعمرة، وإكبار هذا وإشهاره ومدح فاعله، فأين من يدعون إلى التسامح مع الآخر والانفتاح على ثقافته وعدم الكراهية للمختلف الثقافي (الديانة ـ الكافر)؟ أين هم من هذه الواضحات وهم يُجادلون في الله وهو شديد المحال، ويأخذون بشدق المنهج، ويضعون ويخبُّون في نصر باطلهم؟ بل إن الحديث يدل على جواز مراغمتهم بالقوم في حال العهد فضلاً عن حال المقاتلة والحرب، ولهذا الشأن موطن غير هذا الموطن، لكن الغرض بيان عُظْم هذا الأمر وتقرره لدى الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ بل إن النبي ﷺ في عام الحديبية أهدى جملاً كان لأبي جهل في رأسه بُرة فضة، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «يغيظ بذلك المشركين»[10]. ومما يتصل بهذا ما ذكره بعض العلماء في سبب تسمية عمرة القضيّة بهذا الاسم؛ حيث اختلف الفقهاء: هل هو مأخوذٌ من القضاء للعبادة (العمرة الأولى)؟ أم من المقاضاة للكافر؟ على قولين، اختار ابن القيم الثاني[11].

(١) المدارج (١/٤١٤ ـ ٤١٥) دار طيبة.
(٢) مجموعة التوحيد (٢٥).
(٣) من حديث هند عن أم سلمة: «استيقظ النبي ﷺ ذات ليلة فقال: سبحان الله»، (البخاري: ١١٥).
(٤) المدارج (١/٤١٥).
(٥) سبيل النجاة والفكاك (١٤).
(٦) البخاري (٦٧)، ومسلم (١٢١٨ ـ ١٦٧٩).
(٧) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/٣٤٢).
(٨) أخرجه البخاري (١٦٨٤).
(٩) الترمذي (٢٨٤٧)، والنسائي (٢٨٧٣) وصححه الضياء وابن حجر.
(١٠) أبو داود (١٧٤٩).
(١١) انظر: (زاد المعاد: ٣/٢٧٣)، (فتح الباري: شرح حديث (٤٢٥٢).

ـ ومن ذلك ومما يحسن إيراده هُنا، والقلوب إن لم تسافر أبدانها إلى تلك البقاع المباركة سافرت بفكرها وشوقها وتأملاتها وكأنها تنظر إلى النبي ﷺ وهو يقول يوم النحر وهو بمنى: «نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة؛ حيث تقاسموا على الكفر»(١)، وذلك أن قريشاً وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني عبد المطلب ألا يُناكحوهم ولا يُبايعوهم حتى يُسلِموا إليهم النبي ﷺ. هكذا يُظْهِر المؤمن صولة الحق والإيمان والسنة في مواطن حُورِب فيها الحق والسنة، وتُربط الفهوم في عباداتها بالصراع مع الكافر وديمومته حتى يجيء المؤمنون وهم يؤمّون تلك المشاعر المباركة، فيتذكرون صراع الحق مع الباطل وظهور الحق بعد جولة الباطل... وبقاء الحق ظاهراً عالياً، ولتتذكَّر الملايين من المسلمين وهي تطأ أرض تلك المشاعر والمناسك فضلَ إظهار شعار الإسلام وصولته، وأن الصراع مع الكفر والبدعة والفجور باقٍ ما بقيت تحادّ الله وشرعه وسنة نبيه محمد ﷺ، ولذا استحب العلماء ضيافة الأرض التي وقعت فيها المعاصي بإيقاع الطاعة فيها بذكر الله وإظهار شعار المسلمين(٢).

ـ ومن لطيف ما يظهر للناظر في دروس الحج ما يؤخذ من حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ في السنن: «أن النبي ﷺ قرأ في ركعتي الطواف بسورتي الإخلاص: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]»(٣). وهي سور البراءة من الكافرين والتسليم لرب العالمين، وليكون العابد الحاج مرتبطاً بمثل هاتيك المعاني العظيمة، وليعقد أنامله عليها ويستمسك بمقتضياتها.

ـ ومن هذه الدروس المستفادة من طُيوب تلك العبادة ما يؤخذ من فعل النبي ﷺ لما رقى الصفا فاستقبل القبلة فوحّد الله وكبّره، وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده»(٤).

إنه التذكير بالانتصار على القوى العالمية الكافرة على يد الثلّة المؤمنة الصابرة، وهي الكلمات التي يُردّدها كلُّ عابد وكل عالم وكل مجاهد وتتناقلها الأجيال في كلاءة السماء، ولا ريب أنه مهما بلغ عتو الكافر وتجبّره وظلمه فإن النصر للموحدين الصادقين، بل لقد منَّ الله ـ سبحانه ـ بأنواع من النصر والتأييد في هذه العصور المتأخرة ما تعجز عنه ألسنتنا شكراً وتكلُّ عنه ثناء؛ حيث نشر الله مذهب السلف في الأسماء والصفات والأسماء والأحكام وغيرها من مسائل الاعتقاد، وكثُر الداخلون في الإسلام، وغدا للمسلمين من الهيبة والصولة ما لم يتحصل منذ قرن وأزيد من الزمان.

والملايين اليوم وهي تقف على الصفا صُعُداً يجب أن تعلم وأن توقن أن جند الله هم الغالبون، ولا بد أن تعلم وتتعلم علاقة النصر بالعبادة وعلاقة النصر بالشكر وعلاقة النصر بكمال التوحيد وتحققه في القلوب، ومن الدروس التي تغذوها عبر الحج ومواطن المناسك وترتبط في نفس كل مسلم وقلب كل مؤمن ذلك التسليم المطلق والتفويض العظيم لأمر الله ورسوله ﷺ في قصة أم إسماعيل... كما ثبت في البخاري عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «أن إبراهيم جاء بها وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذٍ أحد، وليس بها ماء فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قَفَّا إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم! أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنسٌ ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم! قالت: إذاً لا يضيعنا، ثم رجعت»(٥).

إنه منهج التسليم للنص، ونبذ الرأي، وطرد الخصومة في التشريع.. وهو الأساس الذي يقوم عليه المعتقد السلفي الصحيح، وهو القاعدة الأولى في الديانة، وعليه إجماع السلف، وإليه موئلهم، وعليه نَقَص الخارجون عن السنّة، وبتركه وقع أهل الأهواء في التبديل والبدعة.. ولذا اشتد نكير السلف وأتباعهم على من ترك الآثار وردّ النص. قال الإمام البربهاري: (إذا سمعت الرجل يطعن على الآثار أو يردّ الآثار أو يريد غير الآثار فاتّهمه على الإسلام، ولا تشك أنه صاحب هوى مبتدع)(٦).

وقال إبراهيم النخعي: (لو أن أصحاب محمد ﷺ مسحوا على ظفرٍ لما غسلته التماس الفضل في اتباعهم)(٧). وحين تشتد غربة المسلمين اليوم بكثرة من ينادون بالتجديد في الدين (بما يلائم العصر) وترك ـ ما يزعمونه ـ الرسوم التي عفت! (وخلا في الغابر أصحابها) ونبذ النصوص والخروج على فهم السلف لها، والدعوة إلى إيجاد فهم عصْري للنصوص على غير أصول السلف، بل الدعوة للتجديد بالطمس والمسخ للعلوم المعيارية في الشريعة كأصول الفقه ومصطلح الحديث، ليتقوّض البناء، ويسقط عمود الفسطاط، ويتثلم الصرح.

حين تُزعج النفوس المؤمنة بتلك الأطروحات والندوات تجد في قصة أم إسماعيل وأمثالها الجلال والجمال والقدوة العطرة، ثم يعلم المسلم وهو يُقلّب نظره بين البيت وزمزم والصفا والمروة عِظم بركة (عبادة التسليم لله) وكبير ثوابه ـ سبحانه ـ وجزيل

(١) البخاري (١٥٨٩)، ومسلم (١٣١٤) عن أبي هريرة.
(٢) انظر: فتح الباري: شرح حديث ٣٠٦٥، وشرح النووي: حديث ٢٨٧٥.
(٣) الترمذي (٨٦٩)، النسائي (٢٩٦٣).
(٤) مسلم (١٢١٨)، عن جابر.
(٥) أخرجه البخاري (٣٣٦٤).
(٦) شرح السنة (٥١).
(٧) الإبانة الكبرى (١/٢٦٦).

عطائه لمن تعبَّده بذلك، ألم ترَ أن الله جعل لأم إسماعيل الذكرى الخالدة والثناء الحسن ولسان الصدق في الآخرين إلى يوم الدين جزاء تسليمها للنص وتفويضها للأمر، فإذا بملايين البشر على ضوء الأمر الإلهي يخطون على خطاها، ويتخذون من طريقها بين الصفا والمروة مثابة تعبّد وشعيرة نُسك؟ ولا يزال كذلك ما تعاقب النيّران وتقلب الجديدان، وإن عبداً بلغ من أمره أن يجعل الله من عَفْو فعله عبادةً ومنسكاً على طريقته وهيئته لذو قربى وزلفى عند الله سبحانه، وكل صاحب اتباع وتسليم ونبذ للرأي فله حظ من ذلك بحسبه، وله نصيب من هذا بقدره، والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

بل إن من عجيب ما في قصة أم إسماعيل أنها حين خالطت بتحويطها لزمزم وحرصها الفوت، وداخَلَ أمرَ زمزم مع أم إسماعيل صنعُ البشر وكسبهم، نَقَص من ذلك بقدر الحرص البشري، مع أنها لم تعترض على نص ولم تردّ سنة ولم تدفع شريعة، ولم تترك التسليم لأمر الله، لكنها كانت على حالٍ لو كانت على أزكى منها - وهي الزكية البرة - لكان أعظم بركة وأجزل مثوبة، ليس لها فقط بل وللأمم والأجيال المتعاقبة بعدها. وانظر إلى هذا الحديث وهو يبين أثر ذلك في البركة والخيرية والزكاء؛ قال ابن عباس - رضي الله عنهما - فجعلت: «أم إسماعيل تحوِّضه - أي الماء - وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف»، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: قال النبي ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم - أو قال لو لم تغرف من الماء - لكانت زمزم عيناً معيناً»[1]، وعلى أصحاب الدعوات والإصلاح والتعليم والجهاد أن يعلموا أنه بقدر ما يخالط أعمالهم من ركونٍ إلى الرأي وترك للنص وبُعْد عن منهج السلف ينقص بقدره من الفلاح والنُّجح والبركة، وكل صاحب دعوة فعليه أن يحتاط لنفسه ويحذر ويتقي، مخالفة التبديل في الأمر والانزلاق عن السنة ومنهجها، وتحرير طريق السلف في فقه الإنكار والتغيير والاحتساب على العليّة وطرائق الدعوة والتربية، ووسائلها، ومعاملة المبتدع، وهجر المبدِّل، وأحكام أعوان الظَّلَمة، وضوابط المداراة، وحدود المداهنة، وغيرها مما يمس مناهج الدعوة والتربية والجهاد في هذا العصر، (جاء عن ابن المسيب أنه رأى رجلاً يكثر من الركوع والسجود بعد طلوع الفجر فنهاه، فقال: يا أبا محمد! أيعذبني الله على الصلاة؟ قال: لا، ولكن يعذبك على خلاف السنة)[2]. ومن لطيف ما يُذكر هنا أنهم كانوا يحرصون - رحمهم الله - على إخراج المبتدع من الثغر، وسلامة الجيوش الإسلامية في غزوها من البدع والمبتدعة لما تقرر لديهم من أثر البدعة في الخذلان، حتى: (روى ابن أبي عاصم عن علي بن بكار قال: كان ابن عون يبعث إليّ بالمال فأفرِّقه في سبيل الله، فيقول: لا تُعط قدريّاً منه شيئاً - وأحسبه قال فيه - ولا يغزون معكم فإنهم لا يُنصرون)[3].

وجاء في ترجمة العابد الزاهد أبي إسحاق الفزاري الثقة المخرّج له في الكتب الستة: «قال العجلي: كان ثقةً رجلاً صالحاً صاحب سنةٍ، وهو الذي أدّب أهل الثغر وعلمهم السنة، وكان يأمر وينهى، وإذا دخل الثغر رجلٌ مبتدع أخرجه»[4]. وأعظم وأجلّ من قصة أم إسماعيل قصة أبي إسماعيل - رحمة الله وبركاته عليهم أهل البيت إنه حميد مجيد - إذ أُمر بذبح ابنه[5]، فاستجاب وسلّم وامتثل، ولبّى نداء ربه في التضحية الكبرى ولم يضن بابنه، ولم يتأخر في البذل، وقال عنه ربه: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾[6] [النجم: ٣٧].

والأمة اليوم أحوج ما تكون إلى مثل هذه الصفات الإبراهيمية من العلم بالله والدعوة إليه إلى تحطيم الأصنام، ثم الصبر على البلاء ومفارقة الأوطان، والثبات في التضحية في سبيل نشر دين الله ونشر السنة والدفاع عن أعراض المسلمين وحرماتهم.

والملايين التي تؤمّ وأمّت بيت الله وهي تقتدي بإبراهيم - عليه السلام - في رمي الجمار والذبح والأضاحي[7]، ينبغي أن تقتدي بإبراهيم - أيضاً - في مواطن الدعوة والتضحية والصبر، وهي تنظر إلى تلك الأماكن المباركة التي كان عليها أعظم مواقف التضحية والبذل في سبيل الله، فتجتهد إذاً في رفع الجهل والظلم والبدعة والفجور عن الأمة، وتحذر من تبديل المبدلين وتخذيل المخذلين، وتحذر أيضاً من قومٍ تزيّلوا عن طريق السلف في الدعوة ولم يمسكوا بعروة التسليم: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[8] [النحل: ٩].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٤).

(٢) التمهيد (٥/٩٢).

(٣) السنة (٨٨).

(٤) تهذيب التهذيب (١/٩٩)، وليس في هذا حكم عام في هذه المسألة بتفاصيلها، لكنه بيان لشأن السنة في الانتصار فقط، وانظر في هذه المسألة: كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٨/٢١٢).

(٥) ثبت في البخاري عن سفيان عن عمرو عن عبيد بن عمير: «رؤيا الأنبياء وحي»، ثم تلا هذه الآية: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٧/٣٠)، دار طيبة.

(٧) انظر: الحديث بطوله في المسند (١/٣٠٦).

(٨) قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: (ومنها جائر - هي الطرق المختلفة والآراء والأهواء المتفرقة)، وقال مجاهد في قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾: (طريق الحق على الله)، تفسير ابن كثير: (٤/٥٦٠).

خالد بن عبد المحسن التويجري(*)

نماذج مضيئة في تحقيق عقيدة الولاء والبـــراء



لقد حقق سلف هذه الأمة وعلماؤها العاملون عقيدة الولاء والبراء في حياتهم، فكانوا موالين لأهل الإيمان، محبين لهم، ناصرين لهم، وأيضاً أعلنوا بوضوح براءتهم من أهل الكفر، وعدواتهم وبغضهم لهم. وسأعرض لبعض النماذج والأمثلة المشرقة من حياتهم؛ لعلنا نحذو حذوهم ونقتدي بهم.

فمن صور تحقيقهم للولاء والبراء:

١ - إظهار البراءة من المشركين، ومحبة النبي ﷺ والمؤمنين حتى عند الشدائد والمحن. وأبرز مثال على ذلك قصة زيد بن الدَّثِنَة - رضي الله عنه - الذي اشتراه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف، فخرجوا بزيد إلى (التنعيم)، حيث اجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان حين قُدِّم ليقتل: أنشدك الله يا زيد: أتحب محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ فقال زيد: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه؛ وأني جالس في أهلي. فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً. ثم قتلوا زيداً - رضي الله عنه -[1]. فانظر إلى ولاء زيد - رضي الله عنه - الصادق للنبي ﷺ، فهو لا يحب أن يصيب النبي ﷺ شوكة؛ فضلاً عن أن يصيبه ما هو أعظم من ذلك!

وها هو أبو الفرج الجوزي يروي لنا قصة الشهيد أبي بكر النابلسي فيقول: أقام (جوهر) القائد لأبي تميم صاحبِ مصر أبا بكر النابلسي فقال له: بلغنا أنك قلت: إذا كان مع الرجل عشرة أسهم وجب أن يرمي في الروم سهماً وفينا تسعة؟ قال: ما قلت هذا؛ بل قلت: إذا كان معه عشرة أسهم؛ وجب أن يرميكم بتسعة وأن يرمي العاشر فيكم أيضاً؛ فإنكم غيرتم الملة، وقتلتم الصالحين، وادعيتم نور الإلهية. فضربه، ثم أمر يهودياً فسلخه، فكان يذكر الله ويقرأ قوله - تعالى -: ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾. ويصبر حتى بلغ الصدر فطعنه، ثم حُشي تبناً، وصُلب. وقد حكى ابن السعساع المصري أنه رأى في النوم أبا بكر النابلسي بعدما صلب، وهو في أحسن هيئة، فقال: ما فعل الله بك؟ فقال:

حباني مالكي بدوام عز
وواعدني بقرب الانتصار
وقرّبني وأدناني إليه
وقال: انعمْ بعيش في جواري[2]

فتأمل شدة بغض أبي بكر النابلسي - رحمه الله - لأعداء الدين، وبراءته منهم، وإنكاره عليهم، وكيف لم يخَفْ في الله لومة لائم؟!

وانظر إلى طريقة أهل الكفر والنفاق في التنكيل بعلماء الإسلام ومحاربتهم! وذلك لما يحملونه في صدورهم الخَرِبة من بغض المؤمنين وعداوتهم. وهذا ما تواطأت عليه قلوب جميع أعداء الملة، فهم؛ وإن اختلفوا فيما بينهم؛ إلا أنهم يجتمعون في شدة عدواتهم للمسلمين.

٢ - البراءة من أهل الكفر والمشركين وإن كانوا من الأقربين: وذلك تحقيقاً لقوله - تعالى -: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ...﴾ [المجادلة: ٢٢]. قيل إنها نزلت في أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -، حيث سب أبو قحافة النبي ﷺ، فصكه أبو بكر - رضي الله عنه - صكة فسقط منها على وجهه، ثم أتى النبي ﷺ فذكر ذلك، فقال - عليه الصلاة والسلام -: «أوَ فعلته؟! لا تعد إليه» فقال: «والذي بعثك بالحق نبياً، لو كان السيف مني قريباً لقتلته». وقال ابنُ مسعود - رضي الله عنه -: «نزلت في أبي عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه - قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد، [وقيل: يوم بدر]، وكان الجراح

(*) معيد في كلية الملك عبد العزيز.

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (١٥٣/٤).

(٢) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٦/١٨٤ - ١٥٠).

يتصدى لأبي عبيدة، وأبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر؛ قصد إليه أبو عبيدة، فقتله»، وقيل في سبب نزول الآية غير ذلك. بل يصل الأمرُ أحياناً بأولئك الصادقين إلى الرغبة في التمكن من قتل أقربائهم من الكفار؛ ليُرُوا اللهَ منهم خيراً بذلك، وابتغاءً لمرضاته.

فها هو النبي ﷺ عندما استشار الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في أسرى بدر، فقال: «ما ترى يا بن الخطاب؟» قال عمر ـ رضي الله عنه ـ: قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر؛ ولكن أرى أن تُمكِّنني من فلان [قريب لعمر] فأضرب عنقه، وتُمكِّن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان [أخيه] فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين»[1].

وقد روي «أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال لسعيد ابن العاص ـ رضي الله عنه ـ إني أراك كأنك في نفسك شيء! أراك تظن أني قتلت أباك؟ إني لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله، ولكني قتلت خالي العاص بن هشام بن المغيرة، فأما أبوك فإني مررت به وهو يبحث بحث الثور بروقه[2]؛ فحدت عنه، وقصد له ابن عمه علي فقتله. فقال سعيد بن العاص ـ رضي الله عنه ـ: «لو قتلته لكنت على حق وكان على الباطل» فأعجبه قوله»[3].

٣ ـ ثبات المؤمن على عقيدته مع شدة إغراءات أهل الباطل بضمه إليهم: فقد يبذل الحاقدون على المسلمين إغراءاتهم وما بوسعهم في سبيل تخلي المسلمين عن دينهم، ويسلكون في ذلك وسائل مختلفة للوصول إلى هذا الهدف. وفي قصة عبد الله بن حذافة السهمي ـ رضي الله عنه ـ ما يدل على ذلك: فإنه قد أُسر في أحد المعارك مع الروم، فعرض عليه ملك الروم أن يتنصَّر، فرفض، ثم قال له: إن فعلتَ شاطرتُك مُلْكي، وقاسمتك سلطاني، فقال عبد الله: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملكه العرب على أن أرجع عن ديني طرفة عين؛ ما فعلت ذلك، ثم هدده الملك بالقتل، وصلَّبه ورماه قريباً من رجليه وقريباً من يديه، وهو يعرض عليه مفارقة دينه، فأبى، فقال له: هل لك أن تقبِّل رأسي وأخلي عنك؟ فقال عبد الله له: وعن جميع أسارى المسلمين أيضاً؟ قال نعم: فقبَّل رأسه، فأمر الملك بإطلاق سراحه وسراح جميع المسلمين المأسورين لديهم، وقدم بالأسرى على عمر ـ رضي الله عنه ـ فأخبره خبره، فقال عمر: حق على كل مسلم أن يُقبِّل رأس ابن حذافة؛ وأنا أبدأ، فقبَّل رأسه[4].

إنها عزة المسلم الحق، وثباته عند الشدائد، وعدم تنازله عن دينه؛ حتى لو أدى ذلك إلى موته. وتأمل حب عبد الله ـ رضي الله عنه ـ لأسرى المسلمين واهتمامه لهم! فإنه لم يغفل عنهم في تلك الظروف الحرجة؛ بل حرص على فكاك أسرهم.

والمؤمن مطالب ومأمور بولائه لدينه ولرسوله ﷺ وللمؤمنين؛ وإنْ هَجَرَه المؤمنون لسبب من الأسباب المشروعة لذلك. وهذا يذكرنا بما حدث لكعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ الذي هجره المسلمون حتى في رد السلام..، فابتلي في هذا الوقت العصيب بإغراء عظيم من قبل أحد الملوك في ذلك الوقت، فرفض ذلك الإغراء وثبت ـ رضي الله عنه ـ. يقول حاكياً ما حدث: «... فبينما أنا أمشي في سوق المدينة؛ إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدلني على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني؛ دفع إليَّ كتاباً من ملك غسان، فإذا فيه: «أما بعد: فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحقْ بنا نواسك!» فقلت لما قرأتها: وهذا من البلاء. فتيممت بها التنور فسجرته بها...»[5]، فرفض ـ رضي الله عنه ـ هذا الود الظاهر في وقت هو فيه أحوج ما يكون إلى من يواسيه ويواليه؛ لكن لـما قام في قلبه من عظم الولاء لله ولرسوله، والبراءة من أعداء الدين؛ رفض هذه الدعوة التي كشفت له بصيرته ما وراءها، فرفضها وعدَّها بلاءً آخر فكانت عقباه الخير. فكيف أخي المسلم بمن يتنازل عن ثوابت دينه ومعتقده؛ خوفاً من أعداء الدين، أو حباً في مال أو رئاسة في هذه الدنيا الزائلة؟!

٤ ـ دور الخلفاء والسلاطين في موالاة المؤمنين ونصرتهم، والبراءة من المشركين ومحاربتهم: وشواهد التاريخ على هذا كثيرة، من ذلك ما يروى من أنه عندما أسر الرومُ أحد المسلمين قال له ملك الروم: ماذا يريد خليفتكم من الإغارة علينا؟ أما تكفيكم بلادكم؟ فأخبره الجندي المسلم أنهم يهدفون إلى نشر الإسلام، وإقامة العدل بين الناس الذي افتقده الناس؛ بسبب بعدهم عن الحق، فغضب عند ذلك البطريرك الذي كان جالساً قرب الملك، وقام من مجلسه وصفع الجندي على وجهه صفعة مؤلمة، وأمر به إلى السجن، ثم بعد ذلك جرى تبادل الأسرى بين المسلمين والروم، وعاد الجندي المسلم إلى أهله، واستدعاه الخليفة وأكرمه، وسمع خبره، ثم أمر بتوجيه بعثة من الجنود تنكَّروا على شكل صيادين حتى وصلوا إلى القسطنطينية، فدخلوها، واحتالوا على البطريرك؛ فقبضوا عليه، وجاؤوا به مكبلاً إلى أن أُدخل على مجلس الخليفة معاوية ـ رضي الله عنه ـ، وكان الجندي الذي أُسر بجانب الخليفة، فقال له معاوية ـ رضي الله عنه ـ: أهذا هو؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين، فقال له: دونك فاقتص منه! فقال الجندي: بل عفوت عنه يا أمير المؤمنين. فقال معاوية ـ رضي الله عنه ـ للبطريرك: اذهب إلى مَلِكك، وقل له: إن أمير المؤمنين يقيم العدل ويقتص من الجاني حتى من مملكتك[6]؛ فرضي الله عن معاوية بن أبي سفيان الذي ضرب بتلك الحادثة أروع الأمثلة في مدافعة الحاكم المسلم عن حقوق المسلمين أفراداً وجماعات.

وروي أن أحد الجنود المسلمين وقع أسيراً في حوزة الرومان، وأنهم حملوه إلى إمبراطورهم الذي حاول أن يُكْرِهَه على ترك إسلامه، فرفض الأسير المسلم، فأمر الإمبراطور أن تُفقأ عيناه..، وسمع عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ بذلك، فكتب إلى ملك الروم يقول: «أما بعد: فقد بلغني ما صنعت بالأسير المسلم، وإني أقسم بالله لئن لم ترسله إليَّ من فورك

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب (الإمداد بالملائكة في غزوة بدر)، ح (١٧٦٣)، (٢/١٣٨٣).
(٢) الروق: أي القرن، لسان العرب (١٠/١٣١).
(٣) البداية والنهاية، لابن كثير (٣/٢٩٠).
(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/١٤).
(٥) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، ح (٤٤١٨)، وفتح الباري (٨/١١٣).
(٦) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية للشيخ محماس الجلعود (١/٣١١).

لأبعثنَّ إليك من الجند؛ ما يكون أولهم عندك وآخرهم عندي». وعندما وصل الخطاب تراجع ملك الروم أمام هذه العزيمة، وأمر بإعادة الأسير المسلم إلى أهله وقومه[1].

ومن ذلك أيضاً ما اشتهر عن المعتصم في نصرته لتلك المرأة التي صاحت بأعلى صوتها: (وامعتصماه!)؛ حيث كانت ضمن الأسرى عند الروم، فنقل بعضُ الحاضرين هذه الصيحة إلى المعتصم فنهض مردداً: لبيك لبيك! يا أختاه، وأمر بالنفير العام، واستدعى القضاة والشهود، وأشهدهم على وصيته: أن ماله إذا استُشهد في هذه المعركة يقسّم إلى ثلاثة أقسام: ثُلثه صدقة، وثُلثه لأولاده، وثُلثه لمواليه. وسار بنفسه ومن معه من المسلمين، فحاصر عموريَّة حتى فتحها بعد حصار شديد، وثأر المعتصم من أعداء الله، واسترد كرامة المسلمين، وتبيَّن كيف تكون غضبة الحاكم المسلم إذا انتُهكت حرمات الله[2].

٥ ـ دور علماء الأمة في بيان الولاء والبراء، والحث على تحقيقها وذلك عبر: الفتيا، الرسالة، التصانيف، والردود.

يُروى أنه نشأ خلاف كبير بين الأخوين: سلطان الشام الملكُ الصالحُ إسماعيل، وسلطان مصر الملك الصالح نجم الدين أيوب، وكان من نتيجته أن استعان الملك إسماعيل بالصليبيين أعداء الإسلام، وتحالف معهم على قتال أخيه نجم الدين، وأعطاهم مقابل ذلك مدينة صيدا، وكذلك قلعة (صفد) وغيرها؛ بل سمح للصليبيين أن يدخلوا دمشق، ويشتروا منها السلاح وآلات الحرب، وما يريدون! فأثار هذا الصنيعُ المنكر استياءَ علماء الإسلام، فقام سلطانُ العلماء العزُّ بن عبد السلام وأنكر على السلطان فعلَه ذلك، وأفتى المسلمين بتحريم بيع النصارى السلاح. فسُجن بسبب ذلك[3]. هذا في الفتيا. وشواهد ذلك كثيرة، حفظها لنا التاريخ، وحفظ لنا أيضاً تلك الرسائل التي خطَّها علماء السُّنة اقتداءً بنبيهم ﷺ في مراسلاته للملوك ورؤوس الكفر، كما مر معنا.

فقد أرسل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ رسالةً إلى ملك قبرص (سرجوان) يخاطبه في شأن أسرى المسلمين، فمما ورد في كلامه ـ رحمه الله ـ بعد دعوته للإسلام: «... ومن العجب أن يأسر النصارى قوماً غدراً أو بغير غدر، ولم يقاتلوهم...، وكلما كثرت الأسرى عندكم كان أعظم لغضب الله وغضب عباده المسلمين؛ فكيف يمكن السكوت على أسرى المسلمين في قبرص؟!

فما يُؤمِّنُ الملكَ أن هؤلاء الأسرى المظلومين ببلدته ينتقم لهم ربُّ العباد والبلاد كما ينتقم لغيرهم؟ وما يُؤمِّنُه أن تأخذ المسلمين حميةٌ إسلاميةٌ؛ فينالون منها ما نالوا من غيرها؟...»[4].

وهذه الرسالة من شيخ الإسلام للملك النصراني تبين شدة ولائه ـ رحمه الله ـ وحبه للمسلمين، والسعي في تخليص أسراهم من الكافرين)، وفيها بيان لعزَّة المؤمن بقوة إنكاره وشدته على أهل الباطل، وفيها أيضاً بيان لأهمية دور العلماء في الذود عن الحق وأهله أينما كانوا.

كذلك فإن أهل العلم حرصوا على التصنيف والتأليف في هذا الموضوع المهم في حياة المسلمين. فمن ذلك: ما قاله الشيخ عبد الله بن سليمان بن حميد ـ رحمه الله ـ في رسالته (الهدية الثمينة في ما يحفظ به المرءُ دينَه)؛ إذ قال ـ رحمه الله ـ: «لـمَّا رأيت ما عمّ وطمّ من انقلاب الأكثرين عن دين الإسلام، وموالاتهم لعبدة الأوثان وأعداء الشريعة من: النصارى، والملحدين، والرافضة، حملتني العزة الدينية والشفقة الإنسانية أن أجمع بعض آيات قرآنية وأحاديث نبوية ومن كلام علماء السُّنة المقتدى بهم، نبذةً يسيرةً في بيان تحريم مخالطة المشركين ووجوب البعد عنهم، وحكم التولي والموالاة والسفر إلى بلادهم، وما يجب على من اضطُر إلى العمل مع الشركات الأجنبية؛ لتكون تذكرة للمؤمنين وحجة على المعاندين، وسميتها: (الهدية الثمينة في ما يحفظ به المرء دينه)»[5].

وأختم هذه النماذج المباركة بإضاءة من حياة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ الذي كان ينبِّه بين وقت وآخر، في دروسه ومحاضراته وفي ردوده، على وجوب موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين. ومن ذلك ردّه على ما جاء في أحد الصحف، وهو خبر يتعلق بإقامة صلاة الجمعة في مسجد قرطبة، وذُكر فيه: إن الاحتفال بذلك يعد تأكيداً لعلاقات الأخوة والمحبة بين أبناء الديانتين: الإسلام والمسيحية، فقال ـ رحمه الله ـ في رده عليهم: «... ونظراً إلى ما في هذا الكلام من مصادمة الأدلة الشرعية الدالة على أنه: لا أخوةَ ولا محبة بين المسلمين والكافرين؛ وإنما ذلك بين المسلمين أنفسهم، وأنه لا اتحاد بين الدينين الإسلامي والنصراني؛ لأن دين الإسلام هو الحق الذي يجب على جميع أهل الأرض المكلفين اتباعُهُ، أما النصرانية فكفرٌ وضلال بنص القرآن الكريم».

ومن ذلك قوله ـ رحمه الله ـ: «... فقد نشرت بعض الصحف المحلية تصريحاً لبعض الناس قال فيه ما نصه: «إننا لا نَكِنُّ العداء لليهود واليهودية، وإننا نحترم جميع الأديان السماوية»، ولما كان هذا الكلامُ في شأن اليهود واليهودية؛ يخالف صريحَ الكتاب العزيز والسُّنة المطهرة، ويخالف العقيدةَ الإسلامية، وهو صريح يُخشى أن يغتر به بعض الناس؛ رأيت التنبيه على ما جاء به من الخطأ نصحاً لله ولعباده، فقد دلَّ الكتابُ والسُّنة وإجماع المسلمين على أنه: يجب على المسلمين أن يُعادوا الكافرين من اليهود والنصارى وسائر المشركين، وأن يحذروا مودتَّهم واتخاذهم أولياء[6]» ا. هـ.

نعم.. تلك أفعال لا أقوال، وحقائق لا أوهام، وتلك نتفٌ يسيرة من سيَر أقوام، نحسبهم ـ والله حسيبهم ـ رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فهلاَّ اتبعنا أثرهم، واقتدينا بهم في هذا الزمان الذي وهنت فيه الأمة، وضعفت شوكتها، وهانت على بنيها قبل أعدائها! وما أصابها ما أصابها إلا من ضعف تحقيق هذا الأصل العظيم: الولاء لله ورسوله والمؤمنين، والبراءة من الكفار والمشركين وأعداء الدين.

(١) المصدر السابق (١/٢٢٥).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١٤/٢٥٢).

(٣) الموالاة والمعاداة (١/١٢١).

(٤) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٢٨/٦٠١ ـ ٦٣٠). الرسالة القبرصية.

(٥) الدرر السنية (١٥/٤٦٣) وما بعدها.

(٦) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز بن باز (٢/١٧٣) وما بعدها.





كيف نحيي رسالة المسجد

شوقي عبد الله عبّاد(*)

لا يخفى على مسلم ما للمسجد من دور في حياة المؤمن؛ فهو المدرسة الأولى التي تخرَّج فيها الصحابة رضي الله عنهم. فكان لهم كبير الأثر في جميع المجالات العلمية والدعوية والقضائية والأدبية وغيرها؛ ذلك أن المسجد أدى دوره وقام برسالته التي جاء من أجلها؛ فلم يكن في عهود الإسلام الأولى دار صلاة فحسب، بل كان مع ذلك دار اجتماع لكل المسلمين، ومركزاً لإرسال السرايا والجيوش، ومنه ينطلق الدعاة إلى الله يجوبون الأرض يعلِّمون الناس الخير.

وفي هذا المقام أود التذكير برسالة المسجد، وإحياء هذه الرسالة التي كادت أن تموت، ولا سيما أننا في وقت يحارب فيه المسلم بوسائل مختلفة، وأساليب متعددة.

وهذه بضع عشرة وسيلة استخلصتها من هدي الإسلام وقواعده العامة، نستطيع من خلالها معاً أن نفعّل دور المسجد ونحيي شيئاً من رسالته؛ فإن غياب هذا الدور، واندراس تلك الرسالة، من أسباب تعرض المسلم للانجراف وراء التيارات المنحرفة المفسدة المشبوهة، التي تستهدف تضليل الناشئة بالدرجة الأولى، وإبعادهم عن دينهم وإغراقهم في أوحال الرذيلة مستخدمة في ذلك شتى الوسائل من دور سينما ووسائل إعلام وشبكات اتصال.

وسائل تفعيل إحياء رسالة المسجد:

● الوسيلة الأولى: عقد الدروس الشرعية والدورات العلمية:

وذلك بواسطة العلماء وطلاب العلم في شتى صنوف العلوم الشرعية من عقيدة وفقه وحديث وتفسير وغيرها، وذلك بين الفينة والأخرى، لا سيما في مواسم العُطَل والإجازات.

ومما يدل على أن المسجد كان مهد مثل هذه الدروس العلمية قصة أبي هريرة - رضي الله عنه - حين مر بسوق المدينة، فوقف عليها، فقال: «يا أهل السوق! ما أعجزكم! قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث رسول الله ﷺ يقسم وأنتم ها هنا! ألا تذهبون فتأخذوا نصيبكم منه! قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد. فخرجوا سراعاً، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: ما لكم؟ فقالوا: يا أبا هريرة! قد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نرَ فيه شيئاً يُقْسَم. فقال لهم أبو هريرة: وما رأيتم في المسجد أحداً؟ قالوا: بلى! رأينا قوماً يصلون، وقوماً يقرؤون القرآن، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام. فقال لهم أبو هريرة: ويحكم! فذاك ميراث محمد ﷺ»(1).

ولهذا كان الواحد من السلف، إذا أراد أن يطلب العلم، توجه أول ما يتوجه إلى بيت الله؛ فعن صفوان بن عسال المرادي - رضي الله عنه - قال: «أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد متكئ على برد له أحمر، فقلت له: يا رسول الله! إني جئت أطلب

(*) محاضر بكلية علوم الحاسب وتقنية المعلومات - جامعة الملك فيصل بالأحساء - السعودية.

(1) الطبراني في الأوسط، وحسنه الألباني (83).

العلم، فقال: مرحباً بطالب العلم، إن طالب العلم تحفّه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا، من محبتهم لما يطلب»[١].

وقد ألمح ﷺ إلى ذلك حين قال: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله»[٢] والشاهد من الحديث قوله: «في بيت من بيوت الله» وذلك لأن الغالب في حلقات القرآن وفي دروس العلم أن تكون في بيوت الله[٣].

ومن أولى أولويات الدروس العلمية: حلقات تحفيظ القرآن الكريم للناشئة؛ فما زالت مساجد المسلمين عامرة منذ القديم بمثل تلك الحلقات التي يتخرج فيها حفظة كتاب الله، وهناك بعض المساجد تجعل حلقات التحفيظ في مدرسة أو دار خاصة بالتحفيظ مستقلة عن المسجد، مستقلة عنه حسب الظروف.

● الوسيلة الثانية: إلقاء المحاضرات والندوات:

والمقصود بذلك المحاضرات التي يحتاجها المسلمون في حياتهم، وهذه تختلف عما سبق من حيث إنها لا تركز على شريحة معينة من المجتمع كطلبة العلم، بل تتوجه إلى عموم الناس: المتعلم وغير المتعلم، من النساء والرجال، وقد قال ﷺ: «إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير»[٤]، وإن من أهم المواضيع العامة التي يحتاجها الناس كلهم بيان أركان الدين الخمسة، وأعظمها الصلاة، وحث الناس على أدائها في جماعة، خصوصاً فريضة الفجر؛ فما بنيت المساجد إلا للصلاة وذِكْر الله. ومن المواضيع المناسبة في هذا الموطن ما يتعلق بالأسرة والبيت وتربية النشء ومسائل النكاح والطلاق والمشاكل الاجتماعية والأسرية التي تعاني منها كثير من بيوت المسلمين.

● الوسيلة الثالثة: إلقاء بعض الكلمات والمواعظ الموجزة:

يتم إلقاؤها بين فينة وأخرى يستفيد منها جميع روّاد المسجد خاصة أهل الحي، على أن يُراعى في ذلك كله الأوقات المناسبة حتى لا يملّ الناس، وهكذا كان هديه ﷺ؛ فقد قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: «كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا»[٥]؛ هذا وهو رسول الله ﷺ أحسن الناس موعظة، وهؤلاء هم الصحابة أحب العالمين للموعظة. وكان ابن مسعود - رضي الله عنه - يذكّر الناس كل خميس اتباعاً لهدي النبي الكريم. والمهم في هذا الأمر عدم إملال الناس وتنفيرهم، وهذا يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال؛ فقد يكون التذكير يوماً بعد يوم، أو يوماً بعد يومين، وقد يكون أسبوعياً، والضابط في ذلك كله هو الحاجة مع وجود النشاط[٦].

● الوسيلة الرابعة: إنكار المخالفات الشرعية نصحاً لعامة المسلمين:

وذلك عند وقوع أحد منهم في مخالفة داخل المسجد، وقد جاءت السنَّة بالنهي عن أمور تتعلق بالمساجد كالبيع والشراء فيها[٧]، ونشدان الضالة[٨]، ورفع الأصوات[٩]؛ ونحو ذلك. ولعلّي أضرب مثالاً واحداً لإحدى المخالفات التي أعتقد أنها منتشرة وقلّ أن يخلو منها مسجد، تلك هي المرور بين يدي المصلي، والمرء يعجب أشد العجب من تهاون الناس في هذا الأمر؛ فالمار لا يبالي كثيراً بأخيه المصلي، بل لا يبالي بإخوانه المصلين، فتجده يقطع صفوف المصلين واحداً تلو الآخر وكأنه لم يقع في محرم بَلْهَ كبيرة من كبائر الذنوب[١٠]. ومن جانب آخر تجد المصلين أنفسهم يتساهلون في عدم دفع هذا المار بين أيديهم وكأن الإثم يقع على المار فحسب، والأشد عجباً هو تخلي جمهرة المسلمين - خصوصاً أئمة المساجد - عن القيام بواجبهم في النصح والإرشاد لهذا الأمر المتكرر يومياً، وللأسف فإن المسجد الحرام أخذ النصيب الأوفر من الوقوع في هذه المخالفة الشرعية، بحجة أن بعض العلماء أجاز ذلك عند الضرورة كالزحام الشديد، ولكن الناظر لحال الناس هنالك يرى عدم التفات الناس إلى تلك الضرورة أو الحاجة، بل أصبح الأمر عادياً حتى إن البعض يمر بين يدي المصلين ذهاباً وإياباً دون أي مبالاة. هذا مثال واحد من المخالفات في بيوت الله جل وعلا، وإذا كان نشدان الضالة وإشهار السلاح ونحوها، يندر أن تقع في المساجد اليوم؛ فهناك ما هو أشد منها كإصدار النغمات الموسيقية أو الأغاني عبر الهواتف المحمولة وغيرها من الأمور التي تحرم في كل مكان فضلاً عن المساجد والتي هي أحب البقاع إلى الله.

---

(١) الطبراني وغيره، وحسنه الألباني كما في صحيح الترغيب (٧١).
(٢) مسلم في صحيحه (٢٦٩٩).
(٣) انظر شرح مسلم للنووي (١٧/٢٤).
(٤) الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٦٨٥).
(٥) البخاري في صحيحه (٦٦).
(٦) فتح الباري (١/٢١٤).
(٧) الترمذي (١٣٤٢).
(٨) المصدر السابق.
(٩) البخاري (٤٥٨).
(١٠) فتح الباري لابن حجر (١/٧٥٧) ونيل الأوطار للشوكاني (٣/٨) و انظر احكام السترة للطرهوني.

● الوسيلة الخامسة: إماتة البدع وإحياء السنن:

يجب التعاون على إماتة البدع والخرافات من المسجد إن وُجدت، ثم إحياء السنن التي أُميتت وما أكثرها! والبدع هي من المخالفات التي ينبغي القيام بالنصيحة عند حدوثها[1]، ولكني أفردتُ البدع عن سائر المخالفات لفداحة الآثار المترتبة على ارتكابها مقارنة بالمخالفات التي تم الإشارة إلى بعضها؛ فالبدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها كما قال سفيان الثوري رحمه الله، ولست بحاجة لأن أعدِّد البدع، بل الشركيات المتفشية في مساجد المسلمين ودور عبادتهم؛ فمن أخطر البدع - وهذا على سبيل المثال لا الحصر - التي لا تزال للأسف موجودة في مساجد المسلمين دفن الأموات - لا سيما من يُعتقَد فيه الصلاح والخير - إما في قبلة المسجد، وهذا أشنعها، أو في طرف منه، أو في صحنه، أو حتى في فنائه، وكذلك العكس أي إقامة المسجد وبنائه على قبر، ولم يكن هذا تعامل السلف الصالح مع القبور إطلاقاً، بل إن الذي أحدث المشاهد، وعظّم القبور في ملة الإسلام هم المبتدعة[2]. ومما يدل على خطورة هذا الأمر أن التحذير من الوقوع فيه كانت آخر وصايا النبي ﷺ حيث قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[3].

وإن مما يندى له جبين المؤمن تلك الإحصائيات المروّعة، حول انتشار هذه البدعة في مساجد المسلمين حول العالم[4]؛ وهذا يحتم علينا جميعاً التكاتف في تحذير الناس منها، والرفع إلى من يهمه الأمر بخطر مثل هذه البدع المفضية ولا شك إلى الشرك الأكبر، هذا مثال واحد من أعظم البدع ناهيك عند البدع الأخرى التي تكثر في المساجد وبدع الاحتفالات بالمناسبات الحولية، مثل الاحتفال بالمولد النبوي، أو الاحتفال بليلة النصف من شعبان، أو غيرها من المناسبات، وكذلك البدع المتعلقة بالأذان وبالأذكار دبر الصلوات، وكلها مما ينبغي التعاون على إزالته، فوالله لو لم نجنِ من تفعيل دور المسجد إلا تطهير بيوت الله من مثل هذه الخزعبلات لكفى. ولا ينبغي تهوين مثل هذه الأمور والنظر إليها بعين التساهل لعلاقتها الوثيقة بجناب التوحيد والذي بسلامته ينجو الإنسان من النار ويدخل الجنة، نسأل الله من فضله.

وبعد إماتة البدع[5] ينبغي العمل على إحياء السنن الخاصة بالمساجد، وهي كثيرة، وإنما تُركَت لتعلق الناس بالبدع، وينبغي التدرج في إحياء السنن في المسجد وتقديم الأهم فالمهم، حتى لا ينفر الناس من السنَّة أو ينكروها؛ فالسنن المتعلقة بصفة الصلاة وتسوية الصفوف مثلاً تُقدَّم على سنن الدخول إلى المسجد والخروج منه، وهذا الأمر يحتاج إلى فقه المقاصد وفقه المصالح والمفاسد، ومن لم يكن ذا مَكِنَة فلا يتجشم عناء التغيير، فقد يُفْسِد أكثر مما يُصْلِح.

● الوسيلة السادسة: جمع التبرعات والصدقات للمحتاجين في الأرض المحتلة:

والمقصود هو الدعم المالي المتواصل للمحتاجين من الأسر الفقيرة القاطنة بالحي، ولدعم المشاريع الخيرية أو لقضايا المسلمين في الخارج، وكان من هدي النبي ﷺ الدعوة إلى الدعم المالي للكيان المسلم في المسجد، كما في دعوته للإنفاق في غزوة تبوك[6]، ودعوته للتبرع حين جاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار[7]، وكان إذا جاءه مال الغنيمة، أو الفيء، نثره في المسجد يقسمه بين الناس، وبوّب على ذلك الإمام البخاري فقال: باب القسمة وتعليق القِنْوِ في المسجد[8]، قال ابن رجب: «المقصود بهذا الباب: أن المسجد يجوز أن يوضع فيه أموال الفيء، وخُمُس الغنيمة، وأموال الصدقة، ونحوها من أموال الله التي تقسم بين مستحقيها»[9]، وكان الصحابة - رضي الله عنهم - يأخذون صدقاتهم إلى المسجد لعلهم يجدون من يأخذها منهم من فقراء المسلمين كما في قصة يزيد بن الأخنس - رضي الله عنه - حين أخذ صدقته إلى المسجد ليتصدق بها[10]. وجاء في وصف سبعين من خيار الصحابة أنهم كانوا يشترون طعاماً لأهل الصُّفَّة القاطنين بالمسجد[11]، وقال يزيد بن أبي حبيب: كان مرثد بن أبي عبد الله اليزني - ويكنى بأبي الخير - أول أهل مصر يروح إلى المسجد، وما رأيته داخلاً المسجد قط، إلا وفي كُمِّه صدقة: إما فلوس، وإما خبز، وإما قمح يتصدق به[12]. فهذه نماذج تدل على مكانة المسجد، ودوره في تدعيم الجانب الاقتصادي للمسلمين، وأن الصدقات والتبرعات وما شابهها كانت تنطلق منه[13].

---

(١) انظر الوسيلة الرابعة.

(٢) منهاج السنة لابن تيمية.

(٣) البخاري (٤١٨) ومسلم (٨٢٧).

(٤) انظر هذه الإحصائيات في كتاب (دمعة على التوحيد) من إصدارات المنتدى الإسلامي.

(٥) إنما جعلت إحياء السنن بعد إماتة البدع من باب (التخلية قبل التحلية).

(٦) تفسير الطبري: سورة التوبة (٧٩).

(٧) مسلم (١٦٩١).

(٨) البخاري (١/٥١٦)، القِنْوُ: العذق بما فيه من الرُّطب. والعذق: الغصن. والرُّطَب: ثمر النخيل قبل أن يصبح تمراً.

(٩) فتح الباري لابن رجب (٣/١٥٤).

(١٠) البخاري (١٣٣٣).

(١١) البخاري (٢٨٦٠) ومسلم (٦٧٧).

(١٢) ابن خزيمة بسند حسن، وصححه الألباني في صحيح ابن خزيمة (٢٤٣٢).

(١٣) وانظر تفسير القرطبي: سورة الجن (١٨).

ولعل ما يمر به العمل الخيري من تضييق الخناق عليه، ومن حملات مسعورة تدعو لإيقافه، محفز لنا لإحياء دور المسجد في هذا الجانب، وتفعيل ذلك الدور ولو على المستوى الفردي، وإني على يقين جازم أنه لو اعتنى كل مسجد بهذا الجانب، وقام بأداء رسالته كما كانت في العهد الأول، مع شيء من التنظيم والترتيب الذي يتطلبه مثل هذا العمل، من حيث التوزيع الدقيق للمستحقين، وصرف الصدقات في أبواب البر التي يحتاجها المجتمع، وقبل ذلك وبعده الإخلاص لله في ذلك، لانتفع كثير من المحتاجين، وسُدَّت أفواه، وأُشبعت بطون.

● الوسيلة السابعة: بناء المساجد وتشييدها:

والنصوص الدالة على فضل بناء المساجد كثيرة، من أشهرها حديث عثمان - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بنى مسجداً لله يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة»[1]، وفي رواية «بنى الله له مثله في الجنة». وإن التوسع العمراني في المدن من أهم الدواعي في الإكثار من بناء المساجد وتشييدها، فينبغي حث أهل الغنى والجِدَة على بناء المساجد خصوصاً في المناطق النائية، أو المجمعات السكنية التي يقطنها أعداد كبيرة من المسلمين، وكذلك الشركات التجارية الضخمة، التي يرتادها مئات الموظفين يومياً.

ومن أهم المحاذير المتعلقة بتشييد المساجد والتي ينبغي الحذر منها: الإسراف والتبذير في البناء ومتعلقاته، ومن أبرز مظاهر التبذير التي قلّ أن يخلو منها مسجد: الزخرفة والتزيين؛ فإن ذلك فضلاً عن أنه منهي عنه[2]؛ ففيه من الإسراف والتبذير الشيء الكثير، بل فيه إضاعة لأموال المسلمين فيما لا فائدة فيه، وقد نُهينا عن إضاعة المال[3] بالإضافة إلى إشغال المصلي عن صلاته التي هي سبب وجود المسجد، والأَوْلى صرف مثل هذه الأموال في ما يتطلبه المسجد من حاجات بعد البناء كترميمه، أو تنظيفه، أو نحو ذلك.

● الوسيلة الثامنة: عمارة المسجد الحسيّة:

لا شك أن الاهتمام بعمارة المسجد الحسِّية من شعائر الله التي أمرنا بتعظيمها. قال الله - تعالى -: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [النور: ٣٦]، قال قتادة: هي هذه المساجد أمر الله - سبحانه وتعالى - ببنائها وعمارتها ورفعها وتطهيرها[4]. وفسر مجاهد رفعها ببنائها[5]: فيدخل في رفعها، بناؤها، وكنسها، وتنظيفها من النجاسات والأذى[6].

ومما يدخل في الاهتمام بالعمارة الحسية للمساجد العناية بتنظيفها وتطييبها بين فينة وأخرى؛ إذ المساجد هي أحب البقاع إلى الله جل وعلا[7]؛ فهي أَوْلى بالتنظيف والرعاية من غيرها. قالت عائشة - رضي الله عنها: «أمرنا رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور، وأن تنظّف وتطيّب»[8]، وبيّن النبي ﷺ أن التفل في المسجد خطيئة وأن كفارتها دفنها[9]. ومن ذلك أيضاً أن لا يأتيها الإنسان وهو متلبس برائحة كريهة تصدر من جسمه أو ثوبه أو فمه تتأذى بها ملائكة الرحمن، ويتأذى إخوانه المصلون؛ ففي الحديث: «من أكل من هذه الشجرة - يعني الثوم - فلا يأتينّ المساجد»[10]، وبيّن في حديث آخر علة هذا النهي المتمثلة في إيذاء الملائكة وبني آدم من هذه الروائح[11]. والأحاديث والآثار الواردة في الأمر بتنظيف المساجد وتطييبها كثيرة، ويتأكد هذا الأمر في حال اجتماع الناس أوقات الصلاة، أو يوم الجمعة، أو في رمضان، ونحوها من المناسبات.

كما ينبغي توفير وسائل الراحة لرواد بيت الله كبرادات مياه الشرب، وأجهزة التكييف خصوصاً أثناء فترة الصيف في البلاد الحارة خاصة، وكذلك السخانات الكهربائية وأجهزة التدفئة في فترة الشتاء، وأدوات التنظيف والكنس الحديثة، وغيرها من نِعَم الله التي أنعم بها علينا، والتي لم تكن متوفرة إلى عهد قريب، بل ولا تزال كثير من مساجد الله خالية منها؛ فقد كان الخدَم في سالف العهد، يُكلّفون بتنظيف المسجد، وكنسه بأيديهم، وبوّب الإمام البخاري في صحيحه فقال: باب الخدَم للمسجد، وذكر حديث المرأة السوداء التي كانت تقمُّ مسجد رسول الله ﷺ[12]، وفي بعض طرق الحديث أنها كانت تلتقط العيدان والخرق بيديها[13].

ولا يظنن ظان أننا نهمل عمارة المسجد المعنوية بذكرنا للعمارة الحسية، بل إن الأمر على النقيض من ذلك؛ فإن الله - عز وجل - جمع العمارتين في آية واحدة، فقال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ...﴾ [التوبة: ١٨] الآية. وما ذكرنا من وسائل لإحياء دَوْر المسجد هي صور للعمارة المعنوية للمسجد، ولذلك فإن المقصود من إفراد العمارة الحسية للمسجد بالذكر من باب كونها سبباً في تحصيل العمارة المعنوية التي اهتم بها الشارع الحكيم.

---

(١) البخاري (٤٣١) ومسلم (٨٢٨).
(٢) أبو داود (٤٤٩) وابن ماجه (٧٣٩) وغيرهما.
(٣) البخاري (٦٨٦٢) ومسلم (١٧١٥).
(٤) تفسير ابن كثير: سورة النور (٣٦).
(٥) تفسير القرطبي: سورة النور (٣٦).
(٦) تفسير ابن سعدي: سورة النور (٣٦).
(٧) مسلم (١٠٧٦).
(٨) أبو داود (٣٨٤) وابن ماجه (٧٥١) بأسانيد صحيحة.
(٩) مسلم (٨٥٨).
(١٠) البخاري (٨٠٦) ومسلم (٨٧٦).
(١١) مسلم (٨٧٦).
(١٢) البخاري (٤٥٨) و (٤٦٠).
(١٣) فتح الباري لابن حجر (١/٧١٥).

● **الوسيلة التاسعة: العناية بمصليات النساء:**

ويشمله كل ما يشمل مصلى الرجال، مع مراعاة الفوارق الشرعية؛ فقد كان ﷺ يهتم بشأن النساء في المسجد، فأذن لهن في الحضور إلى المسجد، ونهى عن منعهن من ذلك[1]، مع إشارته إلى أن صلاتها في بيتها خير من صلاتها في المسجد[2].

ومع إذن الشارع الحكيم للنساء بشهود جماعة المسلمين بالمسجد إلا أنه حدّ حدوداً لا ينبغي تجاوزها، ومن تلك الحدود منع النساء من حضورهن متزينات متعطرات، فقال ﷺ: «وليخرجن تَفِلات»[3]، وفصلهن عن صفوف الرجال درءاً لوقوع ما لا تحمد عواقبه، وكان من هديه ﷺ تخصيص يوم للنساء يعظهن فيه ويذكّرهن[4].

ومما يؤسف له أن الكثير من المساجد لا تعطي مصليات النساء أهمية كبيرة؛ فمن المساجد ما لا يوجد فيه مكان خاص للنساء أصلاً فضلاً عن أن يُهتم به، ومن المساجد ما لا تعير مصلى النساء اهتماماً، من حيث تنظيفه وتطييبه، بل تجده مهجوراً، وكأنه ليس تابعاً للمسجد، ومن مصليات النساء ما لا يُفتح إلا أياماً محددة كالجمعة من الأسبوع أو رمضان من السنة فحسب؛ وكأن النساء لسن شقائق الرجال كما جاء في الحديث[5].

إنني أنصح القائمين على بيوت الله أن يعيدوا النظر في أحوال المصليات النسوية بالمساجد، وأن ينظروا ما تحتاجه تلك المصليات، حتى تقوم بدورها كجزء مهم من أجزاء المسجد، وإذا كان هذا الأمر مهمّاً في الماضي فهو أكثر أهمية في الحاضر مع اشتداد الهجمة على المرأة المسلمة وثوابتها.

● **الوسيلة العاشرة: تعويد الصبيان على ارتياد المسجد:**

لا سيما المميزين منهم؛ مع تعليمهم آداب المسجد، وكان الصبيان - المميِّز منهم وغير المميِّز - في عهد السلف يدخلون المسجد، وكل ما ورد من أحاديث في منع الصبيان من دخول المسجد فلا تصح ويردُّها فعل النبي ﷺ وفعل الصحابة، ولا ينبغي تنفير الأولاد من بيوت الله بحجة أنهم مصدر إزعاج للمصلين، أو سبب لذهاب الخشوع في الصلاة؛ فهذه حجج واهية، وما وسع الصحابة ينبغي أن يسعنا، ومثل هذا الإزعاج إن صدر يمكن معالجته بأساليب صحيحة أخرى، غير الطرد من المسجد، فإن الطرد فيه مفاسد كثيرة، أولها بُغض الصبي للمسجد، ونفرته منه، لا سيما إذا كبر، وكفى بهذه مفسدة، والشارع الحكيم حرص على ترغيبهم في الصلاة بالمسجد لا تنفيرهم منه، بالإضافة إلى أن تعويدهم الحضور للمسجد، فيه فوائد أخرى عدا أداء الصلاة، ومن ذلك رؤيتهم منظر التلاحم بين المسلمين بمختلف فئاتهم، ولمسهم معالم التآخي بين المصلين، فينشؤون على مثل هذه المفاهيم، وإذا حضروا الجمعة تعلموا أدب الإنصات وحُسن الاستماع، هذا إذا كانوا غير مميِّزين، أما المميِّز منهم فإنه لا شك أنه سيستفيد مما يسمع من خطبة أو محاضرة، وسيتعلم الأحكام الشرعية، والآداب الإسلامية، والتي سينقلها إلى أهل بيته لاحقاً؛ فإن الاستجابة في الناشئة أسرع منها في الكبار[6]، وكما قال الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان منا
على ما كان عوّده أبوهُ

● **الوسيلة الحادية عشرة: مكتبة المسجد:**

إن إنشاء مكتبة للاستعارة والمطالعة بداخل المسجد تحت إشراف طلبة العلم المميزين، أو بجانبه، من مستلزمات إقامة الدروس العلمية، والدورات الشرعية، التي سبقت الإشارة إليها[7]، فلا شك أن طلبة العلم الذين يفترض حضورهم للمسجد، من أجل الدروس والمحاضرات، سيحتاج أكثرهم لشيء من الكتب والمراجع الموثوقة، ويحذر من كتب المبتدعة وأهل الضلال.

- ويجب تشجيع أهل المسجد ورواده على زيارة المكتبة، وحثهم على القراءة؛ إذ هي الغاية من وجود المكتبة.

- تحديد أوقات معلومة لفتح المكتبة وإغلاقها، ووضع نظام للاستعارة، وكذلك الإعلان عن كل مادة جديدة في المكتبة من كتب وأشرطة كاسيت وأقراص حاسوبية ونحوها.

● **الوسيلة الثانية عشرة: تعيين أئمة وخطباء من أهل العلم والإصلاح:**

إن كل ما ذكر من وسائل لتفعيل دور المسجد متوقف على طبيعة القائمين على بيوت الله، ويأتي في أولهم إمام المسجد وخطيبه، وكذلك مؤذنه، والأصل في هذه الوسيلة هو قوله ﷺ: «يؤمُّ القوم أقرؤهم لكتاب الله ..»[8]، ففيه بيان أهمية هذه الولاية، وأنه ليس كل أحد أحق بها، وأكثر كتب الحديث وكتب

---

(١) مسلم (٦٦٨).
(٢) ابن خزيمة، وحسنه الألباني في صحيح ابن خزيمة (١٦٨٩).
(٣) أحمد بسند صحيح كما قال أحمد شاكر، تَفِلات: أي غير متعطرات: قال ابن منظور في لسان العرب: التَّفَل: تَرْك الطِّيب.
(٤) البخاري (٩٩).
(٥) صحيح الجامع (٢٣٣٣).
(٦) انظر ما يتعلق بدخول الأولاد المسجد في أحكام حضور المساجد لعبد الله بن صالح الفوزان.
(٧) انظر الوسيلة الأولى.
(٨) مسلم (١٠٧٨).

الفقه تحدثت عن الإمامة والخطابة والأذان في أبواب خاصة، حيث يتم ذكر الصفات الواجب توفرها في كل من إمام المسجد، وخطيبه ومؤذنه، بل أُفرِدَ هذا الأمر بالتصنيف في كتب مستقلة لأهمية الدور المنوط بهؤلاء القائمين على بيوت الله. يقول الشيخ خير الدين وانلي: «ولا يمكن للمسجد أن يقاوم السينما والمدارس التبشيرية واللادينية إلا إذا كان المسؤولون عنه ذوي مستوى عالٍ من الثقافة الإسلامية والنخوة الإسلامية والوعي الإسلامي، وإلا إذا حرصت وزارات الأوقاف الإسلامية على العناية بإعداد هؤلاء المسؤولين وكلما كان المسؤولون عن المسجد محتسبين لوجه الله كانت الفائدة منهم أكبر»[1].

ولعل من الأساليب الحديثة في إعداد مسؤولي المساجد، عقد الدورات التدريبية لهم خصوصاً للأئمة منهم بهدف تعليمهم ما قد يجهلونه من أحكام تخص المسجد وتنمية معارفهم، وهذا التثقيف والتحصيل من متطلبات الولاية التي تقلدوها، وإلا فإن فاقد الشيء لا يعطيه؛ إذ كيف نرجو قيام المسجد برسالته، وبدوره الفعال، والقائمون على المسجد من أجهل الناس، وأدناهم ثقافة ووعياً؟

ولعل من أحسن الأمثلة الدالة على الثمرة اليانعة من تطبيق هذه الوسيلة، ما ذكره الشيخ محمد لطفي الصباغ من قيامه في فترة شبابه أثناء دراسته النظامية بجامعة دمشق - الجامعة السورية قديماً - قيامه مع عدد من إخوانه الصالحين بإعادة مسجد الجامعة الذي حولته القوات الفرنسية إلى بار، ومن ثم إلى مستودع، أعادوه إلى ما كان عليه قبل دخول الفرنسيين[2]، ثم قاموا بتشكيل لجنة تُعنى بالمسجد وأموره، فنظموا البرامج التوعوية والأنشطة العلمية، في فترة عصيبة كانت بلاد الشام تعيش بين نارين: التيارات الفكرية المنحرفة والطرق الصوفية المبتدعة، فاستضافوا أهل العلم لإلقاء الكلمات والمحاضرات بالمسجد، كالشيخ مصطفى السباعي والشيخ مصطفى الزرقا[3]، وراسلوا العلماء للإجابة عن أسئلة الناس واستفساراتهم، ولا سيما تلك التي تتعلق بالسنن والبدع، فراسلوا الشيخ الألباني للإجابة عن أسئلة الناس واستفساراتهم. يقول الألباني في مقدمة رسالته (الأجوبة النافعة عن أسئلة مسجد الجامعة) متحدثاً عن ذلك المسجد مثنياً على لجنته.

● الوسيلة الثالثة عشرة: تفعيل أمر الأوقاف:

من أهم مزايا الوقف في الشريعة الإسلامية أنه مستمر لا ينقطع ودائم لا يتوقف، وبهذا يتم الحفاظ على حياة الجهات التي أوقف عليها، وتاريخ الإسلام حافل منذ القدم على الوقف في وجوه البر المختلفة من مساجد ودور علم ومدارس ومستشفيات ورعاية أيتام وغيرها، حتى أصبح هناك ديوان في عصر الأيوبيين والمماليك خاص لأوقاف المساجد[4]، وكان كثير من الصحابة والتابعين من الحكام والمحكومين يحبسون - يوقفون - ما يقدرون عليه من أموالهم في سبيل الله، وإذا كان العلماء اختلفوا في مشروعية الوقف على أمور معينة فقد اتفقوا على مشروعية الوقف على المساجد ودور العبادة[5].

والواجب على أهل المسجد تفعيل دور الأوقاف كوسيلة لإحياء رسالة المسجد من ناحيتين:

الأولى: نشر ثقافة الوقف على المساجد، وما يتعلق بها من دروس علمية، وحلقات لتحفيظ القرآن، ومكتبات ونحوها، وتوعية الناس بها وحثهم على ذلك.

الثانية: العناية بأوقاف المساجد، والاهتمام بها، والحرص عليها من عبث العابثين؛ فإن الكثير من أوقاف المساجد لا يَرجِع رَيْعُها إلى المساجد، وإن عاد من ذلك شيء فهو نزر يسير جداً، لأن جُلّ هذه الأوقاف قد اندرست أو اغتُصبت، فإذا حرص القائمون على المسجد بالاعتناء بأوقاف المسجد، وضمان أن تعود ثمرة الوقف إلى المسجد، لا إلى جهات أخرى، فإن ذلك سوف يسهم في تأدية المسجد لدوره في الحياة.

● الوسيلة الرابعة عشرة: اللقاءات مع أهل الحي:

إن قيام المسجد بأنشطة مختلفة: علمية ودعوية واجتماعية وثقافية وغيرها يتطلب تقييماً لمثل هذه الأنشطة بين فترة وأخرى؛ لأنها تبقى أولاً وأخيراً أعمالاً بشرية، يعتريها النقص ويكتنفها الخلل، ومن أحسن الأساليب لعمل مثل ذلك التقييم، عقد لقاء دوري يجمع أهل الحي بإمام المسجد أو من ينوب عنه، لمراجعة أحوال المسجد وشؤونه. ومن فوائد مثل هذا اللقاء ما يلي:

- سد أي خلل أو نقص فيما يتعلق بشؤون المسجد عموماً ولا سيما الأنشطة سالفة الذكر.
- الاستفادة من مقترحات أهل الحي وآرائهم.
- تشجيع المبادرات المتميزة بالمسجد ومكافأة من يقوم بها.
- الاطلاع على أنشطة وبرامج المساجد الأخرى للاستفادة منها.

والله أسأل أن ينفع بهذه الوسائل قارئها والعاملين عليها والمشاركين في قيامها ابتغاء مرضاة الله.

---

(١) المسجد في الإسلام، لخير الدين وانلي.
(٢) انظر الوسيلة السابعة.
(٣) برنامج (صفحات من حياتي) بقناة المجد الفضائية ١٤٦٢/٨/٢٧هـ.
(٤) محاضرات في الوقف لمحمد أبو زهرة.
(٥) تفسير القرطبي: سورة الجن (١٨)، حاشية الروض المربع، لابن قاسم (٥/٥٣٠).



محمد بن عبد الله السحيم(*)



الشجاعة

إن مما اتفق على استحسانه وامتداح صاحبه خلقي الشجاعة والكرم، وعليهما كان يدور عامة فخر الشعراء ومدحهم، والعكس بضده، والقضايا التي يتفق عليها بنو آدم لا تكون إلا حقاً(١)، وقد جاء الشرع بتأييد هذا، وتوجيهه وتهذيبه، قولاً في الوحيين، وتطبيقاً من سيد المرسلين ﷺ، ومنهجاً في سيرة سلف الأمة وهداتها؛ فبهما فضَّل الله السابقين فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠](٢).

يقول ابن كثير: «وقد كان للصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في باب الشجاعة والائتمار بأمر الله، وامتثال ما أرشدهم إليه، ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم، ولا يكون لأحد ممن بعدهم؛ فإنهم ببركة الرسول ﷺ، وطاعتهم فيما أمرهم، فتحوا القلوب والأقاليم شرقاً وغرباً في المدة اليسيرة، مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم من الروم، والفرس، والصقالبة، والبربر، والحبش، وأصناف السودان، والقبط، وطوائف بني آدم، قهروا الجميع حتى علت كلمة الله، وظهر دينه على سائر الأديان، وامتدت الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، في أقل من ثلاثين عاماً»(٣).

وأخبر الرسول ﷺ أن شرَّ خلال المرء الجبن والبخل؛ فقال: «شر ما في رجل شح هالع، وجبن خالع»(٤)، واستعاذ من ذلك فيما يكرره من دعائه الذي يقول فيه: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم والبخل»(٥)، وأخبر عن نفسه حين خُطِفَ رداؤه بعد قفلته من حنين، فقال: «أعطوني ردائي! لو كان لي عدد هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً»(٦)، ووصفه ملازمه وخادمه أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ فقال: «كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأشجع الناس، وأجود الناس، ولقد فزع أهل

(*) رئيس محكمة شرورة بجنوب المملكة.
(١) انظر: فتاوى شيخ الإسلام: (٢٨/١٥٤).
(٢) المرجع السابق: (٢٨/١٥٤).
(٣) تفسير ابن كثير، ص (٨٤٦).
(٤) رواه أبو داوود: (٢٥١١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٣٧٠٩).
(٥) رواه البخاري: (٢٨٢٣)، ومسلم: (٢٧٠٦)، وانظر التمهيد لابن عبد البر: (١٦/٢٥٣).
(٦) رواه البخاري: (٢٨٢١)، ومعناه: شجر ذو شرك. فتح الباري: (٦/٤٤).

المدينة فكان النبي ﷺ على فرسه، وقال: وجدناه بحراً»[1]، بل إن هاتين الصفتين - الكرم والشجاعة - هما الجهاد بالنفس والمال في سبيل الله؛ يقول شيخ الإسلام - رحمه الله -: «وقد ذكر الجهاد بالنفس والمال في سبيله، ومدحه في غير آية من كتابه، وذلك هو الشجاعة والسماحة في طاعته - سبحانه -»[2]. وعليها تأسيس الفضائل، يقول ابن القيم - رحمه الله -: «وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل»، ثم قال: «والشجاعة تحمله على عزة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشيم، وعلى البذل والندى، الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته، وتَحْمِلُه على كظم الغيظ والحلم؛ فإنه بقوة نفسه وشجاعتها يمسك عنانها، ويكبحها بلجامها عن النزغ والبطش، كما قال النبي ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب». وهو حقيقة الشجاعة، وهي ملكة يقتدر بها العبد على خصمه»[3].

يقول الطرطوشي: «واعلم أن كل كريهة ترفع، أو مكرمة تكتسب لا تحقق إلا بالشجاعة»[4]، وقال الأبشيهي: «اعلم أن الشجاعة عماد الفضائل، ومن فقدها لم تكمل فيه فضيلة يعبر عنها بالصبر وقوة النفس. قال الحكماء: وأصل الخير كله في ثبات القلب»[5].

ونظراً لاتساع نطاق هذه الأخلاق، وتغلغلها في عروق ممارسات الناس الجالبة للخير والدارئة للشر قولاً وفعلاً؛ يقول شيخ الإسلام - رحمه الله -: «ولما كان صلاح بني آدم لا يتم في دينهم ودنياهم إلا بالشجاعة والكرم؛ بيّن - سبحانه - أن من تولى عن الجهاد بنفسه أبدل الله به من يقوم بذلك؛ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]»[6].

ولا شك أن صلاح الدين والدنيا أساس السعادة، وللشجاع وقرينه الكريم من ذلك النصيب الوافر إن حققاهما على مراد الشرع؛ يقول ابن القيم - رحمه الله -: «فإن الشجاع منشرح الصدر، واسع البطان، متسع القلب، والجبان أضيق الناس صدراً، وأحصرهم قلباً، لا فرحة له ولا سرور، ولا لذة له إلا من جنس ما للحيوان البهيمي، وأما سعد الروح ولذتها، ونعيمها وابتهاجها، فمحرم على كل جبان كما هو محرم على كل بخيل»[7].

والحاجة إليهما في وقت الفتن والشدائد أشد وأشد؛ يقول شيخ الإسلام: «فهذه الأخلاق (الشجاعة والسماحة) والأفعال يحتاج إليها المؤمن عموماً، وخصوصاً في أوقات المحن والفتن الشديدة؛ فإنهم يحتاجون إلى صلاح نفوسهم، ودفع الذنوب عن نفوسهم عند المقتضى للفتنة عندهم، ويحتاجون أيضاً إلى أمر غيرهم ونهيه بحسب قدرتهم، وكل من هذين فيه من الصعوبة ما فيه، وإن كان يسيراً على من يسره الله عليه، وهذا لأن الله أمر المؤمنين بالإيمان والعمل الصالح، وأمرهم بدعوة الناس وجهادهم على الإيمان والعمل الصالح»[8]. وتزداد حاجة الفرد إليها أكثر حينما يكون كبير قوم، فمن الفوائد التي ذكرها الحافظ في شرح حديث (٣١٤٨): «وفيه ذم الخصال المذكورة، وهي: البخل والكذب والجبن، وأنَّ إمام المسلمين لا يصلح أن يكون فيه خصلة منها»[9].

تلكم المقدمة على طولها وميض مختصر في بيان منزلة الشجاعة وقرينها الكرم، وفيما سيأتي سيحصر الكلام على مسائل الشجاعة، وهي كالتالي:

أولاً: ما هي الشجاعة؟

جاء في اللسان: «الشجاعة: شدة القلب في البأس»[10]، وبتفصيل أكثر يقال: الشجاعة: «الإقدام بصبر وثبات على الأمور النافع تحصيلها أو دفعها»[11].

وهذا التعريف شامل لعناصر الشجاعة، وأصلها، ومجالاتها.

ثانياً: عناصر الشجاعة:

ثمت خلط لدى الكثير في تحديد عناصر الشجاعة المكونة لها، مما أدى إلى تداخل مفهوم الشجاعة بغيره من الجرأة والتهور وشجاعة اليأس؛ فما هي عناصر الشجاعة؟

بالنظر إلى التعريف السابق، يلوح أن للشجاعة خمس دعائم

---

(١) رواه البخاري: (٢٨٢٨). ومعنى «وجدناه بحراً» أي: واسع الجري. السابق.
(٢) الفتاوى: (٢٨/١٥٨).
(٣) مدارج السالكين: (٢/٣٠٨)، نقلاً عن التربية الجهادية للجليل، ص (١٤١ - ١٤٢)، تسجيل النظر للماوردي: ص (١٣ - ١٤) نقلاً عن: منهج النبي ﷺ في الدعوة، للأستاذ الدكتور محمد أمحزون، ص (٨٦ - ٨٧). والحديث رواه مسلم: (٢٦٥٩).
(٤)، (٥) نضرة النعيم: (٦/٢٣٢٣).
(٦) الفتاوى: (٢٨/١٥٧).
(٧) زاد المعاد: (٢/٢٦).
(٨) الفتاوى: (٢٨/١٦٥).
(٩) فتح الباري: (٦/٣٠٥).
(١٠) لسان العرب: (٨/١٧٣).
(١١) انظر: الرياض الناظرة لابن سعدي، ص (٥٤)، نقلاً عن: نضرة النعيم: (٦/٢٣٢٢).

تقوم عليها، إن اختل منها واحد لم يصدق مسمى الشجاعة على ذلك الفعل أو القول، وهي:

١ ـ العلم بنفع الفعل أو القول (قنوات الشجاعة):

يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «والمحمود منها [أي من الشجاعة] ما كان بعلم ومعرفة؛ دون التهور الذي لا يفكر صاحبه ولا يميز بين المحمود والمذموم، ولهذا كان القوي الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب حتى يفعل ما يصلح، فأما المغلوب حين غضبه فليس بشجاع ولا شديد»[١].

والعلم إما أن يكون بيقين أو غلبة الظن، والنفع إما أن يكون نفعاً بلا مضرة مطلقاً، أو بوجودها وتغليب المصلحة الراجحة عليها، أو بدفعها تغليباً على المصلحة المرجوحة؛ تطبيقاً للقاعدة المقررة شرعاً: «يختار أهون الشرين لدفع أقواهما».

«فالشجاعة المحمودة تتوسط خلقين مذمومين، وهما الجبن والتهور»[٢]. وهكذا ينبغي تناول العلم بشقيه الشرعي والواقعي[٣]؛ بأن تكون القناة غير مخالفة للشرع، ممكنة التطبيق والتعلم، بعد الاستخارة والاستشارة.

٢ ـ الإقدام:

بأن يُقدِمَ على الشجاعة مختاراً بعد علمه، فأما المغلوب على أمره فليس بشجاع كما تقدم، والإقدام إما أن يكون تحركاً لتحصيل النفع ومبادرة إليه، وإما ان يكون مُلازِمَاً له وثابتاً عليه، كثبوت الإمام احمد على القول بعدم خلق القرآن في تلك الفتنة الشعواء.

٣ ـ وجود المخاطر والمخاوف والمكاره:

وهذا ما يستدعي الصبر والثبات؛ فالإقدام في غير مخاطرة لا يعتبر من الشجاعة، بل هو نشاط وهمة[٤].

فالشجاعة في القتال يكتنفها القتل والأسر والجرح، والشجاعة في طلب العلم يعتريها التعب وغلظة المعلم وقلة ذات اليد، والشجاعة في التجارة يعتريها الخسارة والسلب والغش، وهكذا تتعدد المخاوف وتتفاوت وتتباين في كل مجال توجد فيه.

٤ ـ الصبر:

يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «وقد تقدم أن جمع ذلك [أي الشجاعة] الصبر. والصبر صبران؛ صبر عند الغضب، وصبر عند المصيبة، كما قال الحسن: «ما تجرع عبد جرعة أعظم من جرعة حلم عند الغضب، وجرعة صبر عند المصيبة»، وذلك لأن أصل ذلك هو الصبر على المؤلم. وهذا هو الشجاع الشديد الذي يصبر على المؤلم»[٥].

قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لبعض بني عبس: «كم كنتم في يوم كذا؟ قال: كنا مائة، لم نكثر فنتواكل ونفشل، ولم نقل فنُذل. قال: فبِمَ كنتم تظهرون على أعدائكم ولستم بأكثر منهم؟ فقال: كنا نصبر بعد الناس هنيهة»[٦].

فيقول الشاعر[٧]:

ويومٍ كأن المصطلين بحرِّه ... وإن لم يكن نار قيام على الجمرِ

صبرنا له حتى تقضّى، وإنما ... تُفرّجُ أيام الكريهة بالصبرِ

وقيل: الشجاعة صبر ساعة.

«وأحسن ما وصف به الصبر أنه حبس النفس عن المكروه، وعقد اللسان عن الشكوى، والمكابدة في تحمله، وانتظار الفرج»[٨]. فمن رام خير عيش فليلزم الصبر، كما قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: «وجدنا خير عيشنا بالصبر»[٩].

٥ ـ الثبات:

وذلك أن الأمر مكتنف بالمخاوف والمكاره، فربما صبر المرء في أوله وخار بعده، فلابد من ثبات لتحصيل المراد، ولا سيما أنه أقدم عليه بعد كدحٍ نفعه، وخوض لججه، وينبغي ألاّ تشغله المكاره عن تلمس طرق الفرج؛ إذ ذاك من الصبر والثبات عليه، قال هشام لمسلمة: «يا أبا سعيد، هل دخلك ذعرٌ قط لحرب أو عدو؟ قال: ما سلمت في ذلك من ذعر ينبّه على حيلة، ولم يغشني فيها ذعر سلبني رأيي، قال هشام: هذه البسالة»[١٠].

تلكم هي الدعائم الخمس التي يقوم عليها قصر الشجاعة العتيد، فإن نقص أحدها أو سقط، فلا قيام لذلك البناء.

ثالثاً: أصلها:

الشجاعة خلق محله القلب، ويظهر أثره في الأفعال والأقوال والتروك، يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «والشجاعة ليست هي قوة البدن، وقد يكون الرجل قوي البدن ضعيف القلب، وإنما هي قوة القلب وثباته»[١١].

---

(١) الفتاوى: (٢٨/١٥٨).

(٢) الرياض الناظرة، وقد سبق.

(٣) انظر: إعلام الموقعين: (١/٦٩).

(٤) انظر: الأخلاق الإسلامية: عبد الرحمن حبنكة: (٢/٥٨٦).

(٥) الفتاوى: (٢٨/١٥٨ ـ ١٥٩).

(٦) بهجة المجالس: (٢/٤٦٨).

(٧) المرجع السابق: (٢/٤٧١).

(٨) فتح الباري: (١١/٣٦٧).

(٩) رواه البخاري، تعليقاً مجزوماً به في باب (الصبر عن محارم الله)، وقد رواه موصولاً أحمد في كتاب (الزهد) بسند صحيح. السابق.

(١٠) عيون الأخبار: (١/٢١٠).

(١١) الفتاوى: (٢٨/١٥٨).

رابعاً: أنواعها:

الشجاعة كسائر الأخلاق منها الفطري والمكتسب، يقول عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه -: «كرم المؤمن تقواه، ودينه حسبه، ومرؤته خلقه. والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث شاء؛ فالجبان يفر عن أبيه وأمه، والجريء يقاتل عما لا يؤوب به إلى رحله، والقتل حتف من الحتوف. والشهيد من احتسب نفسه على الله»[1].

كما إن النوع الفطري والمكتسب متفاوت بين أهله. ومما يدل على إمكانية اكتساب هذا الخلق قوله ﷺ لأشج بن عبد القيس حين سأله، بعد أن أخبره بمحبته - سبحانه - للأناة والحلم اللتين فيه، فقال: «خلقين تخلقتُ بهما، أو جبلني الله عليهما؟»، فقال: «بل جبلت عليهما»[2]. يقول ابن القيم - رحمه الله -: «وفيه دليل على أن الخلق قد يحصل بالتخلق والتكلف»[3]. والعرب تقول: «تشجع الرجل: إذا أظهر ذلك من نفسه وتكلف، وليس به»، وتقول: «شجّعه: إذا جعله شجاعاً وقوّى قلبه»[4].

خامساً: مغذياتها ووسائل اكتسابها:

تقدم أن الشجاعة خلق فطري ومكتسب، وله وسائل تغذيه وتقويه وتوجده، فمن تلك الوسائل والمغذيات:

١ - الإيمان بأركانه الستة: (بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خير وشره).

يقول - تعالى -: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، ويقول - تعالى -: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [آل عمران: ١٥١]. فالله «يؤيد حزبه بجند من الرعب ينتصرون به على أعدائهم، وذلك الرعب بسبب ما في قلوبهم من الشرك بالله. وعلى قدر الشرك يكون الرعب، فالمشرك بالله أشد شيء خوفاً ورعباً، والذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بالشرك لهم الأمن والهدى والفلاح، والمشرك له الخوف والضلال والشقاء»[5].

والحديث عن أثر الإيمان في تقوية القلب وتثبيته يطول، ولنأخذ أثراً واحداً موجزاً لركن واحد من أركان الإيمان؛ الإيمان بالقضاء والقدر؛ فالإيمان به يورث القلب طمأنينة تامة تجاه أشد المخاوف وأعتاها؛ إذ قد تقرر في عقيدته الراسخة ألا تكون مصيبة إلا بقضاء الله وعلمه ومشيئته وخلقه، فالأمر أمره، فإن أصابه ما يكره بعد تمثله المنهج الشرعي؛ رضي به، وسعى في دفعه دون جزع أو تسخط؛ فأنى لهذا أن يخذل أو يستكين؟ ولا سيما أنَّ الله قد حف عبده المؤمن برعايته ووعده بالدفاع عنه، بسكينة يتنزلها على قلبه، أو جند من جنده: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

٢ - التوكل على الله:

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، فالتوكل بشقيه المكونين له؛ الثقة بالله وحسن الظن، مع مباشرة الأسباب المشروعة، عاملٌ أساسي في إمداد القلب بالشجاعة، فـ «متى اعتمد القلب على الله، وتوكل عليه، ولم يستسلم للأوهام، ولا ملَكتْه الخيالات السيئة، ووثق بالله وطمع في فضله، اندفعت عنه بذلك الهموم والغموم، وزالت عنه كثير من الأسقام البدنية والقلبية، وحصل للقلب من القوة والانشراح والسرور ما لا يمكن التعبير عنه.

فالمتوكل على الله قوي القلب لا تؤثر فيه الأوهام، ولا تزعجه الحوادث؛ لعلمه أن ذلك من ضعف النفس، ومن الحذر والخوف الذي لا حقيقة له، ويعلم مع ذلك أن الله قد تكفل لمن توكل عليه بالكفاية التامة؛ فيثق بالله ويطمئن لوعده، فيزول همه وقلقه، ويتبدل عسره يسراً، وترحه فرحاً، وخوفه أمناً»[6].

كتب أنوشروان إلى مرازبته: «عليكم بأهل الشجاعة والسخاء، فإنهم أهل حسن الظن بالله تعالى»[7].

٣ - الإكثار من ذكر الله:

إذ إنه الاتصال بالقوة التي لا تُغلب، والثقة بالله الذي ينصر أولياءه، وله أكبر الأثر في الثبات الذي هو بدء الطريق إلى النصر[8]، يقول - تعالى - معلماً عباده المؤمنين آداب اللقاء، وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء[9]، في مواطن من مواطنها، وما عداها مقيس عليها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا

(١) رواه مالك في الموطأ: في كتاب الجهاد، ص (٣٥).
(٢) قال محقق زاد المعاد: أخرج هذه الزيادة أحمد، والبخاري في الأدب المفرد عن الأشج، وسندها صحيح.
(٣) زاد المعاد: (٦٠٨/٣).
(٤) انظر: لسان العرب: (١٧٣/٨).
(٥) زاد المعاد: (٢٣٦/٣). وانظر: تفسير ابن كثير، ص (٤٠٥).
(٦) الوسائل المفيدة لابن سعدي، ص (٢٤ - ٢٥).
(٧) عيون الأخبار: (٢٠٨/١).
(٨) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب: (١٥٢٨/٣).
(٩) تفسير ابن كثير، ص (٨٤٦).

﴿تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٥ - ٤٦]. «فأمر - تعالى - بالثبات عند قتال الأعداء والصبر على مبارزتهم؛ فلا يفروا ولا ينكلوا ولا يجبنوا، وأن يذكروا الله في تلك الحال ولا ينسوه؛ بل يستعينوا به ويتكلوا عليه، ويسألوه النصر على أعدائهم، وأن يطيعوا الله ورسوله في حالهم تلك»[١].

«فهذه هي عوامل النصر الحقيقية:

الثبات عند لقاء العدو، والاتصال بالله بالذكر، والطاعة لله والرسول، وتجنب النزاع والشقاق، والصبر على تكاليف المعركة، والحذر من البطر والرفاه والبغي»[٢].

ولهذا الذكر صور شتى من الاستغفار، والدعاء، وتلاوة القرآن، واستحضار عظمة الله...، ونصوص الوحيين كثيرة في ذلك، كقصة طالوت وجنده، وموقف النبي ﷺ في: بدر، وأحد، والخندق، واستعاذته من الجبن والخوف، وإرشاده إلى دعاء الكرب والخوف... إلخ[٣].

٤ - اليقين بسلامة المبادئ، ووضوحها، ومقاصدها:

وهذا من العوامل الرئيسة للثبات والصبر، يقول شيخ الإسلام: «ولا يمكن العبد أن يصبر إن لم يكن له ما يطمئنُّ به، ويتنعم به ويغتذي به، وهو اليقين، كما في الحديث الذي رواه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «يا أيها الناس، سلوا الله اليقين والعافية، فإنه لم يعط أحد بعد اليقين خيراً من العافية؛ فسلوهما الله»[٤]. وهل الشجاعة إلا صبر؟[٥].

والمتأمل في حال أغلب الناكصين لَيَجِدُ أن قناعاتهم ومبادئهم لم تكن متقررة بأسس سليمة مبنية على ما تحقق علمه وتيقن مصدره، أو كانت ولكن لم تتقاصد. ومن أبرز الأمثلة الدالة على هذا السبب، قصة غلام الأخدود؛ الذي ثبت على حداثة سنه ومخالفة بيئته، وضحّى بروحه في نصرة مبدئه. وخير ما تؤسس به القناعات والمبادئ نصوص الوحيين وإجماع الأمة والعقلاء، وهل كان من مقاصد التذكير إلا ذلك؟

٥ - الإقناع:

فللإقناع تأثير فعال في غرس الأخلاق أو تهذيبها في الأنفس، فمن عرف فضيلة الشجاعة وفوائدها - وهو ما ذكر في التمهيد - ورذيلة الجبن ومضاره، وأقنع نفسه بأن معظم مثيرات الجبن لا تعدو كونها أوهاماً لا حقيقة لها؛ تكونت لديه عناصر مهمة مساعدة على اكتساب خلق الشجاعة، وكذلك سائر الأخلاق[٦].

٦ - البيئة المناسبة، والتدريب[٧]:

إذ المرء ابن بيئته؛ فتجد أهل البادية يتمتعون بشجاعة اجتياز المفاوز ومقارعة خطوبها، وأهل الجبال يتمتعون بشجاعة ارتقاء شواهقها واختراق عقباتها، وأهل السواحل يتمتعون بشجاعة ركوب البحار وخوض غمارها. وبإمكان الإنسان خلق بيئة مناسبة له تمده وتعينه على ذلك الخلق، إما بالمعايشة الحياتية، أو بقراءة سير الشجعان في شتى مجالاتها، والبحث عن أخبارهم، وهكذا بالتدريب العملي؛ «فإن الشجاعة، وإن كان أصلها في القلب؛ فإنها تحتاج إلى تدريب النفس على الإقدام وعلى التكلم بما في النفس، بإلقاء المقالات والخطب في المحافل، فمن مرّن نفسه على ذلك، لم يزل به الأمر حتى يكون مَلَكَةً له، كذلك يدرب نفسه على مقارعة الأعداء ولقائهم والجسارة في ميادين القتال، فيقوى بذلك قلبه ونفسه، فلا يزال به الأمر حتى لا يبالي بلقاء الأعداء ولا تزعجه المخاوف»[٨].

وهكذا يدرب نفسه على عدم الركون إلى الدنيا، والقعود على شظف العيش، إذ التعلق بها من أبرز أسباب الجبن، كما قال النبي ﷺ في صورة منها: «الولد ثمرة القلب، وإنه مجبنة مبخلة محزنة»[٩]، ومن التدريب أيضاً أن يتعود على رباطة الجأش، وأخذ التنفس العميق، إلى غير ذلك مما هو معروف ومثبت بالتجارب، ولا نغفل أهمية الالتحاق بالدورات المهارية في ذلك، والعناية بتنشئة الصغير في هذا الميدان كي يشب عليه، ولا بد في ذلك من مراعاة سنن التدرج، وإعمال قاعدة المصالح والمفاسد، وخلق جو التنافس كما كان ذلك هدي الرسول ﷺ؛ كي تؤتي الشجرة ثمرها.

والله الموفق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الظلال: (٢/١٥٢٨).

(٣) انظر: زاد المعاد: (٢/٢٢٥ - ٢٢٦)، والفتوحات الربانية على الأذكار النووية: (٤/٣ - ٣٢).

(٤) الفتاوى: (٢٨/١٥٣)، والحديث رواه الترمذي: (٣٥٥٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٣٦٣٢).

(٥) انظر: السابق (٢٨/١٥٨).

(٦) انظر: الأخلاق الإسلامية لحبنكة: (٢/٥٨٨ - ٥٨٩)؛ الوسائل المفيدة لابن سعدي، ص (٢٤).

(٧) انظر: السابق، التربية لأحمد مزيد: (١١٨ - ١١٩)، الآفاق للدكتور السيد نوح: (٣/١١٧)، هكذا تكون أخلاقنا للخزندار، ص (٧٤ - ٧٦).

(٨) الرياض الناظرة. سبق.

(٩) رواه أبو يعلى، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٧١٦٠).



الدعوة في الحج أمــانة



فيصل بن علي البعداني
albadani@gawab.com

يتوافد على بيت الله العتيق في موسم حج كل عام من آفاق الأرض مئات الآلاف من البشر من كافة الثقافات وبعامة الألسنة، وعامتهم من ذوي العاطفة الدينية الجياشة التي أقبلت على الله - تعالى - وجهدت في نيل رضاه - سبحانه - فمنهم من باع أرضه، ومنهم من رهن بيته، ومنهم من مكث السنين الطوال يجمع الدينار فوق الدينار حتى تمكن بعد لأي وطول انتظار من توفير متطلبات حجه والمال الذي سينفقه في سبيل ذلك.

هذه هي النفسية المشرئبة للخير، المتطلعة للظفر برحمة الله - تعالى - وغفرانه. إلا أن المتأمل في واقع الحجيج اليوم يشاهد مظاهر جهل صارخة في الدين بعامة، وفيما يتعلق بأمر الأنساك بصفة خاصة، وليس هذا فحسب؛ بل إن السنَّة في أحيانٍ تتحول في عقلية بعضهم إلى بدعة، والجهل إلى معرفة.

وعند إرادة تحليل أسباب تلك الأمية الشرعية المخيفة نجدها تعود إما إلى تقصير الحاج في التفقه بالدين ومعرفة الأحكام التفصيلية المتعلقة بشأن الحج والعمرة والزيارة، وإما إلى جغرافية المكان العسرة الفهم في مكة والمشاعر على الآتي لها لأول مرة، وإما إلى مبادرة كثير من الجهلة وأنصاف المتعلمين إلى الفتيا والتوقيع عن رب العالمين، وإما إلى وجود عدد ليس بالقليل من المعنيين بشأن الحج من أصحاب البعثات والحملات والمؤسسات العاملة في الموسم ممن أعمتهم الدنيا فصيَّرت شغلهم الشاغل كيف تتضخم أرصدتهم ويجنون المزيد من الربح.

فكيف إذا انضاف إلى ذلك وجود جهد كبير ومنظم لطوائف من أهل الزيغ والضلالة تستهدفت إغواء الحاج، وتعمل على استثمار الموسم في تزييف باطلها والدعوة إلى ضلالاتها، مستغلة الغفلة عنها، والأجواء العالمية العاملة على إطفاء الدين الخالص وتجفيف منابعه والحيلولة دون نجاح مواسمه، ورغبة بعض المعنيين بشأن الحج في الظهور بمظهر المتسامح مع كافة الطوائف والمذاهب؛ مع أن القوم لن يرضيهم غير نهجِ عقائدهم واتباع مذاهبهم.

ومع الجهود الضخمة المشكورة التي تبذلها المؤسسات الرسمية وكثير من الأفراد والمؤسسات الدعوية والاجتماعية الخيرية لمساندة الحجيج وعونهم في جانب التوعية والتوجيه إلا أن تلك الجهود لم ترقَ بعدُ إلى مستوى الحد الأدنى، وما زالت غير متناسقة البتة مع الجهود الضخمة المبذولة في عمارة الحرمين الشريفين والعناية بالمشاعر وتوفير سبل الراحة والأمن والطمأنينة للحجاج والزائرين.

ولو أردنا أن نتعرف على بواعث ذلك الإشكال الضخم مع صدق النوايا الموجود - فيما نحسب والله حسيب الجميع - لوجدناه يعود مثلاً في كثير من مؤسسات التوجيه الرسمية العاملة في الحج - إضافة إلى محدودية الإعداد والتخطيط - إلى ضعف الكفاءة، والرتابة والجمود، والخوف من الخطأ، ومهابة التجديد والإبداع، وسيطرة عقلية الاحتكار، ووجود فئات محدودة ولكنها بالغة التأثير داخل بعض تلك الجهات أشغلت نفسها والآخرين عن الممارسة وبذل الجهد المطلوب بتصنيف الناس وإشعال معارك متوهمة أدت إلى إقصاء كثير من أهل العلم والدعوة القادرين على تقديم عطاء متميز في هذا الموسم المبارك افتراءً وظلماً وعدواناً.

وحين نتجه إلى الجهات الدعوية الخيرية العاملة في الحج نجد كثيراً منها ينطلق من الإدارة بالمال لا الفكر، ويعاني من ضيق في الأفق، وضعف في التخطيط، وقلة المتابعة، كما يعاني من أزمة تكرار الأعمال القائمة، ومحدودية التنسيق والتكامل مع الجهات العاملة.

وفي المقابل فإن كثيراً من الأشخاص المهتمين بالدعوة والتعليم من خلال موسم الحج نجدهم يعانون من محدودية الإمكانات أو ضعف الجدية ومحدودية المبادرة.

وهذا لا يعني عدم وجود أعمال وبرامج تتسم بالجد والقوة، كلا؛ فهي كثيرة بحمد الله وإحسانه؛ بدليل ما نراه من تحسُّن في هذا المضمار عاماً بعد آخر، لكن الحديث عن الممكن فعله، وعن وجود فجوة واسعة بين الواقع والمأمول، وعن ضرورة إحداث حراك ضخم - نوعاً أو كمّاً - في دوائر الجهات المعنية بالدعوة والتوجيه في الحج؛ ليتعمق من خلالها التدين، ويذيع العلم، وينتشر الخير، وتحارَب البدعة، وتضيق مساحات الأمية الشرعية.

وفي اعتقادي أن المدخل الصحيح للرقي بشأن التوجيه والتوعية في الحج يكمن في الآتي:

■ النظر إلى الجهود المبذولة في الحج من كونها مجرد توعيةٍ وتوجيهٍ بشأن المناسك وبعض أحكام الدين تستهدف شخص الحاج في زمن الحج - وهي كذلك - إلى كونها جهداً كبيراً محكماً وعملاً منظماً يستهدف شخص الحاج ومَنْ خلفه من بني جلدته في زمن الحج وما بعده، يصحّح عبره النهج، ويهذِّب السلوك، ويملك الحاج من خلاله قوة في الإيمان، وطريقة راشدة في التلقي والاستدلال، وباعثاً على الدعوة وتبليغ ما يعلم من أمر الدين.

وعندما نصل إلى هذا المستوى نكون قد استثمرنا فرصة مهدرة تستهدف نخبة مختارة من أهم نخب المسلمين وخيارهم، وحُلْنا بين قوى الاستكبار وأذنابهم في بلداننا، والذين يسعون إلى تسطيح التدين وتجفيف منابع الخير، والحيلولة بين الناس ودين الله عز وجل.

■ تشجيع كل صاحب جهدٍ خيِّرٍ ومنهج منضبط على المبادرة والعمل، ومساعدته، والقيام بتأهيله، وفتح قنوات للانطلاق والعمل أمامه، والحرص على تسديده أثناء وبعد العمل، وفي المقابل الاستعداد لتحمُّل ما قد يصدر عن بعض العاملين من تصرُّف خاطئ غير مقصود واجتهاد غير سوي ووضعه في مساقه الطبيعي، وبخاصة متى كان الدافع خيراً والنية صادقة.

■ فتح مؤسسات متخصصة في جوانب الدعوة والتوعية المختلفة في مواسم الحج بدلاً من جعلها تحت مظلة واحدة، وعدم قصرها على الجهات الرسمية، بحيث تكون هذه للكتاب، وتلك للشريط، والأخرى للمصاحف وترجمات معاني القرآن، وغيرها للدعاة والمترجمين، فإن تعسر التقسيم النوعي فلا أقل من التقسيم المكاني بحيث تكون هذه للمطارات، وتلك لمدن الحجيج، وثالثة للمواقيت، ورابعة لعرفة ومزدلفة، ويمكن تقسيم منى على أكثر من مؤسسة بحيث يتم الدخول في شراكات حقيقية فاعلة بين مؤسسات العمل الخيري والمؤسسات الرسمية، لتتكامل الجهود وتُستوعَب الطاقات كما هو الحال في جهد إمارة مكة المكرمة المشكور في ما يتعلق بالسقيا والرفادة، ومشروع تعظيم البلد الحرام، وهيئة العناية بالزوار المنطلقة سابقاً من أمارة المدينة، وكما هو التنظيم المعتمد لدى وزارة الحج فيما يتعلق بمؤسسات الأدلاَّء والطوَّافة.

■ تفعيل الدرس والتوجيه والإفتاء داخل الحرمين الشريفين وساحاته العامة ومساجد مكة والمدينة من خلال اختيار شخصيات علمية ودعوية مقبولة ومؤثرة لدى الحجاج، وقادرة على النطق المباشر بلغات المسلمين الحية سواء كانوا من داخل المملكة أم من خارجها ما داموا من المشهود لهم بالعلم والكفاءة، ومن الأشخاص المعروفين بالاتزان والحكمة؛ إذ الوضع الراهن اليوم مع الجهود المبذولة لا يزال دون المستوى المقبول بحده الأدنى، وبخاصة متى علمنا أن هذه البلاد الطيبة يعيش في كنفها ويتعلم في جامعاتها آلاف من القادرين على الإسهام الفاعل في هذا الجانب، والذي سيزيل عنها ما قد يوجه لها من لوم، ويرقى - متى تم - بالبناء المعنوي للحرمين ومساجد مكة والمدينة رقياً عالياً يجعله يتوازى مع الجهود التي فاقت في أحيانٍ المنشودَ فيما يتعلق بالعمارة الحسية.

■ تولية شأن الدعوة والتوعية في موسم الحج لجهة مستقلة متخصصة في هذا الجانب ليس لها عمل إلا ذلك، كما هي الحال في رئاسة شؤون الحرمين، ومرتبطة بولاة الأمر مباشرة، ويزداد مسيس الحاجة لذلك في وقتنا بعد فتح أبواب العمرة طوال العام؛ على أنه ما لم يتم اختيار الكفاءات الفاعلة لتلك الجهة، والقادرة على الإبداع وتفعيل كافة الطاقات فسيبقى الأمر عملياً في مكانه.

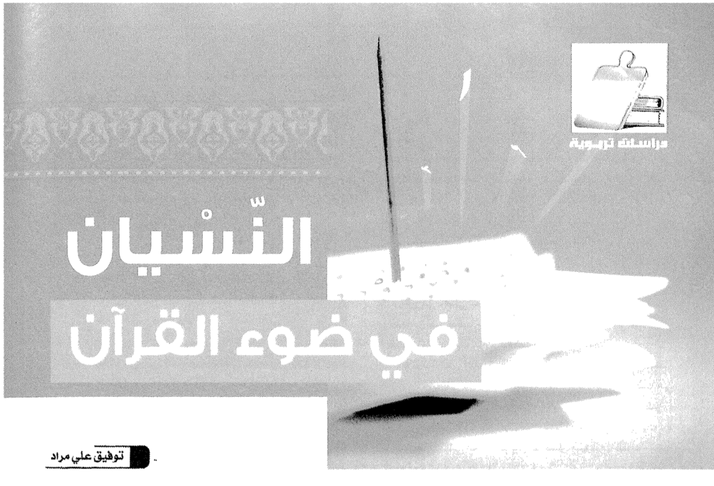
■ تأسيس شركة أو مؤسسة متخصصة في الإنتاج الفني والإعلامي لإعداد جملة مناسبة من المواد العلمية والدعوية المتعلقة بالعمرة والحج والزيارة وما لا ينبغي جهله، بالسبل والوسائل واللغات المختلفة، والقيام بتسبيلها وتشجيع كل جهد عامل على نشرها وتوزيعها بمقابل أو غير مقابل، على أن لا تعتمد على الترجمة، بل تكون كتابات أصيلة من مُجيدٍ لكل لغة، من شخصيات معروفة لأبناء تلك البيئات ومقبولة فيها.

■ قيام علماء الآفاق ودعاتهم بواجبهم في هذا الجانب، بحيث تنشأ مؤسسة في كل بلد مهيأ لذلك، تكون متخصصة في تأهيل الحجاج والمعتمرين، وتفقيههم فيما يحتاجون إليه من معارف وأحكام.

■ تفعيل دور سفارات المملكة وقنصلياتها والملحقات الدينية والثقافية في توعية الحجاج وإرشادهم وهم ما زالوا في بلدانهم، ولو من خلال توزيع كتاب وشريط وخارطة لمكة والمدينة والمشاعر أثناء إعطاء التأشيرة لكل حاج ومعتمر وهو ما زال في بلده.

■ فتح حوارات سنوية جادة يدعى إليها كل كفؤ قادر لمناقشة التوعية في الحج، وسبل تطويرها والرفع من كفاءتها.

اللهم هيئ لأمتنا من أمرها رشدها، واحفظ عليها عقيدتها وأمنها ومصادر قوتها، وهيئ لها من أمرها رشداً، وصلى الله وسلم على النبي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين.



النّسْيان في ضوء القرآن

توفيق علي مراد

النِّسيان: ضدُّ الذِّكْر والحِفظ.

والنِّسيانُ: الترك[1].

وهو تركُ الإنسان ضبط ما استُودِع، إما لضعف قلبه، وإما عن غفلة، وإما عن قصد حتى ينحَذِف عن القلب ذِكرُ.

والنِّسيان أنواع:

الأول: ما كان أصله عن تعمُّد: وهو كل نسيان من الإنسان ذمَّه الله - تعالى - به.

الثاني: ما عُذِرَ فيه الإنسان[2].

وهو ما عرَّفه ابن رجب - رحمه الله - فقال: (أن يكون ذاكراً لشيء، فينساه عند الفعل وهو معفوٌّ عنه، بمعنى: أنه لا إثم فيه، ولكن الإثم لا ينافي أن يترتَّب على نسيانه حكم)[3].

(والنِّسْيُ: ما نُسِي وما سَقَط في منازل المُرتحلين من رُذال أمتعتهم.

وفي حديث عائشة - رضي الله عنها -: «وَدِدْتُ أني كنتُ نِسياً مَنْسِيّاً» أي: شيئاً حقيراً مُطَّرَحاً لا يُلْتفت إليه)[4].

وللنِّسيان صور، منها:

أولاً: نسيان النفس:

كيف ينسى العبد نفسه؟

قال - تعالى -: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقال أيضاً ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

فعاقب - سبحانه - من نَسِيَهُ عقوبتين:

إحداهما: أنه نَسِيَهُ.

والثانية: أنه أنساه نفسه.

ونسيانه - سبحانه - للعبد إهماله وتركه وتخلِّيه عنه وإضاعته، فالهلاك أدنى إليه من اليد للفم.

وأما إنساؤه نفسه فهو:

١ - إنساؤه لحظوظها العالية، وأسباب سعادتها وفلاحها وما تكمل به، ينسيه ذلك جميعه فلا يخطره بباله، ولا يجعله على ذكره، ولا يصرف إليه همَّته فيرغب فيه، فإنه لا يمرُّ بباله حتى يقصده ويؤثره.

٢ - وأيضاً يُنسيه عيوب نفسه ونقصها وآفاتها، فلا يخطر بباله إزالتها.

٣ - وأيضاً يُنسيه أمراض قلبه وآلامها، فلا يخطر بقلبه مداواتها، والسعي في إزالة عللها وأمراضها التي تؤول به إلى الفساد والهلاك، فهو مريض مُثْخن بالمرض، ومرضه مترام به إلى التلف، ولا يشعر بمرضه، ولا يخطر بباله مداواته، وهذا من أعظم العقوبة العامة والخاصة.

٤ - وأيضاً يُنسيه العقد الذي عقده لنفسه في هذه الدار، والتجارة التي اتَّجر فيها لمعاده، فإن كل أحد يتجر في هذه

(١) لسان العرب، (مج ١٥/ ٣٢٢).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني، (٨٠٤).

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، (ج ٢/ ٣٦٧).

(٤) لسان العرب، (مج ١٥/ ٣٢٢).

الدنيا لآخرته.

قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠].

فالنسيان يؤدي إلى نسيان العبد حظَّه من هذه التجارة الرابحة، وتشكّله بالتجارة الخاسرة، وكفى بذلك عقوبة.

وأيُّ عقوبة أعظم من عقوبة مَنْ أهمل نفسه وضيّعها، ونسيَ مصالحها، وداءها ودواءها، وأسباب سعادتها وفلاحها وصلاحها وحياتها الأبدية في النعيم المُقيم[1].

وقال - تعالى -: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

قال الطبري - رحمه الله -: (وتتركون أنفسكم من طاعته)[2].

وقال القرطبي - رحمه الله -: (اعلم - وفقك الله تعالى - أن التوبيخ في الآية بسبب ترك فعل البرِّ، لا بسبب الأمر بالبرِّ، ولهذا ذمَّ الله - تعالى - في كتابه قوماً كانوا يأمرون بأعمال البرِّ ولا يعملون بها، ووبّخهم الله توبيخاً يُتلى على طول الدهر إلى يوم القيامة)[3].

● أثر مخالفة القول الفعل على المدعوين:

(والدعوة إلى البرِّ والمخالفة عنه في سلوك الداعين إليه، هي الآفة التي تصيب النفوس بالشك، لا في الدعاة وحدهم ولكن في الدعوات ذاتها. وهي تبلبل قلوب وأفكار الناس وأفكارهم؛ لأنهم يسمعون قولاً جميلاً، ويشهدون فعلاً قبيحاً، فتتملّكهم الحيرة بين القول والفعل، وتخبو في أرواحهم الشعلة التي توقدها العقيدة، وينطفئ في قلوبهم النور الذي يُشعه الإيمان ولا يعودون يثقون في هذا الدين بعد ما فقدوا ثقتهم برجال الدين.

إن الكلمة لتنبعث ميتة، وتصل هامدة، مهما تكن طنّانة رنّانة متحمسة، إذا هي لم تنبعث من قلب يؤمن بها. ولن يؤمن إنسان بما يقول حقاً إلا أن يستحيل هو ترجمة حية لما يقول، وتجسيماً واقعياً لما ينطق، عندئذ يؤمن الناس، ويثق الناس، ولو لم يكن في تلك الكلمة طنين ولا بريق.. إنها حينئذ تستمدُّ قوتها من واقعها لا من زينتها، وتستمدُّ جمالها من صدقها لا من بريقها، إنها يومئذ دفعة حياة؛ لأنها منبثقة من حياة)[4].

عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله:

عن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُؤتى بالرجل يوم القيامة، فيُلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرّحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان! ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى؛ قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه»[5].

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أُسري بي رجالاً تُقرض شفاههم بمقارض من نار، فقلت: مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ فقال: الخطباء من أمتك، يأمرون الناس بالبرِّ وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون»[6].

● كيف نطابق بين القول والفعل؟

(والمطابقة بين القول والفعل، وبين العقيدة والسلوك، ليست أمراً هيّناً ولا طريقاً مُعبّداً، إنها في حاجة إلى رياضة وجهد ومحاولة، وإلى صلة بالله، واستمداد منه، واستعانة بهديه.

والفرد الفاني ما لم يتصل بالقوة الخالدة ضعيف مهما كانت قوته؛ لأن قوى الشرِّ والطغيان والإغواء أكبر منه، وقد تغالبها مرة ومرة ومرة، ولكن لحظة ضعف تنتابه فيتخاذل ويتهاوى، ويخسر ماضيه وحاضره ومستقبله، فأما وهو يركن إلى قوة الأزل والأبد فهو قوي، أقوى من كل قوى.

قوي على شهوته وضعفه.

قوي على ضروراته واضطراراته.

قوي على ذوي القوة الذين يواجهونه)[7].

قال أبو الدرداء - رضي الله عنه -: «لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله، ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشدَّ مقتاً».

وقال أبو جريج: (أهلُ الكتاب والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة، ويَدَعون العمل بما يأمرون به الناس، فعيَّرهم الله بذلك، فمن أمر بخير فليكن أشدُّ الناس فيه مُسارعة)[8].

ثانياً: نسيان الله:

قال - تعالى -: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

قال الطبري - رحمه الله -: (تركوا طاعة الله، فتركهم من رحمته وهدايته)[9].

وقال الألوسي - رحمه الله -: (المراد لم يطيعوه - سبحانه -، «فنسيهم» منع لطفه وفضله عنهم)[10].

وقال السعدي - رحمه الله -: (فنسيهم من رحمته، فلا يوفقهم لخير، ولا يدخلهم الجنة، بل يتركهم في الدرك الأسفل من النار خالدين فيها مخلَّدين)[11].

لأنهم لا يحسبون إلا حساب الناس وحساب المصلحة، ولا يخشون إلا الأقوياء من الناس، يذلّون لهم ويدارونهم، فنسيهم الله، فلا وزن لهم ولا اعتبار.

(١) الداء والدواء، (١٢٧ - ١٢٨) بتصرف يسير.

(٢) مختصر الطبري، (ج ١/ ٢٢).

(٣) تفسير القرطبي: ١/ ٣٦٦.

(٤) الظلال، (ج ١/ ٦٢).

(٥) صحيح مسلم، باب: عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله، (٢٩٨٩). (١٠) تفسير الالوسي، (مج ٥/ ٣٢٣). (١١) تفسير السعدي، (٣٩٠).

(٦) صحيح ابن حبان، ذكر وصف الخطباء الذين يتكلون على القول دون العمل، (٥٣).

(٧) الظلال، (ج ١/ ٦٢).

(٨) تفسير ابن كثير، (ج ١/ ٨٨).

(٩) مختصر الطبري، (ج ١/ ٣٣٠).

وإنهم لكذلك في الدنيا بين الناس، وإنهم لكذلك في الآخرة عند الله.

وما يحسب الناس حساباً إلا للأقوياء الصُّرحاء، الذين يجهرون بآرائهم، ويقفون خلف عقائدهم، ويواجهون الدنيا بأفكارهم، ويحاربون أو يسالمون في وضح النهار.

أولئك ينسون الناس ليذكروا إله الناس، فلا يخشون في الحق لومة لائم، وأولئك يذكرهم الله فيذكرهم الناس ويحسبون حسابهم[1].

باعوا النفس لربِّها وتذوَّقوا
طعمَ الشهادة وهو حلو مذاق
فازوا بها فكأنها وكأنهم
مشتاقة تسعى لمشتاق[2]

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

(وليحذر العبد أن يُشابه قوماً نسوا الله، وغفلوا عن ذكره، والقيام بحقِّه، وأقبلوا على حظوظ أنفسهم وشهواتها فلم ينجحوا ولم يحصلوا على طائل.

بل أنساهم الله مصالح أنفسهم وأغفلهم عن منافعها وفوائدها فصار أمرهم فُرُطاً، فرجعوا بخسارة الدَّارين، وغبنوا غبناً لا يمكن تداركه، ولا يجبر كسره.

فالذي ينسى الله يهيم في هذه الحياة بلا رابطة تشدُّه إلى أفق أعلى، وبلا هدف يردعه عن السائمة التي ترعى.

وفي هذا نسيان لإنسانيته.

وهذه الحقيقة تضاف إليها أو تنشأ عنها حقيقة أُخرى وهي نسيان هذا المخلوق لنفسه فلا يدَّخر لها زاداً للحياة الطويلة الباقية، ولا ينظر فيما قدم لها في الغداة من رصيد)[3].

(ومن أعظم العقوبات نسيان العبد لنفسه، وإهماله لها أو إضاعته حظَّها ونصيبها من الله، وبيعه ذلك بالغبن والهوان وأبخس الثمن، فضيَّعَ من لا غنى عنه ولا عوض له منه واستبدل به عنه كل الغنى أو منه كل العوض.

قيل:

من كل شيء ضيعته عوض
وما من الله إن ضيعته عوض

فالله ـ سبحانه ـ يعوض عن كل ما سواه ولا يعوض منه شيء.
ويغني عن كل ما سواه ولا يغني عنه شيء.
ويجير من كل شيء ولا يجير منه شيء.
ويمنع من كل شيء ولا يمنع منه شيء.

فكيف يستغني العبد عن طاعة مَنْ هذا شأنه طَرْفة عين؟ وكيف ينسى ذكره ويضيع أمره حتى ينسيه نفسه، فيخسرها ويظلمها أعظم الظلم؟

فما ظلم العبد ربه ولكن ظلم نفسه، وما ظلمه ربه ولكن هو الذي ظلم نفسه)[4].

ثالثاً: نسيان عهد الله:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣].

أي: (تركوا نصيباً من أوامر الله وأحكامه فلم يعملوا بها)[5].

(أي: نسوا عهد الله الذي أخذه الأنبياء عليهم من الإيمان بمحمد ﷺ وبيان نعته)[6].

(فإنهم ذُكِّروا بالتوراة، وبما أُنزل على موسى فنسوا حظاً منه. وهذا شامل لنسيان علمه، وأنهم نسوه، وضاع عنهم، ولم يوجد كثير مما أنساهم الله إياه، عقوبة منه لهم. وشامل لنسيان العمل، الذي هو الترك، فلم يُوفقوا للقيام بما أُمِروا به)[7].

(فهذه سِمَات يهود التي لا تفارقهم... نسيان وإهمال لأوامر دينهم وشريعتهم، وعدم تنفيذها في حياتهم ومجتمعهم؛ لأن تنفيذها في حياتهم يكلِّفهم الاستقامة على منهج الله الطاهر النظيف القويم)[8].

رابعاً: نسيان اليوم الآخر:

قال ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف: ٥١].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [الجاثية: ٣٤].

قال الطبري ـ رحمه الله ـ: (ففي هذا اليوم ـ يوم القيامة ـ نتركهم في العذاب جياعاً عطاشاً، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا)[9]. و كأنهم لم يُخلقوا إلا للدنيا، وليس أمامهم عَرْض ولا جزاء.

خامساً: نسيان آيات الله:

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ [طه: ١٢٦].

(أي: دلالاتنا على وحدانيتنا وقدرتنا، «فنسيتها» أي: تركتها ولم تنظر فيها وأعرضت عنها، «وكذلك اليوم تُنسى» أي: تُترك في عذاب جهنم)[10].

---

(١) الظلال، (ج ٣/١٦٧٣).
(٢) ديوان وليد الأعظمي.
(٣) الظلال، (ج ٦/٣٥٢١).
(٤) الداء والدواء، ابن القيم، (٩٠).
(٥) مختصر تفسير الطبري، (ج ١/١٩٢).
(٦) مختصر تفسير القرطبي، (ج ٢/٢٣).
(٧) تفسير السعدي، (٢٤٣).
(٨) الظلال، سيد قطب، (ج ٢/٨٥٩).
(٩) مختصر الطبري، (ج ١/٢٦٦).
(١٠) مختصر تفسير القرطبي، (ج٣/٢٤٨).

سادساً: القعود مع الظالمين ونسيان النهي عن ذلك:

قال - تعالى - : ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

قال الطبري - رحمه الله - : (وإن أنساك الشيطان نهيَنا عن الجلوس معهم، ثم ذكرت ذلك فلا تقعد بعد التذكر معهم، وليس على من اتقى الله فأطاعه شيء من التبعة والإثم، إذا اجتنبهم وأعرض عنهم)[1].

(والمراد بذلك كل فرد من آحاد الأمة أن لا يجلس مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله ويضعونها على غير موضعها)[2]. (ويشمل الخائضين بالباطل، وكل مُتكلِّم بمُحرَّم، أو فاعل لمُحرَّم، فإنه يحرم الجلوس والحضور عند حضور المنكر الذي لا يقدر على إزالته.

هذا النهي والتحريم عمن جلس معهم ولم يستعمل تقوى الله، بأن كان يشاركهم في القول والعمل المُحرَّم، أو يسكُت عنهم وعن الإنكار.

فإن استعمل تقوى الله - تعالى - بأن يأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر والكلام الذي يصدر منهم، فيترتب على ذلك زواله وتخفيفه فهذا ليس عليه حرج ولا إثم)[3].

● من أسباب النّسيان:

أولاً: استحواذ الشيطان على القلب:

(قال - تعالى - : ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

الحوذ: أن يتبع السائق حوذ البعير، أي: أدبار فخذيه فيعنف في سوقه، يُقال: حاذ الإبل يحوذها أي: ساقها سوقاً عنيفاً.

وقال الأصمعي: الأحوذي: هو المشمِّر في الأمور القاهر لها الذي لا يشذ عنه منها شيء.

وقالت عائشة - رضي الله عنها - عن عمر بن الخطاب: كان أحوذياً نسيج وحده)[4].

(غلب على قولهم بوسوسته وتزيينه حتى اتبعوه فكان مستوياً عليهم، فلم يمكنهم من ذكره - عزَّ وجلَّ - بما زيّن لهم من الشهوات، فهم لا يذكرونه أصلاً لا بقلوبهم ولا بألسنتهم)[5].

وقال - تعالى - : ﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٤٢].

وقال - تعالى - : ﴿ مَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ﴾ [الكهف: ٦٣].

ثانياً: ترك التقوى:

قال - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٨ - ١٩].

(أمر - سبحانه - بتقواه ونهى أن يتشبّه عباده المؤمنون بمن نَسيَه بترك تقواه. وأخبر أنه عاقب من ترك التقوى بأن أنساه نفسه، أي: أنساه مصالحها، ونعيمها، فأنساه الله ذلك كله جزاء لما نَسيَه من عظمته وخوفه والقيام بأمره)[6].

ثالثاً: الترف والنعيم:

قال - تعالى - : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: ٨].

وإذا أصاب الإنسانَ بلاءٌ وشدة ومرض تَذكَّر ربه، فاستغاث به ودعاه، ثم إذا أجابه وكشف عنه ضرَّه، ومنحه نِعَمه، نَسيَ دعاءه لربه في حال الرفاهية.

رابعاً: التمتُّع بالمال والعافية:

قال - تعالى - ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً﴾ [الفرقان: ١٨].

أي: طال عليهم العمر حتى نسوا ما أنزلته إليهم على ألسنة رسلك من الدعوة إلى عبادتك وحدك لا شريك لك، حتى ساروا هلكى لا خير فيهم[7].

● آثار النسيان:

أولاً: الاستدراج:

قال - تعالى - : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

(أي: أعرضوا عنه وتناسوه وجعلوه وراء ظهورهم، «فتحنا عليهم أبواب كل شيء» أي: فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون)[8].

وهذا استدراج منه - تعالى - وإملاء لهم، عياذاً بالله من مكروه.

قال الحسن البصري - رحمه الله - : (مُكِرَ بالقوم وربِّ الكعبة، أُعطوا حاجتهم ثم أُخذوا).

وقال قتادة - رحمه الله - : (بَغَتَ القوم أمر الله، وما أخذ الله قوماً قط إلا عند سكرتهم وغرتهم ونعمتهم، فلا تغتروا بالله فإنه لا يغترّ بالله إلا القوم الفاسقون)[9].

ثانياً: ضعف الإرادة:

قال - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: ١١٥].

---

(١) الطبري، (ج ١/٢٣٤).
(٢) تفسير ابن كثير، (ج ٢/١٦٣).
(٣) تفسير السعدي، (٢٨٦).
(٤) تفسير الألوسي، (مج ١٤/٢٢٨).
(٥) تفسير الألوسي، (مج ١٤/٢٢٨).
(٦) الداء والدواء، ابن القيم، (٩٠).
(٧) تفسير ابن كثير، (ج ٣/٣٢٤) بتصرف يسير.
(٨) تفسير ابن كثير، (ج ٢/١٣٧).
(٩) المرجع السابق.

(ولقد وصينا آدم، وأمرناه وعهدنا إليه عهداً يقوم به، فالتزمه وأذعن له، وانقاد، وعزم على القيام به ومع ذلك نَسيَ ما أُمر به، وانتقضت عزيمته المُحكمة فجرى عليه ما جرى، فصار عبرة لذرِّيته وصارت طبائعهم مثل طبيعة آدم، فنَسيَ، فنَسيَت ذرِّيته، فخطئ فخطئوا، ولم يثبت على العزم المؤكد وهم كذلك، وبادر بالتوبة من خطيئته، وأقرَّ بها واعترف، فغفرت له، ومن شابَه أباه فما ظلم)[1].

(وعهد آدم كان الأكل من كل الثمار سوى شجرة واحدة، تمثل المحظور الذي لا بدَّ منه لتربية الإرادة وتأكيد الشخصية، والتحرر من رغائب النفس وشهواتها بالقدر الذي يحفظ للروح الإنسانية حرية الانطلاق من الضرورات عندما تريد، فلا تستعبدها الرغائب وتقهرها.

وهذا هو المقياس الذي لا يخطئ في قياس الرُّقي البشري، فكلما كانت النفس أقدر على ضبط رغائبها والتحكم فيها والاستعلاء عليها كانت أعلى في سلَّم الرُّقي البشريِّ، وكلما ضعفت أمام الرغبة وتهاوت كانت أقرب إلى البهيمية وإلى المدارج الأولى.

من أجل ذلك شاءت العناية الإلهية التي ترعى هذا الكائن الإنساني أن تعده لخلافة الأرض باختبار إرادته وتنبيه قوة المقاومة فيه، وفتح عينيه على ما ينتظره من صراع بين الرغائب التي يزينها الشيطان، وإرادته وعهده للرحمن، وها هي التجربة الأولى تُعلن نتيجتها)[2].

● نسيان الرُّسل والأنبياء:

أولاً: نسيان آدم ـ عليه السلام ـ[3]:

قال ـ تعالى ـ :﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ [طه: ١١٥].

ثانياً: نسيان موسى ـ عليه السلام ـ عهده مع العبد الصالح «الخضر»:

﴿ قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً ﴾. [الكهف: ٧٣]

(أي: لا تُعَسِّر عليَّ الأمر، واسمح لي، فإن ذلك وقع على وجه النِّسيان، فلا تؤاخذني في أول مرة، فجمع بين الإقرار به والعذر منه، وأنه ما ينبغي لك أيها الخضر الشدة على صاحبك، فسمح عنه الخضر)[4].

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: (فيه دليل على أن النِّسيان لا يقتضي المؤاخذة، وأنه لا يدخل تحت التكليف ولا يتعلق به حكم)[5].

ثالثاً: نسيان يوشع بن نون:

قال ـ تعالى ـ على لسان يوشع بن نون: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً ﴾ [الكهف: ٦٣].

(قال له خادمه: أتذكُرُ حين لجأنا إلى الصخرة التي استرحنا عندها؟ فإني نسيت أن أخبرك ما كان من الحوت، وما أنساني أن أذكر ذلك لك إلا الشيطان، فإن الحوت الميت دبَّتْ فيه الحياة، وقفز في البحر، واتخذ له فيه طريقاً، وكان أمره مما يُعْجَبُ منه)[6].

رابعاً: نسيان نبينا محمد ﷺ:

من ذلك:

١ ـ « ... صلى الظهر خمساً»[7].

٢ ـ « .. وقام في ثنتين من الظهر ونسيَ الجلوس»[8].

● النِّسيان لا يجوز في حق الله:

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً ﴾ [مريم: ٦٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى ﴾ [طه: ٥٢].

(أي: لا يشذ عنه شيء، ولا يفوته صغير ولا كبير، ولا ينسى شيئاً، ويصف علمه ـ تعالى ـ بأنه بكل شيء محيط وأنه لا ينسى شيئاً ـ تبارك وتعالى، وتقدَّس وتنزَّه ـ، فإن علم المخلوق يعتريه نُقْصان:

أحدهما: عدم الإحاطة بالشيء.

والآخر: نسيانه بعد علمه. فنزَّه نفسه عن ذلك)[9].

● علاج النِّسيان:

أولاً: ذكر الله:

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف: ٢٤].

يؤخذ من عموم النص: (الأمر بذكر الله عند النِّسيان، فإنه يزيله، ويُذكِّر العبد ما سَهَا عنه، وكذلك يؤمر الساهي الناسي لذكر الله، أن يذكر ربه ولا يكونن من الغافلين)[10].

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «في الرجل يحلف قال له أن يستثني ولو إلى سنة»[11].

(١) تفسير السعدي، (٦٠٤).
(٢) الظلال، (ج ٤/٢٣٥٤).
(٣) سبق الكلام عنه.
(٤) تفسير السعدي، (٥٦٢).
(٥) القرطبي، (١٨١).
(٦) التفسير الـمُيسر.
(٧) أخرجه الجماعة.
(٨) أخرجه البخاري ومسلم.
(٩) تفسير ابن كثير، (ج٣/١٦٣).
(١٠) السعدي، (٥٥٢).
(١١) تفسير ابن كثير، (ج ٣/٨٣).

ثانياً: الدعاء:

عن الأعرج قال: سمعت أبا هريرة - رضي الله عنه - يقول: إنكم تزعمون أن أبا هريرة يُكثر الحديث عن رسول الله ﷺ، والله المَوْعِدُ، كنتُ رجلاً مسكيناً، أخدم رسول الله ﷺ على ملء بطني، وكان المهاجرون يشغلهم الصَّفْقُ بالأسواق، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم، فقال رسول الله ﷺ: «من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئاً سمعه مني»، فبسطت ثوبي حتى قضى حديثه، ثم ضممته إليّ، فما نسيت شيئاً سمعته منه[1].

ثالثاً: الاستعاذة من الشيطان:

لقوله - تعالى -: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٤٢].

رابعاً: ترك المعاصي:

وقد أشار إليه الإمام الشافعي - رحمه الله - حين قال:

شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حفظي — فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلمَ نورٌ — ونورُ الله لا يُهدى لعاصي

وقال:

سهري لتنقيح العلوم ألذُّ من — وَصْلِ غانيةٍ وطيب عناقِ

ونقري لألقي الترب عن أوراقها — أبهى من الدوكاء[2] والعشاقِ

وأبيتُ سهران الدّجى وتبيته نوماً — وتبغي بعد ذاك لحاقي

خامساً: تفريغ القلب من الشواغل الدنيوية.

وهناك أمور أخرى تساعد على التذكر وعدم النِّسيان، منها:

- تكرار قراءة الشيء بوعي، وخصوصاً القرآن الكريم؛ فإن القارئ الذي لا يتعاهد القرآن يتفلت منه، وقارئ القرآن لا يخرف.

- كتابة ما يريد حفظه أو تذكره، فتقييد العلم بالكتابة.

- التؤدة والتأنّي أو التمهُّل.

- الراحة العقلية والقلبية والبدنية: وعدم الإجهاد الذي يكون بإفراط، وفي أول الأمر وآخره. تجمع بين شيئين، الطاعة مع الاهتمام والجِدّ والاجتهاد فذلك يجعل الإنسان ذاكراً متذكراً.

● من فضل الله على الأمة الإسلامية:

أولاً: تعليمهم الطلب ليعطيهم، ويرشدهم للسؤال ليثيبهم:

قال - تعالى - على لسان المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

هذا تعليم للعباد كيف يكون الدعاء: (أي قولوا: «يا ربنا اصفح عنا، ولا تعاقبنا على شيء قصَّرنا فيه، أو أخطأنا في فعله على غير قصد منا إلى المعصية»[3]. أو تركنا فرضاً على جهة النِّسيان أو فعلنا حراماً كذلك أو أخطأنا أي: الصواب في العمل جهلاً منا بوجهه الشرعي)[4].

وهذا في غاية الكرم ونهاية الإحسان، يُعلِّمهم الطلب ليعطيهم، ويرشدهم للسؤال ليثيبهم، ولذلك قيل:

لو لم تُرِد نيل ما أرجو طلبه — من فيض جودك ما علمتني الطَّلبا[5]

(وهذا الدعاء يصوِّر لنا حال المؤمنين مع ربهم، وإدراكهم لضعفهم وعجزهم، وحاجتهم إلى رحمته وعفوه، وإلى مدده ودعوته، وإلصاق ظهورهم إلى ركنه، والتجائهم إلى كنفه، وانتسابهم إليه، وتجرُّدهم من كل ما عداه، واستعدادهم للجهاد في سبيله، واستمدادهم النصر منه.

فدائرة الخطأ والنسيان هي التي تحكم تصرف المسلم حين ينتابه الضعف البشري الذي لا حيلة له فيه. وفي مجالها يتوجه إلى ربه يطلب العفو والسماح. وليس هو التبجح - إذاً - بالخطيئة أو الإعراض عن الأمر أو التعالي عن الطاعة والتسليم أو الزيغ عن عمد وقصد.. ليس في شيء من هذا يكون حال المؤمن مع ربه، وليس في شيء من هذا يطمع في عفوه أو سماحته إلا أن يتوب ويرجع إلى الله وينيب، وقد استجاب الله لدعاء عباده المؤمنين)[6].

ثانياً: عدم المؤاخذة بالخطأ والنسيان:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنِّسيان وما استُكرهوا عليه»[7].

والأظهر - والله أعلم - أن النَّاسي والمخطئ إنما عُفي عنهما بمعنى رفع الإثم عنهما؛ لأن الأمر مرتَّب على المقاصد والنيات، والنَّاسي والمخطئ لا قصد لهما فلا إثم عليهما. وأما رفع الأحكام عنهما فليس مراداً من هذه النصوص، فيحتاج في ثبوتها ونفيها إلى دليل آخر[8].

(١) صحيح مسلم، باب: من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه، (٢٤٩٢).

(٢) الدوكاء: السكارى.

(٣) الطبري، (ج ١/٩٢).

(٤) تفسير ابن كثير، (ج ١/٣٥٠).

(٥) تفسير الآلوسي، (ج ٢/٦٧).

(٦) الظلال، سيد قطب، (ج ١/٣٣٩).

(٧) سنن البيهقي، كتاب: الخُلع والطلاق، باب: ما جاء في طلاق المكره، (١٤٨٧١).

(٨) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، (ج٢/٣٦٧ - ٣٦٩).



كيف نكتشف أطفالنا المبدعين؟

أ. د. مصطفى رجب

يتميز هذا العصر بالتقدُّم العلمي الزاخر الذي تجرف أمواجه العاتية، يوماً بعد يوم، تلك المجتمعات الكسلى التي لا تستطيع السباحة وسط تلك الأمواج العلمية الطاغية التي تتدفق من مراكز البحوث العلمية حاملةً معها أمواجاً موازية من التغييرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ولا ينشأ التقدُّم العلمي ويزدهر إلا على أيدي العباقرة والمبدعين، وهؤلاء - بدورهم - لا ينشؤون في فراغ، بل لا بد من استنباتهم كما تُستنبت السلالات النادرة من النبات والحيوان.

إذا سلّمنا بهذا؛ وجب علينا أن نؤمن بما للأسرة من دور خطير في تنشئة المبدعين ورعايتهم، والأسرة - بهذا الدور - تسهم في ترقية مجتمعاتها، وتلك - فيما أحسب - هي «الفريضة الغائبة» في مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

● متى بدأت دراسة الإبداع؟

رغم حداثة علم النفس نسبياً بالمقارنة مع العلوم الأخرى، فإن الإبداع - بمعنى: دراسة القدرة العقلية للمتفوقين والموهوبين - قد بدأ مبكراً، فقد بدأت الأسرة الأولى لدراسة الإبداع عام ١٨٩٦م، أي: بعد نحو سبعة عشر عاماً من نشأة علم النفس بوضعه علماً مستقلاً عام ١٨٧٩م على يدي (ولهلم فونت)، غير أن المحطة الرئيسة والعلامة البارزة في تاريخ الدراسات النفسية الخاصة بالإبداع بدأت على يدي (جيلفورد) عام ١٩٥٠م، بمقال ألقاه في صورة خطاب أمام جمعية علم النفس الأمريكية. وتوالت بعده الدراسات المتخصصة في هذا المجال، وساعد على نموّ تلك الدراسات ما ساد العلم من اتجاه نحو العنف وتسخير العلم في خدمة التسليح مع نهاية الحرب العالمية الثانية وبدء ظهور بوادر الحرب الباردة التي كان السباق العلمي والتنافس التقني أهمَّ ملامحها.

● كيف نكتشف أطفالنا المبدعين؟

لن ندخل في جدلٍ لغويٍّ حول ماهية الإبداع وتعريفاته، فهذا مجاله الدراسات العلمية المتخصصة، وإنما نكتفي - هنا - بتعريف بسيط للإبداع بأنه: (عملية إنتاج أفكار جديدة تتميز بدرجة عالية من الخروج على المألوف، وتستند هذه العملية إلى قدرات عقلية عالية، وسمات شخصية خاصة أبرزها المعرفة العلمية والدافعية للإنجاز والتميّز).

وبالطبع؛ فإن هذا التعريف يشمل المفكرين والأدباء والعلماء المتفردين باختراعات خاصة بهم، وعباقرة الأطباء والمهندسين، ويدخل فيه بعد ذلك أصحاب المهن الأخرى كالمحامين وغيرهم.

والسؤال الذي يهمّنا طرحه الآن: كيف تكتشف الأسرة أن طفلها هذا أو ذاك «مشروع» إنسان مبدع؟

ولكي نجيب عن هذا السؤال يجب علينا تحديد ملامح أو سمات شخصية المبدع التي يمكننا إجمالها فيما يلي:

١ - **الطلاقة**: وتعني: قدرة الفرد على توليد الأفكار بعضها من بعض، واكتشاف بدائل عديدة للحلول المطروحة، والقدرة على حلّ الألغاز والمشكلات بأساليب غير مألوفة. ويمكننا أن نقدّم مثالاً على ذلك بأن نفترض أن أمامنا مجموعة من الطلاب نريد أن نختبر قدرتهم على الطلاقة الفكرية، فنسألهم عما يمكن أحدهم أن يفعله إذا كان في قطار - مثلاً - واكتشف أن هذا القطار على وشك الوقوع في خطر، أو الاصطدام بقطار قادم.

هنا ستتوالى الأفكار نتيجة الشعور بالمأزق، فمنهم: من

يقترح الاتصال بالسائق، ومنهم: من يفضّل البحث عن طريقة للقفز ينجو من خلالها بنفسه، ومنهم: من يفكر في البحث عن «فرملة» الطوارئ الموجودة في كل عربة... إلخ. وقطعاً سيصل أحدهم إلى فكرة لم تكن واردة في ذهن واضعي الاختبار، وسيجد واضع الاختبار نفسه مبهوراً بتلك الفكرة الجديدة التي يمكن عدّها إبداعاً أو مشروعاً لإنسان مبدع في المستقبل.

ومثال آخر لاختبار الطلاقة اللفظية يمكننا فيه أن نؤمن لبعض الدارسين صوراً متعددة لوجوه بشرية ونطلب التركيز على حركة العينين ونوعية النظرة التي فيها والتعبير عنها بفعل مضارع، مثل: (يرى - يشاهد - ينظر - يتأمل - يرمق - يُمْعن النظر - يشاهد - يرنو - يشرئبّ - يتطلّع - يلاحظ - يتابع - ...إلخ). والقدرة على توليد مترادفات مثل هذه تُعدّ مثالاً للطلاقة اللفظية.

٢ - **المرونة**: ضدّ التحجّر والجمود، ومعناها قريب من معنى الطلاقة، فهي تعني - أيضاً -: القدرة على الاهتداء لأفكار جديدة، ولكن بينها وبين الطلاقة فروق، فالطلاقة تعني: ثراء الأفكار واللغة أكثر من المرونة. والمرونة تعني: القدرة على الالتفاف حول الفكرة أو الجملة أو الكلمة والانحراف بها إلى معانٍ أخرى أو دلالات أخرى. وقد كان العرب يعبِّرون عن مفهوم المرونة بما كانوا يسمّونه (سرعة البديهة)، مثل: ما روي عن الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - أنه قال لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - بعد أن فقد بصره في أواخر عمره: «ما لكم تصابون في أبصاركم يا بني هاشم؟» فردّ عليه ابن عباس في الحال: «كما تُصابون في بصائركم يا بني أمية». وكتاب علي بن ظافر الأزدي (بدائع البدائه) حافل بمئات الأمثال لهذه التلقائية في الردّ التي كانوا يسمونها (سرعة البديهة). فالتلقائية سمَة من سمَات المرونة، وكذلك القدرة التكيفية العالية بمعنى: قدرة الفرد على أن يتعايش مع أيِّ متغيرات تصيب حياته.

فإذا لاحظت الأسرة أن أحد أطفالها متشدّد في مطعمه وملبسه وطريقة نومه واستيقاظه ومذكراته... إلخ، فلا يجب أن تفرح بهذه السلوكيات وتصف هذا الطفل بأنه «ذو عقل جامد»، و«مخّه ناشف» كما يقولون. بل يجب عليها أن تفزع؛ لأن هذه الصفات (الجمود - التشدّد) تدل على مستقبل غير سعيد لهذا الطفل. وعلى العكس إذا لاحظت قدرة عالية على التكيّف لدى الطفل واستعداده للتأقلم مع أيِّ تغيير فعليها أن تدرك أنها أمام «مشروع» إنسان مبدع.

٣ - **الإفاضة**: الإفاضة قريبة المعنى من الطلاقة - أيضاً - ولكنها تعني بدرجة أكبر: القدرة على إعطاء تفاصيل لم ولا تخطر على بال الطرف الآخر. ونستشهد على هذا بذلك البدوي حينما قال: هي عصا، أعدّها لعداتي (أي: أعتمد عليها كسلاح) وأسوق بها غنمي، وأركزها لصلاتي، وهي مشجب ثيابي، وعلاّقة أدواتي، وأعتمد عليها في مشيي ليتّسع بها خطوي،.. ولي فيها مآرب أخرى. فانظر إلى هذا الرجل كيف ذكر العديد من الاستعمالات في إفاضة وبلاغة وقدرة عالية على التفصيل، ولم يكتف بذلك بل أجملَ في النهاية وظائف أخرى لم يفصلها.

٤ - **حب الاستطلاع**: من أبرز سِمَات المبدعين التي يمكن للأسرة اكتشافها بسهولة، حب الاستطلاع، فكلما كان لدى الطفل شرهٌ للمعرفة ورغبة جارفة في الاكتشاف والتعرّف على الأشياء وخصائصها، كان ذلك دليلاً على جودة بذرة الإبداع في نفسه، وهنا يتعين على الأسرة الانتباه إلى هذه العبقرية الوليدة وتعهّدها بالرعاية؛ من خلال توفير العديد من القصص ذات الألغاز والحكايات المثيرة والمعلومات المتدرجة في التعقيد حتى تشبع لدى هذا الطفل تلك الحاجات التربوية شديدة الأهمية في حياته.

● دور المدرسة في اكتشاف المبدعين:

إذا آنسَ المعلم في بعض تلاميذه قدرة على الإبداع فإن عليه أن ينمِّي هذه القدرة ويبذل الجهد الكبير لاصطفاء أولئك التلاميذ ذوي القدرات العقلية المتميزة بتقريبهم إليه وتشجيعهم على المزيد من التفكير - طبعاً من دون أن يهمل الآخرين - ويمكنه أن يفعل ذلك من خلال:

أ - تكليف هؤلاء الطلاب المتميزين بقراءة بعض القصص التي يختارها لهم من مكتبة المدرسة، وبعد ذلك تكليفهم كتابة قصص جديدة، ثم يعيد توزيعها عليهم، ويطلب منهم وضع عناوين متعددة لكل قصة، فمثل هذا العمل ينمِّي القدرة على الطلاقة اللفظية والفكرية لدى الطلاب.

ب - تكليف الطلاب المتميزين ذكر استعمالات كثيرة مختلفة لأشياء معروفة كالحبل والورق وما شابه ذلك، ففي هذا تحدٍّ للعقول المبدعة كي تتفق مواهبها وينطلق خيالها.

جـ - استخدام الألغاز في التدريس، أو أن يطلب المعلم من تلاميذه صياغة ألغاز حول بعض المواد التعليمية التي يقدمها إليهم.

● دور الأسرة في تربية الإبداع:

وإذا كنا قد أشرنا إلى دور المعلم، فإن دور الأسرة هو المحور الأساسي في هذا الميدان، فالطفل يقضي معظم وقته - لاسيما السنوات الأولى من عمره - في أحضان أسرته، وعلى الأسرة أن تقدّم الرعاية الخاصة لأطفالها الذين تلمس لديهم قدرة أو ملامح قدرة إبداعية خاصة.

ويمكن للأسرة أن تؤدّي هذا الواجب من خلال:

١ - تشجيع الاختلاف بين الأبناء، فلا ينبغي أن تنزعج الأسرة إذا وجدت نشوزاً أو إعراضاً من أحد أبنائها عن سلوك أخيه أو إخوته، بل يجب أن تدعم هذا الاختلاف بحيث يؤدي في النهاية إلى التميّز لا إلى العدوان.

٢ - عدم الإسراف في العقاب البدني أو النفسي.

٣ - عدم الإسراف في الحماية الزائدة لأطفالها.

٤ - تقبُّل أخطاء الأطفال المتميزين بصدر رحب.

٥ - مساعدة الطفل على استغلال كل إمكاناته المادية والبدنية والعقلية.

٦ - توفير مكتبة في المنزل مهما تكن إمكانات الأسرة المالية.

٧ - تجنيب الأطفال العزلة؛ لأنها تدمّر نفسية الطفل وتخلق لديها بوادر الاكتئاب والإحباط.

٨ - تعليم الطفل كيفية تقبُّل الفشل والخطأ.

٩ - انتقاء ألعاب تنمِّي الخيال والابتكار.



ما من نبي إلا رعى الغنم

محمد بن عبد الله الدويش
dweesh@dweesh.com

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «ما من نبي إلا وقد رعى الغنم، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «نعم! كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»[1].

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: كنا مع رسول الله ﷺ نجني الكباث وإن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بالأسود منه؛ فإنه أطيبه». قالوا: أكنت ترعى الغنم؟ قال: «وهل من نبي إلا وقد رعاها؟»[2].

إنه أمر اختاره الله - تبارك وتعالى - لأنبيائه، صلوات الله وسلامه عليهم، والأغلب أنه كان قبل النبوة كما في سيرة محمد ﷺ وموسى.

ولنا مع ذلك وقفات عدة:

● تقديرُ الله - عز وجل - هذا الأمرَ للأنبياء جميعهم دليلٌ على أنه أمر مقصود؛ فرعيُه أو رعي موسى للغنم، أو غيرهما من الأنبياء؛ كل ذلك لم يحصل اتفاقاً إنما هو أمر قدَّره الله عز وجل.

● في هذا دليل على حاجة النفوس للبناء والإعداد؛ فإذا هيأ الله - عز وجل - لصفوة خلقه - الذين اختارهم واصطفاهم من بين الناس - ما يكون له أثره على بنائهم وشخصياتهم فغيرهم من الناس من باب أَوْلى؛ فحري بالدعاة والمصلحين والمربين ألاَّ يشعروا أنهم قد استغنوا عن التربية والإعداد.

● رعي الغنم ليس فيه تعليم أمور ذات صلة مباشرة بالتدين، بل هو لاكتساب مهارات يحتاج إليها الأنبياء، ذكر شراح الحديث منها الصبر والحلم وقيادة الناس... إلخ، وهذا يؤكد سعة مفهوم التربية وحاجتنا للأخذ بالمفهوم الأوسع في بناء النفوس. ولعل تأمل الواقع الدعوي يكشف لنا أن كثيراً من جوانب القصور في البناء التربوي تنتمي لجوانب تتصل ببناء الشخصية، وهذه الجوانب ليست محل اعتناء كثير من المربين، والإخفاق الحاصل من تخلُّفها كثيراً ما يعالَج من خلال الجانب المعرفي، أو من خلال انتقاد مظاهر القصور.

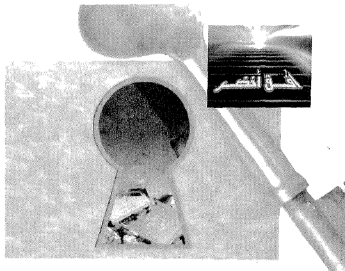
● كان رعي الغنم في مراحل أولى من حياة الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - مما يؤكد على أهمية المراحل العمرية - كالطفولة وما يليها - في التربية، وأهمية رسم الصورة المتكاملة لما نريد تحقيقه في نفوس أولادنا.

● إذا كان الأنبياء وهم يمثلون قمة الصفات البشرية يتأثرون بالغنم ومصاحبتهم لها؛ فهو دليل على أثر البيئة في تشكيل شخصية الإنسان، سواء كانت بيئة مادية أم معنوية، مما يتطلب وعي المربين به، وسعيهم لعلاج جوانب القصور المتصلة بذلك.

● تأثير الأتباع على قائدهم ومربيهم؛ فالأنبياء يتعلمون ويكتسبون سلوكاً ومهاراتٍ من رَعيهم للغنم؛ فكيف بمن دونهم، مع البشر الذين يتواصلون ويتفاعلون معهم؟

(١) رواه البخاري (٢١٤٣).

(٢) رواه البخاري (٣٢٢٥)، ومسلم (٢٠٥٠).



الانفتاح على مبادئ الحياة

د. عبد الكريم بكار
www.islamtoday.net/bakkar

فطر الله ـ تباركت أسماؤه ـ مخلوقاته على طبائع وصفات محددة، فلكل حدث ولكل شيء ولكل مجال... طبيعته الخاصة به، والتي يجب التعرف عليها بعمق حتى نحسن التعامل معه ونحسن استثماره على أحسن وجه؛ بل ربما جاز لنا أن نقول: إن لكثير من الأشياء طبيعتين: طبيعة في حالة انفراده، وطبيعة في حالة اجتماعه مع غيره؛ وإدراك الطبيعة الثانية أدق وأصعب.

إن الانفتاح على المعلومات والمفردات والمعطيات الجزئية يثري الثقافة الشخصية للإنسان، لكن الانفتاح على المبادئ وفهم الطبائع يساعد على بلورة الرؤى المنهجية والأفكار الكبرى، ونحن في أمَسِّ الحاجة إلى هذا النوع من الثراء الفكري؛ وقد قال أحد الحكماء: إن من يملك معلومة كمن يملك قطعة ذهبية، أما من يملك منهجاً فإنه وضع يده على مفتاح منجم ذهب!

وأنا لا أستطيع أن أتناول كل مبادئ الحياة في مقالة أو في كتاب، وإذاً فلأتحدث عن نماذج مما أعنيه؛ لعلي أحرك الهمم نحو السعي إلى اكتشاف المزيد من المبادئ والطبائع.

١ ـ إذا كان المرء قوياً، ذا نفوذ أو ذا مال أو ذا ميزات خاصة جداً، فعليه أن يخشى على نفسه من الكِبْر والغرور والبغي والطغيان؛ القوة تجذب التجاوز وعبور الحدود، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى حيث قال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى ۝ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: ٦ ـ ٧]، ولما كان فرعون ملكاً جباراً خاف موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ من طغيانه عليهما وبطشه بهما، فقالا: ﴿... رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى﴾ [طه: ٤٥]. إن القوة بكل أشكالها تغري صاحبها بالعدوان؛ لأنها توفر له شعوراً بالأمن من الإفلات من العقاب، كما أن المرء كلما كان أقوى كثر المحتاجون إليه، وكثرت مصالح الناس عنده، وهذا يوفر له فرصة التحكم بهم وظلمهم؛ وهذا يعني أن على جميع الناجحين والمميزين وذوي المكنة والنفوذ أن يمارسوا نوعاً من الرقابة على أنفسهم حتى لا يقعوا في شكل من أشكال البغي والطغيان. وفي المقابل فإن الضعيف والفقير والعاطل عن العمل وكل من يعيش في ظروف قاسية وصعبة، يكونون على حافة المذلة والإهانة والقبول بالظلم، وما ذاك إلا لشعورهم بالحاجة إلى الآخرين، وشعورهم بالعجز عن القيام بشؤونهم ومتطلباتهم الشخصية على نحو مقبول. وعلى هؤلاء أن يتعلموا كيف يتخلصون من أوضاعهم أولاً، كما أن عليهم أن يتعلموا كيف يحمون أنفسهم من المهانة ثانياً، وذلك من خلال الصبر والتعفف ومقاومة التسلط، والنظر إلى الكرامة الشخصية على أنها شيء لا يقبل المساومة.

٢ ـ الكم لا يكون إلا على حساب الكيف؛ وذلك لأننا نحن البشر محدودون في أعمارنا وإمكاناتنا ورؤانا وطاقاتنا الروحية، ولهذا فإننا لا نستطيع أن ننفق من رأس مالنا المحدود على ما نعالجه ونعانيه بشكل غير محدود، ولذا فلا بد أن نختار بين التركيز على الكم أو التركيز على الكيف؛ حيث إن من الواضح أن المعلم ـ مثلاً ـ لا يستطيع أن يعتني بأربعين طالباً، تم حشدهم في فصل دراسي، عناية تماثل عنايته بطلابه العشرة أو الخمسة عشر. والمؤلف الذي أخرج كتاباً في خمس مجلدات خلال ثلاثة أعوام، لا يستطيع خدمة مسائله على مستوى عال من التدقيق والتحقيق والنقد على النحو الذي يقوم به طالب الدِّراسات العليا حين يسلخ من عمره ثلاث سنوات في كتابة ثلاثمائة صفحة. وقد ورد في حديث (القصعة) ما يدل على أن المشكلة الحضارية للأمة ستكون مع الكيف، وليس مع الكم: «... أنتم يومئذ كثيرون، ولكنكم غثاء كغثاء السيل». ومن الواضح أن الأمم التي تحقق الغلبة على غيرها ليست كثيرة العدد، لكن عنايتها بتعليم أبنائها وتدريبهم عالية جداً. التجربة الحضارية لأمتنا تدل على أن الاهتمام بالكيف يجب أن يستولي على اهتماماتنا وخططنا المستقبلية.

٣ ـ كلما اتجهنا نحو الأصول والكليات وجدنا أنفسنا أقرب للاتفاق ووحدة الرأي، وكلما اتجهنا نحو الفروع والجزئيات صار الاتفاق أمراً عسيراً، وصار التعاذر أمراً لا مناص منه، والأمثلة تفوق الحصر. وعلى سبيل المثال: فإن البشرية مجمعة على أهمية (بر الوالدين) بوصفه قيمة من القيم الإنسانية الكبرى؛ لكن حين نصير إلى التفاصيل والجزئيات والتطبيقات العملية، فإننا سنجد الاختلاف في بعض مفاهيم (البِر) داخل الأسرة الواحدة: الأسرة المسلمة والأسرة غير المسلمة. إذا أخطأ والد أحدنا؛ فهل نصحُه من البر أو من العقوق؟ بعض الشعوب تعد نصيحة الآباء نوعاً من العقوق، وشعوب أخرى ترى في ذلك مطلباً شرعياً. وقد ذكر لنا القرآن الكريم أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ كان ينصح أباه ويعظه، ثم تبرأ منه؛ بسبب إصراره على الكفر. والبشرية متفقة على فضيلة (الصدق) وضرورة الالتزام به؛ لكن إذا كان الصدق سيؤدي إلى قتل نفس بريئة ظلماً وعدواناً؛ فهل نقول الصدق، أم يكون الكذب هو المطلوب؟ وإذا كان الكذب لن يؤدي إلى قتل بريء؛ لكنه سيؤدي إلى تفويت مصلحة مشروعة، فهل يكون الكذب جائزاً؟

وهكذا... إذا فهمنا هذا المبدأ من مبادئ الحياة، فربما نعمل على عدم طلب الإجماع في أمور فرعية، كما نعمل على مقاومة الاختلاف في الأمور الكلية.

... للحديث صلة.



الشافي

بسام الطعان
bassamtaan@yahoo.com

وجد (ياسر) نفسه فريسة سهلة لمرض غامض ومحبط، مرض زرع الخوف والأنين في جسده، يبدو أنه في عجلة من أمره، يريد أن يهوي عليه كشفرة المقصلة ويزيله من جغرافيا الحياة، ولم يأت وحده، وإنما جاء معه اكتئاب شديد، لم يُبْقِ فيه ولو قيد شبر بغير احتلال، اكتئاب دخل في جسده كالسهم، وشق روحه التي سرقها من قبل الشحوب الرمادي الداهم.

كانت زوجه تجلس إلى جانبه، تواسيه، تشجعه على النهوض من الفراش، تتأمل وجهه الذي يكاد يكون مفرغاً من الحياة، وتبكي بكاءً صامتاً، وكان ذلك شبيهاً بتدفق كابوس مرعب بالنسبة لها.

حين استمر المرض في غزوه السريع، وداهمه طغيان الوجع، وظلت الأوهام تنحت في أروقة صدره العذاب، وتراخى جسده، ونقصت همته، وصارت شمسه على حافة الأفول، كان من الطبيعي أن يستجيب لدعوة زوجه التي حاولت أن تطرد المشهد الخرائبي وقالت له:

- تزود بقدر من بأسٍ يا ياسر! واذهب إلى الطبيب.. إن الألم صعلوك أمام الإرادة.

عاد إلى البيت وقطيع من الأوهام يتسمر عند حافة عقله، بينما رأسه مدلّى في أبد الصمت، والموت كأنه يراه، ويحسه، موجوداً معه، حضوره إلى جانبه يكاد يلمسه، عيناه متعبتان، ونفسه كعادتها منطوية ومستسلمة للحزن والخمول.

في كل يوم يمر، تغرق الأشياء حول ياسر في لون رمادي، تئن الدموع في عينيه، تسكنه الوحشة، يجري الإحباط في شرايينه، ويصبح قلبه عصفوراً يختلج في صدره الكسيح، بينما زوجه تنظر إلى وجوده الذابل وتحاول ما بوسعها التخفيف عنه.

استشف في نظراتها التي حاولت أن تلملمها بعيداً عنه حزناً عميقاً، فقال لها:

- أتمنى أن أفعل ذلك لكنني لا أستطيع.

رفعت رأسها، استغاثت بالله «جل جلاله»، وأجهشت بحرقة والتياع، دموعها مستديرة صافية، قطرة بعد قطرة، وكل قطرة تقيم في نفسها القلق، وتجعل الحزن يشحذ شفرته ويغرزها دون رحمة في ثناياها، كيف لا وقد أصبح قلبها مسكناً جميلاً له.

ذات يوم دافئ، نهض قبل أن ينهض الصبح من نومه، مضغ تعاسته كعلكة بائرة، أسند رأسه إلى مسند السرير وهو يشعر بالشيخوخة تدب في كل أنحاء جسده، حاولَ أن يهدهد حزنه الشامل، لكن الحزن زمجر في وجهه، وظل يسحقه دون هوادة، حاول أن يتذكر كل تفاصيل الحلم، تجول في ردهات ذاكرته، لكنه لم يستطع أن يتذكر إلا جملة واحدة سمعها في الحلم:

«إنه الشافي».

تاه في دروب الحلم الوعرة، وأصبحت نفسه مجرد خيال، شبح، كائن يتحرك بصعوبة، وفي النهاية قال لنفسه: «هل آن الأوان أم ما زال في الروح بقية؟».

مرت أيام أخرى، وظلت الجملة تعلو قلعة انكساره، همست في داخله المخاوف، وطافت به الأوهام من جديد، ومع الهواجس والخيالات، والأسى واللوعة، الخوف والشجاعة، الوعي واللاوعي، لمعت في ذهنه فكرة دفعته من السرير دفعاً، وهدّأت خواطره المتكدرة، فلم ينتظر طويلاً، أعلن بدء انتحار الخوف والصمت، وبدء نمو زهور التحدي، لملم بعضه ليطفو على قمة الصحة، يسمو نحو الخلاص، ويحلم بالحياة، فالقلب متعب ويريد أن يقطع الدروب المعفَّرة بالعذاب، ارتدى الفجر والوجع قميصاً بلا أزرار وخرج كمكفوف يريد أن يخرج من ظلمته الأبدية، خرج مع بؤسه وهزاله، احتسى غبش الفجر وطارد غزلان الخلاص، بينما الكآبة لا تزال تجأر في خطواته وتسد باب الشفاء، وبشيء من صبر أيوب، سار على الرصيف المغسول بمطر الصباح المبكر الذي أعادته المدينة. الألم يملأ الفم والخاصرة، ولا يهتم؛ فقد قرر البحث عن الشافي بعدما ضاق ذرعاً بحياة الاكتئاب والعقاقير والرطوبة والظلام.

وصل إلى المسجد ووجهه شرخ يدل على انشطاره، أسند ظهره إلى الحائط، تنفس ارتياحاً، اغمض عينيه للحظات، ثم دخل بخطوات بطيئة، توضأ، وأمام القبلة صلى ركعتي استخارة، توسل لله - عز وجل - أن يبعث له الدواء والشفاء.

بعد الصلاة خرج من المسجد، وفي الطريق إلى البيت خفق قلبه على نحو لم يخفق خلال الأعوام التي عاشها، وفجأة تناثرت الكآبة ومعها التعاسة والوجع والخمول والانطواء والبؤس حطاماً، وأحس أن قلبه قد أصبح سماء خضراء لا تتسع لورقة صفراء، وأن الحياة تفجرت في عروقه في أروع شكل لها.

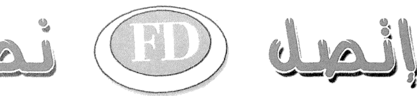
حمل بيدر صحته، اتجه صوب بيته شاهراً فرحته، تحدو به مشاعر عذبة، وأمام الباب، سمع صوت الحياة تنشد ألحانها في أعضائه، فربط قلبه بشريط من الفرح، وأحس بأجنحة لا يراها تحمله، فتح الباب، وعندما رأته يتأبط الفرح والراحة، وعلى شفتيه تلك الابتسامة التي كانت غائبة، بُهِتَتْ زوجته وهتفت بصوت ضاحك:

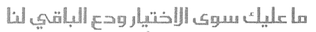
- ما شاء الله يا ياسر! أرى الصحة تتلألأ على وجهك.

جلس أمام النافذة وهو يستمتع في نشوة إلى رفيف الأجنحة، عصر رحيق الشمس بين يديه ومنح نفسه قطرة ضوء اشتاقت لها، طلب الطعام الذي هجره طويلاً بفرح طفولي:

- تخلصي يا زوجتي من كل تلك الأدوية! لقد اهتديتُ إلى الشافي.

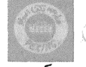
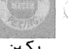


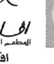




تضع بين يديكم نخبة مطاعم وحلويات و تمور ومحامص الرياض

ما عليك سوى الاختيار ودع الباقي لنا







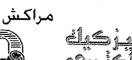
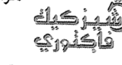



برج الحمام بكين افاد أبو كمال مفاز رفعت الحلاب القباني العجمي

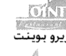


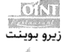


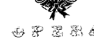

سلسلة المطاعم الهندية مراكش الد الاوقات الجزر الأندونيسية بعلبك الفخار الشعبية غوزي

شيز كيك فاكتوري زيرو بوينت تمور الصالحية بيت المأكولات الايرانية لو كروسان شوب مطاعم وحلويات سعد الدين



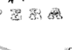






دارين أسماك الروضة مطاعم طربيب بيتزا روما عطا الله علي ATA ALLAH ALI

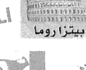


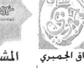





الركن المكسيكي التنين الذهبي الردادي مذاق الجميري المشربية السعودي فول وفول لندن فيش اند شيبس





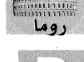





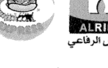


روما مطاعم مرحبا marhaba RESTAURANTS Cone Zone كون زون شاورمر SHAWARMER شيراز الكندي للمندي











محامص الرفاعي ALRIFAI جدودنا فطيرة نون Fateerat Noon زعفران المطعم الهندي الكاتم بيت الحلويات







القرموشي زنك مطعم كعكات لبنانيز كورنر هضيم للتمور




اطلب نسختك من كتيب التوصيل السريع الجديد

نتشرف بانضمامكم الى قائمة عملائنا المميزين

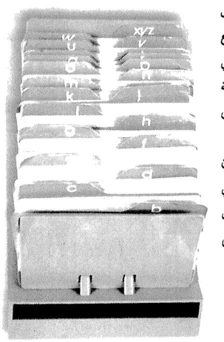



في حالة الرغبة بالإعلان عبر كتيب التوصيل السريع
وللمطاعم والحلويات الراغبة بالإنضمام
إلى خدمة التوصيل السريع الإتصال على
مدير التسويق والعلاقات العامة
المهندس / عبدالله اليوسف 0505222598



فلسطين تحت الحصار

- قراءة سياسية في الأسباب المحلية والإقليمية والدولية للهجمة على حماس
د. رائد نعيرات
- الحرب الأمريكية على الإسلام وموقع حماس منها
د. أسامة عبد الحكيم
- فصول المؤامرة: مخطط حركة فتح لإفشال حكم حماس!
إبراهيم أبو الهيجاء
- الفلسطينيون تحت الحصار وضع الشعب الفلسطيني في ظل الأزمة السياسية
تحقيق: خبَّاب بن مروان الحمد
- لقاء مع الدكتور أسامة المزيني
- جدار الفصل العنصري في القدس
يوسف كامل إبراهيم



ما أشبه الليلة بالبارحة! فمنذ عدة قرون حاصر المشركون في مكة الدعوة بقيادة رسول الله ﷺ، وضربوا على المسلمين الحصار الاقتصادي والاجتماعي عدداً من السنين، حتى فرَّج الله عنهم وخرجت الدعوة أصلب عوداً وأقوى شكيمة، واليوم يحاصر العالم كله إخواننا المسلمين في فلسطين بغية تحقيق الأهداف نفسها.

وفلسطين لها في فكر المسلم وقلبه منزلة عالية؛ ففيها بيت المقدس الذي بارك الله حوله: قبلة المسلمين الأولى ومسرى رسوله ﷺ وثالث الحرمين، وقد فتحها المسلمون في زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، وكانت يومئذ تحت حكم النصارى وليس تحت حكم اليهود، وظلت القدس تحتل مكانتها السامية في قلوب المؤمنين، إلى أن ضعف المسلمون وبعدوا عن دينهم، فهجمت قوى الشر والطغيان عليها من اليهود الذين تحالف معهم العالم الكافر كله من نصارى وشيوعيين، والذين ساعدوهم بالمال والرجال والسلاح والتأييد في مجلس الجور (الذي يدعونه مجلس الأمن) وفي ظل هذا الظلم من العالم وتخاذل دول كثيرة من الدول الإسلامية وإذعان كثير من الفلسطينيين لهذا الوضع قامت اتفاقيات بين اليهود والمتخاذلين تكرس الظلم وتحوِّل السارق إلى صاحب حق. والظلم لا يمكن أن يدوم والليل لا بد له من انقضاء، ومع ظهور قيادات فلسطينية تأبى الذل وترفض الضيم وتطالب بحقوقهم في أرضهم التي سلبت منهم، وفي ظل تمكُّنهم من تجييش الشعب خلفهم، بدأت المحاولات الحثيثة المتعاقبة من العالم الظالم كثيراً (الذي يدعونه العالم الحر كذباً وزوراً) بفرض الحصار على الشعب الفلسطيني لإثنائه عن الثبات على خياراته المشروعة.

وهذا الملف يحاول أن يكشف الخلفيات الحقيقية وراء هذا الحصار، ويبين أساليبه ووسائله، كما يتعرض للآثار الناجمة عنه سواء من جانبها السلبي أو الإيجابي من خلال رصد واقعي للحدث، كما يكشف الجهات الداخلية المتعاونة بل المتواطئة مع العدو الخارجي مبيناً دوافعهم وأهدافهم المشبوهة. نسأل الله ـ تعالى ـ أن يوفقنا للصواب؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، والله ـ تعالى ـ من وراء القصد.



قراءة سياسية في الأسباب المحلية والإقليمية والدولية للهجمة على حماس

د. رائد نعيرات(*)

إن الهجمة الواسعة التي تتعرض لها حركة حماس على كافة الصعد ليست وليدة اليوم، وإنما هي امتداد لحملة كانت أقل وضوحاً وأكثر سرية، عندما انطلقت مع بدء الحديث عن خريطة الطريق، والتي كانت في جوهرها تهدف إلى القضاء على أي توجّه نحو المقاومة آنذاك. الدافع نحو توجيه الضربات الواحدة تلو الأخرى لحركة حماس في ذلك الوقت والتي بلغت أوجها بعمليات اغتيال قادتها؛ هو إدراك كل من له مصلحة بضرب المقاومة أن حركة حماس آخذة في التوسع؛ داخلياً في الشارع الفلسطيني، وإقليمياً من ناحية النفوذ.

بقيت الضربات الموجهة لحماس تسدد بأيدٍ صهيونية، إلى أن أصبحت هذه الحركة القطاع الأوسع في النظام السياسي الفلسطيني الرسمي، حينها أدرك الجميع أن مواجهتهم وحصارهم لحماس لم يثمر، ودليل ذلك نتائج الانتخابات المحلية والتشريعية. هنا أصبح الحديث عن مواجهة حماس من قبل خصوم حماس وأعدائها أكثر حدة، وأكثر علنية، واختلطت الصورة، فلم يعد بالإمكان التمييز بين الخصم والعدو، والداخل والخارج (على الأقل من وجهة نظر حركة حماس والتي اعتبرت أن كل ما تواجهه هو عبارة عن برنامج مخطط له). فحماس صارت تؤكد أن ما هو مطلوب منها يدور في محورين: إما أن تتنازل عن ثوابتها، وإما عن القيادة.

وقد شكلت العلاقة الفلسطينية - الفلسطينية أكثر محاور هذه الجدلية، وبالذات بين حركتي فتح وحماس، فما إن فازت حماس في الانتخابات التشريعية حتى أعلن الناطق الرسمي لحركة فتح في المجلس التشريعي عن عدم مشاركة فتح في الحكومة التي ستشكلها حماس، ولكن ازدادت هذه العلاقة توتراً وحدّة مع الأيام، خاصة مع عدم قدرة الحكومة الفلسطينية بقيادة حماس على تأمين الرواتب، وهنا جاء الإضراب الذي أعلن في الأراضي الفلسطينية؛ منذ ٢/٩/٢٠٠٦م، والذي شكل فصلاً جديداً من فصول العلاقة الفلسطينية الفلسطينية؛ حيث إنه أخذ طابعاً

(*) رئيس قسم العلوم السياسية - جامعة النجاح الوطنية.

سياسياً منذ اليوم الأول، وانقسمت شرائح الموظفين إلى شريحتين رئيسيتين: مع وضد، وتصاعدت حدّة الخلافات بين الطرفين إلى أن وصلت إلى حد الاقتتال في غزة والضفة.

وهنا لا بد من محاولة الوقوف على أهم الأسباب التي جعلت هذه الهجمة بهذا العنف وبهذه الطريقة. وعند الحديث عن الأسباب، أول ما يتبادر إلى الذهن هو ما يتردد يومياً في وسائل الإعلام، وعلى لسان العامة، فيتبلور الحديث حول قضايا ظاهرية، يمكن إدراجها في الآتي:

١ - القول بأن جزءاً من المواجهة الداخلية لحماس يأتي في إطار رفض حماس للاعتراف بمنظمة التحرير ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني.

٢ - رفض حماس الاعتراف بوثيقة الاستقلال وبالتسويات القائمة، هو أحد العوامل التي تُسهم في شد الخناق الذي يلف عنقها فيه، وإنما كانت هذه مغالطة كبيرة؛ لأن من يدعي ضرورة الاعتراف بالاتفاقيات هو أكثر شخص مدرك بأن هذه الاتفاقيات ماتت منذ أن واجهت خللاً زمنياً في التطبيق. ولنترك لغة السياسة ونتحدث قانونياً، فالاتفاقيات الموقعة بين طرفين أو أكثر هي بمثابة (عقد قانوني) تحكمه شروط وأطراف، جزء من شروط العقد هو الزمن، والذي وضع في معظم الاتفاقيات إما بالتزامن أو بالتوالي. وغالباً ما وقع خلل؛ فإما: أن الاتفاقية لم تطبق في موعدها، أو لم تطبق نهائياً، أو طبقت في موعدها لكن بشكل منقوص.

الحالات السابقة من الناحية القانونية تعني أن العقد أصبح لاغياً. وإذا ما كان من استحقاقات لهذا العقد، فهي استحقاقات جزائية ليست موجودة في اتفاقيات كتلك.

إضافة لذلك فإن من يدعي الالتزام الحديدي باتفاقيات موقعة مع (الصهاينة المغتصبين)، والحرص على موقف المجتمع الدولي، لا يبدي أي التزام بالعقد القانوني بين الشعب وكتلة التغيير والإصلاح، مع أنها أكثر قانونية من أي عقد، والأطراف نفسها لا تبدي حرصاً على موقف المجتمع المحلي، وتتعامل مع المصلحة الداخلية بمقياس المصلحة الخارجية، في الوقت الذي يعتبر فيه من المنطق ومن الجاري اتباعه دولياً، أن المصالح الخارجية لأي دولة ترسم وفقاً لمصالحها الداخلية، وليس العكس.

٣- الادعاء أن برنامج الحكومة الحالية لا يعبر عن توجه فلسطيني وطني، وإنما عن توجه (حزبي)، وفي ذلك إنكار لحق الكتلة الفائزة في الانتخابات من أن ترى برامجها النور والتطبيق.

٤- هناك قضية طبيعية ونفسية تتمثل في عقلية وطبيعة التصورات، فحركة فتح التي حكمت الشعب الفلسطيني ما يقارب الأربعين عاماً لا يمكن لها أن تتخلى عن هذا الحكم وبالسهولة هذه.

٥- حجم الفوز الذي حققته حماس، فالكل كان ينتظر من حماس أن تصبح (المعارضة القوية) في المجلس التشريعي، ولكن أن تصبح المجلس التشريعي بأكمله فهذا ما لم يكن متوقعاً، ولم تعدّ أيٌ من الأطراف نفسها لذلك أو أن تضع سيناريوهات لمعالجته ولطرق التعامل مع وضع كهذا.

هذه العوامل قد تكون سبباً لأهم الإشكاليات الداخلية التي تعرضت لها الحكومة بقيادة حركة حماس، لكن المتعمق في دراسة حالة التأزم بين الأطراف مجتمعة، وبنظرة شمولية للأمور، سيخرج باستنتاج أن الأسباب سابقة الذكر ليست سوى مسوغات لقمع حركة حماس، في حين أن الأسباب الحقيقية أعمق بكثير من تلك. والادعاء بأن الأسباب الظاهرية هي دافع خصوم حماس نحو مناكفتها وحصارها هو حاجتهم لأسباب لا يكون وقعها على الشارع ذا تأثير لصالح الحركة، أما الأسباب الحقيقية فتتضح في طرحنا الآتي، سواء من أطراف داخلية أو خارجية:

أولاً: ضرب حماس هو ضرب للنموذج الذي تمثله، على الأقل من وجهة النظر الأمريكية:

توجيه الضربات لحركة حماس، وتشديد الحصار عليها، لا يعني رسالة لحماس وحدها، فحماس تمثل أكبر فصيل فلسطيني مقاوم، ومواجهتها فيه بلاغ واضح لكل من يسير على هذا الدرب بأن لا مفر من العقاب. فحماس بحكم كونها كبرى فصائل المقاومة - كما أشرنا - يمكن أن يكون تأثيرها على النفَس المقاوِم داخل فلسطين سلبياً أو إيجابياً أكثر من أي فصيل آخر.

ثانياً: رسالة حول طبيعة المشروع الديموقراطي في المنطقة:

إن ما تقوم الولايات المتحدة من توجيهه عبر حماس هو رسالة موجهة نحو طبيعة التغيرات الديموقراطية التي تواجهها المنطقة. وهذه الرسالة من شقين: **الأول:** هو نتيجة الانتخابات، فما يهم الولايات المتحدة هو المحافظة على سياسة الوضع القائم بغض النظر عمن فاز أو لم يفز في الحكم. **الثاني:** إن الولايات المتحدة توجه رسالة لكل القوى مفادها: إن المسار الأمريكي للتعامل مع التغيرات الديموقراطية في المنطقة محكوم بمعادلة تكيف القوى الجديدة مع الوضع القائم، وليست محاولة تغيير الوضع القائم ليتكيف مع القوى الجديدة.

ثالثاً: رسالة إلى الحركات الإسلامية:

تشهد الحركات الإسلامية تنامياً ملحوظاً في المنطقة العربية عموماً، وتقدماً مميزاً للإسلاميين المؤثرين في مصر والأردن وبعض دول الخليج، وفلسطين كانت القشة التي قصمت ظهر البعير. أدرك كل من له حسابات في هذه المنطقة، أنهم على موعد مع الحركات الإسلامية، نفوذ قوي في الشارع، ووصول

سريع ومفاجئ إلى أنظمة الحكم. أصبحت ردود الفعل تتوالى من الغرب والشرق، وتخوف من امتداد جديد للإسلاميين.

كان لا بد من توجيه رسالة لتلك الحركات، مفادها: إن الغرب ومعه جماعات من الشرق لن تقبل بمشروع الإسلام السياسي بديلاً للأنظمة القائمة كما هو، وكما هي أيديولوجياته وبرامجه السياسية والاقتصادية والاجتماعية. رسالة أراد أصحابها أن تكون حماس ضحيتها، فاجتمعوا على ابتزازها وحصارها، معلقين الآمال على أن فشل حماس يعني فشل المشروع الإسلامي في المنطقة برمتها.

إضافة لهذه الرسالة، هناك رسالة أخرى من الأنظمة العربية الحاكمة لأمريكا وأوروبا، ومن خلال المساهمة في حصار حماس، مفادها: إن دعوتكم للديموقراطية، قد تعني حقيقة تغيير الأنظمة القائمة لكن البديل لن يكون مقاسه أمريكياً، وحماس هي الدليل، فالبديل عنا هم الإسلاميون.

رابعاً: تخوّف فصائلي داخلي:

تخوّف باقي الأطر السياسية الفلسطينية يتمثل في خشية الفصائل الفلسطينية من أن يؤدي نجاح حماس في الحكم إلى توجه فلسطيني أكبر نحو حماس، وهذه المرة ليس سياسياً فحسب وإنما فكرياً، بما يعنيه ذلك من دلالات أيديولوجية. وهذا قد يعني مستقبلاً ذوباناً سريعاً لكل التوجهات الفكرية والسياسية الأخرى، وهنا تولّد توجّه داخلي واضح نحو إحباط حماس. ومن أجل المصداقية تجدر الإشارة إلى أن هذا التوجه الداخلي ليس توجهاً جماعياً من قبل هذه الفصائل، وإنما تحركات فردية؛ لكن ما يميزها هو نفوذ أصحابها.

خامساً: النجاح السياسي قد يقود إلى مشروع حضاري:

ترك حماس كي تنجح سياسياً ليس بالأمر المخيف بالنسبة لكثير من القوى الدولية؛ لكن الخوف أن يؤدي نجاح حماس سياسياً إلى انتقالها إلى مراحل متقدمة في النجاح، يكون قمتها مشروعاً إسلامياً متكاملاً: سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وثقافياً. وهذا ما ستدخر هذه القوى كل جهودها من أجل محاربته؛ لأن الموضوع تعدى خطر الجغرافيا السياسية ليصبح خطراً حضارياً. قد يكون الحديث عن أمور مستقبلية بعيدة المدى غير متقبل ومستوعب في العقلية العربية، لكني أكاد أجزم أن الغرب عموماً يفكر بهذه النظرة الاستراتيجية والبعيدة، وطالما كانت هذه الميزة سبب تفوّقه علينا.

● أفق نجاح حماس:

من غير المنطقي القول: إن مشروع حماس في الحكم لا يتهدده الخطر. فالعقبات من كل حدب وصوب، وتجاوزها ليس بالأمر السهل، فالضرب على وتر الشعوب ومشاكلها أصعب بكثير من مشكلات الأحزاب. حماس واجهت الكثير من المشكلات وخرجت منها، لكن ميزة هذه المرحلة أن حماس الآن تتحمل مسؤولية شعب بأكمله، وهي الآن مطالبة بأن تتعامل كسلطة لا كمعارضة، وأي سياسة ستتخذها لن يكون انعكاسها على حماس وحدها، بل على الشعب، وهنا وقعت حماس تحت سوط إرادة الشارع ومتطلباته التي تختلف اختلافاً كلياً عن متطلبات الحركة. فحماس إذا تم النظر لها كحركة فهي بالتأكيد مشروع قادر ويمتلك مقومات الصمود المختلفة (وهذا ما أثبتته حماس عبر تجربتها الماضية)، لكن مشروع حماس في الحكم مغاير تماماً وذلك على عدة أصعدة. الأول: هو الخطاب والبرنامج السياسي. الثاني: طبيعة التعامل والقدرة على قيادة الشعب بأكمله. الثالث: طبيعة النجاح والفشل؛ حيث إن طبيعة النجاح والفشل في الحكم متعددة، فهي تتطلب المحافظة على الذات، وفي الوقت نفسه القدرة على القيادة وتلبية المصالح الجماهيرية، وهنا قد تبدو كل هذه المدخلات متناقضة، إلا أن النجاح في الحكم يتطلب تحقيقها. فعلى حماس أن تكون متأكدة أيضاً أن الشارع لا يتمتع بهذه الإرادة والقدرة على الصمود كما هي حماس، وإن كان قد ضرب أسطورة في الصمود حتى الآن.

كما أن ما يميز هذه المرحلة من التأزم في الشارع الفلسطيني أن حماس لا تواجه هذه المرة عدوها فقط، والمتمثل بـ (الدولة الصهيونية)، فالقوى الدولية كلها سارت على النهج ذاته وإن تفاوتت في حدتها، أضف إلى ذلك بعض الأطراف الداخلية - وهنا تكمن الخطورة - بأن يتم الضغط على حماس داخلياً، بحيث تظهر المشكلة على أنها اختلاف داخلي في الرأي، في حين أن حقيقتها حرب مصيرية، فلسطينياً على الأقل.

لكن رغم كل الأسباب الظاهرية والحقيقية للحرب على حماس، ورغم كل العوامل المحيطة المساعدة؛ فإن حماس لديها فرصة بأن تنهض بنفسها في مواجهة كل هذه الأمور، ومن الممكن إيجاز ذلك في الآتي:

١ - أن تعمل حماس جاهدة نحو حكومة جديدة بتوافق داخلي، وبذلك ستستثني الأطراف الداخلية من مواجهتها؛ وهي أخطر هذه الأطراف.

٢ - على حماس أن تضع حدوداً مرنة في القضايا السياسية، حتى تستطيع المناورة مع القوى السياسية العالمية.

٣ - على حماس أن تبدي في المرحلة القريبة المقبلة، في حال نجاح حكومة توافق، اهتماماً بالبناء والتغيير والإصلاح في القضايا الداخلية أكثر من القضايا السياسية الإشكالية؛ حتى تعطي الشارع فرصة لالتقاط أنفاسه.

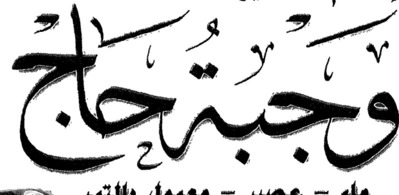
نسأل الله أن يحفظ فلسطين بلطفه، وأن يكفيها شر كيد الكائدين.







ساهم معنا في إطعام الحجيج



ماء - عصير - معمول بالتمر
كيك محشو بالفراولة
فطيرة بالجبن .

٩ ريال

نصف دجاجة مع الرز

١٠ ريال

نقوم بتجهيز الوجبة وتوزيعها عنك في المشاعر المقدسة ومكة المكرمة

بالتنسيق مع لجنة السقاية والرفادة بمكة المكرمة والمشاعر

حساب مصرف الراجحي ٣٣٦٦٠٨٠١٠٠٠٠٦٥٦

الخط الساخن ٠٥٠٠١٢٣٣٣٣

مشاريعنا

كفالة الأيتام
بناء وصيانة المساجد
طباعة المصحف الكريم
تنفيذ الفدية
إستقبال الزكوات
وجبة حاج

التنسيق لعلاج المحتاجين
حفر الآبار
أعط منفقاً خلفاً
تنفيذ الكفارات
إفطار صائم
سلة مكة الغذائية

وقف البلد الأمين

العزيزية الجنوبية - طريق الطائف
خلف مسجد القطري
هاتف / ٠٢-٥٥٦٥٥٠٠
فاكس / ٠٢-٥٥٦١٠١٠



موقعنا على الإنترنت www.makkah.bz

الحرب الأمريكية على الإسلام وموقع حماس منها

د. أسامة عبد الحكيم

تشعر الولايات المتحدة أن من حق المنتصر تفسير التاريخ وفق هواه، وإعادة رسم الحدود الجغرافية وفق مصلحته؛ لذلك فمن حقها كدولة منتصرة منفردة بسيادة العالم أن تقوم بالشيء ذاته. فالولايات المتحدة التي انتصرت على ألمانيا واليابان في الحرب العالمية الثانية اقتسمت العالم مع المنتصر على الجبهة الشرقية (الاتحاد السوفييتي). وبعد انتصارها في الحرب الباردة عليه بدأت برسم خريطة العالم من جديد وبشكل منفرد، وسخَّرت القوى الحليفة التي تسير في ركابها والأمم المتحدة بهيئاتها كافة لخدمة هدفها المنشود.

ولم تكتف الولايات المتحدة بذلك، بل أعادت نبش أوراق التاريخ وقررت أن بريطانيا وفرنسا اللتين رسمتا خريطة الشرق الأوسط خلال وبعد الحرب العالمية الأولى قد هضمتاها حقها كحليف منتصر. من هنا بدأت الولايات المتحدة في حركة تصحيح للتاريخ، بالتفكير وإطلاق مشاريع الشرق الأوسط الكبير والجديد بين الحين والآخر، آخذة في الاعتبار مصالحها الذاتية ومصالح ربيبتها (الدولة الصهيونية). ورغم أن الولايات المتحدة تضع السيطرة على العالم قاطبة على رأس جدول أعمالها ومنذ القِدم، وأنها أنشأت حديثاً مركزاً للأبحاث خاصاً بذلك وأطلقت عليه اسم (مشروع القرن الأمريكي الجديد) إلا أن عمليات المد والجزر في تحقيق ذلك الهدف تعود أساساً إلى طبيعة الإدارة الأمريكية ذاتها والظروف المحيطة بإمكانية التنفيذ.

ويهدف مشروع - القرن آنف الذكر - الجديد - حسب القائمين عليه - إلى مد السيطرة الأمريكية على الكرة الأرضية، بل والسيطرة على الفضاء أيضاً. وقد وقّع الرئيس جورج بوش مؤخراً وثيقة باحتكار الولايات المتحدة لاستخدام الفضاء، لم يجفَّ حبرها بعدُ. هذا الرئيس الذي يزعم أن الله قد منحه الحق بنشر الحرية والديمقراطية في العالم، وأن ما يقوم به ليس سوى إبلاغ تلك الرسالة للبشرية جمعاء. ويبدو أنه سيبلّغ الرسالة للعالم عن طريق سيطرته عليه أولاً.

ويبقى الشرق الأوسط - الحلقة الأضعف عالمياً - مركز الاستقطاب الأمريكي، لكونه مركز الحضارات والرسالات السماوية والنفط، ومن هنا تركز الإدارات الأمريكية جهودها للسيطرة عليه والحلول مكان المستعمرين السابقين. وتستغل



الإدارات الأمريكية الفرصة تلو الأخرى للسيطرة على شعوب المنطقة وإعادة تشكيلها وفق رغباتها.

● اعتبارهم الإسلام عدواً:

استغلت الإدارة الأمريكية الحالية أحداث أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١م لاحتلال المنطقة عسكرياً وفرض أنظمة حكم عميلة على هواها. وقد ابتدأت الحملة العسكرية على أفغانستان ثم أتبعتها بحملة على العراق. ولم يقتصر الأمر على هاتين الدولتين، إنما هناك دول أخرى مرشحة ليست أراضي السلطة الوطنية الفلسطينية مستثناة منها.

وترى الولايات المتحدة أن ما حدث لها في ١١ أيلول/ سبتمبر يعود بالأساس إلى أفكار الدعاة والمفكرين الإسلاميين الذين كانوا يكتبون ويحضون الناس ويعملون على النهوض بالأمة الإسلامية واستقلالها عن المستعمرين الأوروبيين.

لذلك فإن ما تقوم به الولايات المتحدة هو مكافحة تلك الأفكار في دول المصدر أي (الدول الإسلامية) وليس ردة فعل على ما حدث في أيلول/ سبتمبر، وهو ما يتنافى مع الحقيقة. وتُبرز الولايات المتحدة أسماء (أبو الأعلى المودودي وسيد قطب وغيرهما) كأبرز هؤلاء المفكرين الذين تقول أمريكا إنه لولاهم لما شهد العالم الإسلامي حالة العداء لها، ولما قام منفذو عملية ١١ أيلول/ سبتمبر بعمليتهم تلك.

وقد شملت موجة العداء الأمريكي للحركات الإسلامية حركة حماس. فالحركة التي تضعها الإدارة الأمريكية على لائحة الإرهاب تكافح ضد المشروع الصهيوني على أرض فلسطين. وتأخذ الإدارة الأمريكية على حركة حماس كذلك تأييدها للجهاد ضد القوات الأمريكية في العراق، وقول رئيس مكتبها السياسي (خالد مشعل): إن الحركة تقاتل أعتى قوة في العالم وهي الولايات المتحدة وأعتى قوة في المنطقة وهي (الدولة العبرية). كما تقول واشنطن: إن أحد قادة حماس الراحلين الدكتور عبد العزيز الرنتيسي قد دعا لحرب الولايات المتحدة حين صرح بأن قتال أمريكا ليس واجباً وطنياً وأخلاقياً فحسب، إنما هو واجب ديني أيضاً.

ورغم أن حالة العداء الأمريكي للإسلام تعود إلى عقود من الزمن، إلا أنها اشتدت في السنوات الأخيرة، وخاصة بعد اختفاء العدو الشيوعي عن الخريطة السياسية الدولية وظهور الإسلام بديلاً حضارياً متجدداً، وهو ما اعتبرته الولايات المتحدة تهديداً لمحاولاتها السيطرة على العالم.

وقد أسهم في إيجاد حالة العداء هذه مجموعة من العوامل التي عملت على بلورة السياسة العدائية للإسلام. أبرز هذه العوامل سيطرة اللوبي الصهيوني على مصادر القرار في الولايات المتحدة. فـ «إيباك» (اللوبي الصهيوني) قد مدّ نفوذه إلى الإدارة الأمريكية في البيت الأبيض، ووزارتي الدفاع والخارجية والكونغرس بمجلسيه، وبات رجال «إيباك» يكتبون بأنفسهم مشاريع قرارات الكونغرس التي تهم (الدولة العبرية) وتعادي الدول الإسلامية.

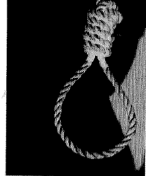
وامتدت يد اللوبي الصهيوني للسيطرة على وسائل الإعلام والثقافة، ومراكز الأبحاث التي تمد رجال الإدارة الأمريكية بالمعلومات والدراسات، والتي لا تخرج عن دائرة تفضيل (الدولة العبرية) ومحاربة كل ما هو إسلامي.

وتمكن هذا اللوبي من إنشاء مكتب في وزارة الخارجية الأمريكية لرصد حالات (العداء للسامية!) في العالم وتعيين مفوض في كل سفارة لرصد تلك الحالات في الدولة التي يعمل بها. والهدف من ذلك هو رصد العداء لـ (للصهاينة) من خلال ما يسمى (العداء للسامية) والتعامل معه آمريكياً.

ومن العوامل الهامة في التأثير على صنع القرار الأمريكي المعادي للإسلام هو انتشار أفكار اليمين المتطرف بين الأمريكيين ووصول ممثلي هذا التيار إلى أعلى المناصب القيادية في الولايات المتحدة.

والعامل المهم الأخير هو بلا شك دور النصارى الصهاينة وتأثيرهم الانتخابي الذي تحرص الدوائر الأمريكية على أخذه في الاعتبار لدى رسم سياستها الشرق أوسطية. فيعتقد ٣٠ ٪ من الأمريكيين أن إقامة (الدولة الصهيونية) خطوة أولى لعودة المسيح، بزعمهم، بينما يعتقد ٤٠ ٪ منهم بأن الله قد وهب فلسطين لليهود أبداً. لذلك تأتي القرارات الأمريكية بشكل كامل مؤيدة لـ (للدولة العبرية) ومعادية لكل ما هو إسلامي كنتيجة طبيعية للعوامل المؤثرة باتخاذ القرار وآليات تنفيذه.

وكأي دولة مستعمرة تطرح الولايات المتحدة شعارات براقة لجذب النفوس في الدول التي تنوي استعمارها. ويأتي الإصلاح والحرية والديمقراطية على رأس هذه الشعارات لحاجة الشعوب العربية والإسلامية لها.



● البرامج الأمريكية لتسهيل تمرير مشروعها الاستعماري:

ولتنفيذ ما تصبو إليه الإدارة الأمريكية من بناء للشرق الأوسط الجديد، أطلقت الولايات المتحدة مبادرات وبرامج عديدة أهمها :

● مبادرة منطقة التجارة الحرة:

تهدف المبادرة إلى إنشاء منطقة للتجارة الحرة قائمة على الفكرة الليبرالية واقتصاد السوق. ويرى الأمريكيون أن نتيجة قيام تلك المنطقة ستكون نمواً اقتصادياً كاملاً مما سيؤدي بدوره إلى بروز طبقة متوسطة الغنى ستكون صمّام أمان المجتمع. وترنو الولايات المتحدة إلى نوع من التكامل الاقتصادي بين دول المنطقة من جهة، وبينها وبين الولايات المتحدة من جهة أخرى، وذلك على غرار ما هو حاصل مع الأردن، البحرين، عُمان، والمغرب. وبالطبع ستكون (الدولة الصهيونية) محور هذا الحلف الاقتصادي.

● مبادرة الشرق الأوسط الكبير:

تقوم هذه المبادرة على عقد اجتماعات سنوية بين ممثلي الحكومات ورجال الأعمال ومؤسسات المجتمع المدني من جهة وممثلي الدول الثماني الكبرى. والغاية من تلك المبادرة تأمين الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لشعوب تلك الدول؛ لأن الاضطرابات وعدم الاستقرار سينعكس على الدول الغربية. وعقد حتى الآن مؤتمران للمبادرة في المغرب (٢٠٠٤) والبحرين (٢٠٠٥) وسيُعقد المؤتمر الثالث في عمان قبل نهاية العام الحالي.

● مبادرة شراكة الشرق الأوسط:

تقوم هذه المبادرة على ركيزتين وهما : مكتب الديمقراطية وحقوق الإنسان التابع لوزارة الخارجية، والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية.

وتهدف هذه المبادرة إلى دعم خطوات الإصلاح عن طريق تأمين المساعدات اللازمة للمؤسسات الحكومية وتوزيع منح مالية لمنظمات المجتمع المدني ودعم السياسيين المحليين الدائرين في الفلك الأمريكي. وفي المجال الثقافي تركز المبادرة على ترجمة الكتب الأمريكية للغة العربية، وترجمة ودبلجة الأفلام. وتولي المبادرة قضايا المرأة أهمية خاصة.

ويبين الجدول التالي برامج المبادرة وحجم الأموال المدفوعة لتغطيتها (بملايين الدولارات).

ورغم الجهود التي تقوم بها الإدارة الأمريكية، إلا أن تأثير ذلك على المنطقة ما زال محدوداً جداً، بل انعكس سلباً على أمريكا.

البرامج	٢٠٠٢	٢٠٠٣	٢٠٠٤	٢٠٠٥	إجمالي
اقتصادي	٦	٣٨	٣٢	٢٣	٩٩
تعليمي	٨	٢٥	٢٢	١٤,٤	٦٩,٤
سياسي	١٠	٢٥	٢٠	٢٢	٧٧
قضايا المرأة	٥	١٢	١٥,٥	١٥	٤٧,٥
إجمالي	٢٩	١٠٠	٨٩,٥	٧٤,٤	٢٩٢,٩

ففي السنتين الأخيرتين جرت انتخابات في عدد من الدول صعدت بنتيجته تيارات معادية للسياسة الأمريكية بالكامل. ففي فلسطين رغم نكباتها، وفي مصر، كان فوز التيار الإسلامي الذي أرادت أمريكا مكافحته ملفتاً. وقد أدى هذا الأمر إلى مراجعة السياسة الأمريكية بالكامل، فهل تستمر الولايات المتحدة بدعمها لما يسمى بـ (الإصلاح) وما يفرزه من نتائج عكسية، أم أن على الولايات المتحدة وقف دعم الديمقراطية والتحالف مع الأنظمة المستبدة من أجل مصالحها ومصالح (الدولة الصهيونية)؟

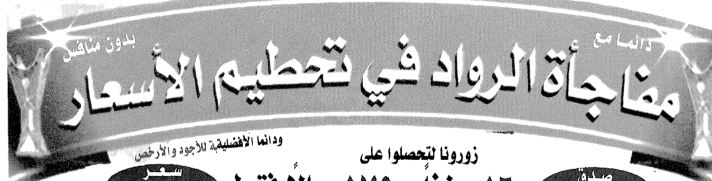
● خريطة الشرق الأوسط الجديد:

يبدو أن الإدارة الأمريكية أمام فشل سياستها لدعم الإصلاح والديمقراطية في الشرق قد وجدت أن سياسة العصا أحق بالاتباع من سياسة الجزرة؛ فقد بدأت أمريكا بحربها على أفغانستان، ومن ثم على العراق، وحاولت الشيء نفسه بالوكالة عن طريق (الصهاينة) في حربها المستمرة ضد الشعب الفلسطيني وحكومته المنتخبة ديمقراطياً. وما زالت تهدد بعمل عسكري ضد سورية وإيران، السودان وضد الصومال أخيراً. كما سبق أنها هددت بإعادة باكستان إلى العصر الحجري إن لم تتحالف معها. ولكن لماذا كل ذلك؟ وهل حقاً تريد أمريكا الإصلاح والحرية والديمقراطية؟

خريطة الشرق الأوسط الجديد التي نشرتها مجلة «القوات المسلحة» الأمريكية توضح حقيقة أن كل ما يتم لا يخرج عن المصلحة الأمريكية - (الصهيونية) المشتركة.

فمصلحة الولايات المتحدة أن تسيطر على الدول الإسلامية بأي طريقة كانت للقضاء على الإسلام، الذي تعتبره المحرك الرئيسي لظاهرة العداء لها والمستحكم في نفوس شعوب العالم الإسلامي، ومن ثم السيطرة على موارده الاقتصادية .وإشراك (الدولة الصهيونية) في ذلك، إضافة إلى زرع المنطقة بدويلات قومية ومذهبية وعرقية تبرر للكيان الصهيوني وجوده كدولة عنصرية.

الهدية المناسبة لكل مناسبة بأسعار مناسبة عرض خاص بمناسبة عيد الأضحى



زورونا لتحصلوا على

صدق أو لا تصدق

١٦ صنفاً بـ ١٧٥ ريالاً فقط

سعر خيالي





١٧٥ ريال الكرتون

١) ١/٢ ك عسل سدر جبلي
٢) ١/٢ ك حبة البركة
٣) ١/٢ ك عسل زهور برية (أطفال)
٤) ٤٠ غرام حبوب لقاح
٥) ٥ غرامات زعفران أبو شيبه الفاخر
٦) أوقية لبان
٧) ١/٢ أوقية عود كمبودي (بخور)
٨) ١/٤ توله دهن عود كمبودي فواح
٩) ١/٤ تولة مسك متسلق
١٠) ١/٤ تولة مخلط (نسائي)
١١) أوقية معمول (نسائي)
١٢) أوقية بخور مبثوث خليجي
١٣) علبة بودرة للعرق
١٤) ١/٢ تولة عطر الفواحة
١٥) الفواحة الحديثة
١٦) باكيت شمع الفواحة







١) نصف كيلو عسل زهور برية (أطفال)
٢) ٤٠ غرام حبوب لقاح
٣) نصف أوقية عود كمبودي (بخور)
٤) أوقية معمول نسائي
٥) ربع تولة دهن عود كمبودي فواح
٦) ربع تولة مسك متسلق



٩٥ ريال فقط

١) نصف أوقية عود كمبودي (بخور)
٢) أوقية معمول نسائي
٣) ربع تولة دهن عود (فواح)
٤) ربع تولة مسك متسلق



١١٠ ريال فقط

١) نصف أوقية عود كمبودي
٢) أوقية معمول بخور
٣) أوقية بخور مبثوث خليجي
٤) ربع تولة دهن عود فواح
٥) ربع تولة مسك متسلق
٦) ربع تولة سلطان للعطور
٧) ربع تولة مخلط الرواد
٨) ربع تولة مخلط الندى



٧٥ ريال فقط

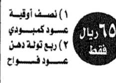
١) نصف أوقية عود كمبودي
٢) ربع تولة دهن عود (فواح)
٣) ربع تولة مسك متسلق





تولة مخلط الرواد





٦٥ ريال فقط

١) نصف أوقية عود كمبودي
٢) ربع تولة دهن عود فواح



١) تولة مخلط الرواد
٢) ربع تولة دهن عود فواح
٣) ربع تولة مسك متسلق

١- العليا - الرواد للعود والعسل ت، ٤٥٠٧٠٥٨
٢- شقراء - ت، ٦٢٢٣٠٥٠ - ت، ٦٢٢٥٠٠٠
٣- الروضة ت، ٢٠٨٨٤٦٢ - ت، ٢٢٨٤٣١٦
٤- النظيم - ت، ٢٤٥٣٣١٥ / ج ٢٤٦٣٣٨٩
٥- حي السلام - ت، ٢٣٩٠٤٩٠ ت، ٤٩٦٤٨٨٨
٦- النسيم - ت، ٢٣٧٦٢٨٩ - ت، ٢٣١٧٤٩٤
٧- الخرج - ت، ٥٤٨٤١٦٧ - ت، ٥٤٤٨٥٣٥
٨- طريق الخرج ت، ٤٤٨٧٨٠٣ - ت، ٤٩٥٤٣٣٥
٩- الملز ت، ٤٧٣٣٠٠٠-٢٠٦٥١٥٥-٢٠٦٤٤٤٨
١٠- العريجا - ت، ٤٣٣٣٨٢١ - ت، ٤٣١٢٩٣١
١١- أسواق مكة ت، ٤١١١١٨٧ - ت، ٤١٣٠٠٠٠
١٢- التخصصي ت، ٤٦٥٦٦٣٦ - ت، ٤٨٢٥٤٢٣
١٣- بريدة الدخيل للعود ت، ٣٢٥٠١٩٠-٣٦٩٧٠٨٥
١٤- المجمعة - ت، ٤٣٢٠٦٤٨ - ت، ٤٣٢٤٦٠٠
١٥- مخرج ١٥ - ت، ٤٩٢٨٧٩٧ - ت، ٢٣٨٩٩٨٨
١٦- الشفا - ت، ٤٢٣٠٧٥٤ - ت، ٤٢٢٤٥٩٦
١٧- الدمام تسجيلات القادسية ت، ٨٣٢١١١٠ - ٨٢٢٧٢٦٤
١٨- الربوة - ت، ٤٩١٠٥٢٦ - ت، ٤٩٢١٩٤٠
١٩- حريملاء - ت، ٥٢٦١٠٥٨ - ت، ٥٢٨٠٧٢٨
٢٠- حي السلام - ت، ٢٣٩٠٤٩٠ / ٤٩٦٤٨٨٨
٢١- الزلفي - ت، ٤٢٣٢٣٨٢ - ت، ٤٢٢٤٤٩٤
٢٢- الأفلاج - تسجيلات بشرى - ج ٠٥٥٤٤٥٥١٩١-٦٨٢٥٥٤٤
٢٣- طريق المطار - ت، ٤٧٠١١٥٢ - ت، ٢٧٨٣٠٨٤
٢٤- حفر الباطن - ت، ٧٢٣٢٤٤٤ - ج، ٠٥٠٨٧٨٠٤٢٠
٢٥- السويدي ت، ٤٢٥٣٧٣٧ - ت، ٤٢٤٦٢٣٠
٢٦- المصيف - ت، ٤٥٣١٦٢٨ - ت، ٤٥٠٤٦٥٣
٢٧- الدرعية ت، ٢٢٤١١١٤ / ٤٨٧٠٤٠٠
٢٨- القويعية - ت، ٦٥٢٠٤٠٢ - ت، ٦٥٥٠٩١٦
٢٩- مكة ت، ٥٥٨٤٩١٢ - ٥٥٧٣٠١٤
٣٠- المدينة - ت، ٨٦١٠١٢٠ - ت، ٨٢٣٠٧٢٥
٣١- العوية - تسجيلات العوية - ت، ٧٢٥٤٩٠٩-٠٥٥٥٥٥١١١٧
٣٢- المرسلات - ت، ٢٦٣٠٧٠٠ - ت، ٤٥٠٣١٧١
٣٣- تبوك - ت، ٤٢٢٠٥٤٨ - ت، ٤٢٣٤٦٧٣
٣٤- الروضة - ت، ٢٣٨٩٩٨٨ - ت، ٢٢٧١٨٩٨

أحسن الاختيار ولك الخيار .. واحذروا التقليد ... إتصل نصل ..

الرواد دائما لخدمة الكرام هاتف / ٤٥٣٣٨٦٧ / ٤٥٠٧٠٥٨ / ج: ٠٥٠٤٢٩٨٧٥٢

ملفات

فصول المؤامرة:
مخطط حركة فتح لإفشال حكم حماس!

إبراهيم أبو الهيجاء

الحديث عن مؤامرة تستهدف حكومة حماس ليس معناه أننا نسبح في خيال (نظرية المؤامرة) أو هو تجنٍّ على الأطراف التي تمارسه؛ فقد كان فوز حركة حماس في الانتخابات المجلس التشريعية بنتيجة مؤثرة مفاجأة للأطراف الفاعلة والمعنية بالقضية الفلسطينية، وهذا ما أكده الكاتب الصهيوني (ناحوم برنياع) في مقالٍ نشرته صحيفة (يديعوت أحرونوت) العبرية يوم (٣٠/١/٢٠٠٦)، وذكر أنّه عشية الانتخابات التشريعية الفلسطينية أُعدّت سيناريوهات حول كلّ الاحتمالات القائمة إلا فوز حماس وهو مما يدل على إخفاق استخباري خطير. وهذا برأينا رد كافٍ على الذين سوّقوا فوز حماس للشعب الفلسطيني وكأنه صفقة صهيونية وأميركية. والأكثر دلالة وتأكيداً على حدوث تآمر على فوز حماس من قِبَل أطراف فلسطينية وصهيونية وأميركية وعربية ما كشفت عنه صحيفة (نيويورك تايمز) الثلاثاء في (١٤/٢/٢٠٠٦م) عن أنّ الكيان الصهيونيّ وأمريكا تحيكان مؤامرة تهدف إلى عزل السلطة الفلسطينية والتسبب للشعب الفلسطيني بمعاناةٍ (تجبره على إسقاط حركة حماس وإعادة فتح إلى السلطة)... وبعدها كشفت صحيفة (هآرتس) الصهيونية في (٢٠/٢/٢٠٠٦م) نقلاً عن صحيفة (صاندي تايمز) البريطانية، النقاب عن أنّ مسؤولين صهاينة وفلسطينيين كباراً أجروا مؤخّراً محادثات سرية في ولاية (تكساس) الأمريكية لبحث سبل إضعاف حركة المقاومة الإسلاميّة حماس... ولاحقاً ذكرت صحيفة (يديعوت أحرونوت) في عددها الصادر الإثنين (٢٤/٤) أن خطة عمل سرية يتم الإعداد لها في محافل أمريكية لإسقاط الحكومة الفلسطينية الجديدة، والدعوة إلى إجراء انتخابات تشريعية جديدة.

● ترقيات وتعيينات للإفشال من الداخل:

إسقاط حكومة حماس فيما يبدو هدفاً للكثير من الأطراف الفلسطينية والعربية فضلاً عن الولايات المتحدة والعدو هذه حقيقة لا يختلف عليها اثنان، ويؤكدها ما جرى على الأرض وما يصرح به جهاراً نهاراً؛ فحركة فتح التي سلمت نظرياً بالهزيمة خلّفت وزارات وموظفين يدينون بالولاء لها، بعد عمليات منهجية من الإقصاء الوظيفي ضد الآخرين ولا سيما أبناء ومريدي حركة حماس من خلال ما يسمى قانون (السلامة الأمنية)، وحتى التراتيب الإدارية جرى التلاعب بها بعد فوز حماس دون معايير عادلة كحال التوظيف الذي تم على أسس تنظيمية ودون مؤهلات علمية أو معايير مهنية، وقد أصدرت حكومة (أحمد قريع) التسييرية خلال شهرين فقط (من ٢٠/١١/٢٠٠٥م حتى ٢٩/٣/٢٠٠٦م) قبل مغادرتها مواقع الحكم، ما يزيد عن ٤٢٢ قراراً للتعيين والتسكين. وعزز رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس موقفها بإصدار ما يزيد عن ١٤٣ مرسوماً رئاسيّاً لبعض القرارات، على الرغم من أنّ عباس شخصياً أصدر قراراً بتاريخ ٢٠/١١/٢٠٠٥م بوقف كلّ أشكال التعيينات والترقيات والتسكينات الوظيفية حتى يتمّ الانتهاء من الانتخابات التشريعية في ٢٥/١/٢٠٠٦م؛ مع العلم أن حكومة تسيير الأعمال، لا يجوز لها أن تقوم بمثل هذه الإجراءات، إنما تقوم بأمور تنفيذية محصورة ودقيقة، ولا يجوز التوسع فيها بأي حال من الأحوال، وهذا واضح في المادة ٧٨ أو ٧٩ من إحكام القانون الأساسي المعدل من ٢٠٠٣ - ٢٠٠٥ والذي ينص في البند ٣ من هذه المادة على أنه عند انتهاء ولاية رئيس الوزراء وأعضاء حكومته يمارسون أعمالهم مؤقتاً باعتبارهم حكومة تسيير أعمال، ولا يجوز لهم أن يتخذوا من القرارات إلا ما هو لازم وضروري

لتسيير الأعمال التنفيذية لحين تشكيل الحكومة الجديدة.

● سحب للصلاحيات لتضيق الخناق القانوني والسياساتي على الحكومة الجديدة:

بعد أن تبين فوز حماس تداعى المجلس التشريعي في بدعة ما أُسمي (جلسة استثنائية) بتاريخ ١٣ شباط/ فبراير ٢٠٠٦، قبل خمسة أيام من الموعد المقرر لأداء أعضاء المجلس الجديد اليمين الدستورية (١٨ شباط/ فبراير)، أي بعد مرور ثمانية عشر يوماً على إجراء الانتخابات التشريعية التي تعني ببساطة انتهاء التفويض الشعبي الديمقراطي للمجلس القديم ومنح تفويض آخر لمجلس جديد.

ولم تقتصر هذه الجلسة على جلسة وداع كما كان متوقعاً، بل أعطت لرئيس السلطة الفلسطينية صلاحيات دستورية بالغة الحساسية حيث يخوله التعديل الجديد صلاحيات تعيين أعضاء المحكمة الدستورية، في إجراء يشير إلى نوايا انقلابية تنتقص من استقلالية المحكمة الدستورية والقضاء والسلطة التنفيذية ككل.

وفي بدعة المراسيم الرئاسية كان واضحاً أن الرئيس الفلسطيني غير آبه بنصوص الدستور الفلسطيني التي انتصر لها إبَّان رئاسة عرفات؛ فهو **أولاً**: حجب موافقته عن الكثير من قرارات الحكومة الجديدة حيث لم يوافق إلا على خمسة وعشرين مرسوماً للحكومة الحالية؛ في حين صادق على عدد زاد عن الـ ١٤٠ مرسوماً للحكومة السابقة في الفترة نفسها، **وثانياً**: أصدر مراسيم تخالف الدستور في اعتداء صارخ وواضح على صلاحيات الحكومة الفلسطينية.

- أصدر ديوان رئاسة السلطة الفلسطينية في رام الله مرسوماً رئاسياً يقضي بمسؤولية مجلس الأمن القومي الفلسطيني عن أعمال وتسيير الأجهزة الأمنية الفلسطينية (٢٠٠٦/١/٣٠).

- قيام رئيس السلطة الفلسطينية بتعيين الدكتور وليد ذيب الرئيس السابق للجامعة العربية الأمريكية أميناً لسر مجلس التعليم العالي، وتعيين الدكتور محمود أبو الرب المحاضر بجامعة النجاح الوطنية بنابلس رئيساً لدائرة الرقابة العامة، وقرار من رئيس المجلس التشريعي المنتهية ولايته بتعيين إبراهيم خريشة أميناً عاماً للمجلس التشريعي (٢٠٠٦/٢/٥م).

- الرئيس يصدر عدة مراسيم رئاسية تنقل مرجعية هيئة الإذاعة والتلفزيون الفلسطينية، من وزارة الإعلام إلى مكتب الرئيس، كما صدر مرسوم آخر بنقل صلاحية مرجعية الهيئة العامة للاستعلامات أيضاً من وزارة الإعلام إلى مكتب الرئيس عباس، وثالث يقضي بإعادة مرجعية وكالة الأنباء الفلسطينية الرسمية (وفا) من وزارة الإعلام إلى منظمة التحرير الفلسطينية، لكونها الجهة التي أنشأتها في عام ١٩٧٢ (٢٠٠٦/٢/١٤م).

- مرسوم رئاسي يقضي بترقية اللواء رشيد أبو شباك (أبو حاتم) من مدير الأمن الوقائي في قطاع غزة إلى مدير عام الأمن الداخلي الذي يضمّ جهاز الأمن الوقائي، والشرطة، والدفاع المدني، في الضفة الغربية وقطاع غزة (٢٠٠٦/٢/٢٠م).

- أصدرت اللجنة التنفيذية في منظمة التحرير الفلسطينية بياناً ترفض فيه برنامج حكومة حماس، ودعت الحركة إلى تعديل برنامجها بحيث يعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني، وذلك في ختام اجتماع عقدته بمدينة رام الله يوم الأربعاء (٣/٢٢).

- الرئيس الفلسطيني يحوِّل تبعية صندوق الاستثمار الفلسطيني بالكامل إلى رئاسته رغم أن نظامه الداخلي يخوِّل وزير المالية الفلسطيني بصفته يرأس مجلس إدارته، وبلغت موجوداته حسب نشرة من الصندوق ذاته في النصف الثاني من العام ٢٠٠٥ حوالي ١,٤ مليار دولار بين أصول واستثمارات في شركات مختلفة (٢٠٠٦/٣/٢٩م).

- أصدر رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس مرسوماً رئاسياً يقضي بتبعيّة الإدارة العامة للمعابر والحدود، لرئيس السلطة مباشرة (٢٠٠٦/٤/٥م).

- حتى يوم جمعة وهو يوم العطلة أصدر رئيس السلطة الفلسطينية مرسوماً رئاسياً يلغي بموجبه قرار وزير الداخلية الفلسطيني سعيد صيام، الذي عيّن فيه جمال أبو سمهدانة مراقباً عاماً في وزارة الداخلية (٢١/ ٤/٢٠٠٦م).

- لم يصطحب الرئيس الفلسطيني أياً من وزرائه إلى أي بلد زاره، كما لم يسمح لهم باستقبال أي من ضيوفه.

● شروط تعجيزية لإقامة حكومة وحدة وطنية:

في محادثات حكومة الوحدة الفلسطينية كان واضحاً تمسك حركة فتح بإفشال هذه المساعي، وقال محمد دحلان وزير الداخلية الفلسطيني السابق في ٢٠٠٦/١/٢٧م وحتى قبل أن تبدأ محادثات حكومة الوحدة: (يمنع منعاً باتاً أن تشارك فتح في حكومة تقودها حماس)، ووضعت حركة فتح شروطاً تعجيزية لتأسيس مثل هذه الحكومة، ومن هذه الشروط: عدم قبول حماس بمنظمة التحرير الفلسطينية أو تمهيد قبولها لوثيقة الاستقلال: التي تجبر حماس على الاعتراف بـ (الدولة العبرية) كذلك قبول حماس بالتسويات القائمة.

كل الاشتراطات المطروحة يناقضها ما يلي:

١- الحكومة الفلسطينية صيغة للبرامج الداخلية وليس

للمفاوضات السياسية، دون أن يعني هذا حق حماس أن تسعى بالوسائل القانونية والسلمية لتغيير معادلات التسوية الظالمة، ولعل إنجاز تغيير سياسي مرتبط أكثر بإصلاح منظمة التحرير الفلسطينية وليس بإصلاح السلطة وحسب.

٢ - حماس فازت على أساس برنامج واضح حاز على ثقة شعبية واسعة وليس مطلوباً منها أن تُقْدِم على تنازلات لبرامج سقطت واقعياً وشعبياً.

٣- الانتخابات التشريعية أجريت على أساس عقد نظامي توافقت عليه القوى الفلسطينية جميعاً بما فيها القوى التي لم تشارك، ووُقِّع في (القاهرة) وهو يمثل القاسم المشترك، وحماس على ضوئه غير ملزمة بتقديم صيغ جديدة.

● سلاح الاستفتاء على وثيقة الأسرى:

حدد الرئيس الفلسطيني يوم الأربعاء الموافق ٢٦/٧/٢٠٠٦م يوماً للاستفتاء على وثيقة الوفاق الوطني (الأسرى) وفق مرسوم رئاسي صدر بتاريخ ٢٤/٣/٢٠٠٦م، في إجراء يفتقد للمنطقية بإجراءاته؛ ناهيك عن القانونية في إصداره، وقد صدر العديد من الدارسات القانونية التي شككت في نظامية الاستفتاء، ولكن الإصرار على الاستفتاء كانت الأهداف الجلية منه إما توريط حماس بالقبول باتفاقيات التسوية تحت مسميات (الشرعيات العربية والدولية)، أو إيجاد المبرر الشعبي للتخلص منها إن هي أبت ورفضت نتائجه، أو استخدام الاستفتاء لمساومتها على شكل جديد لحكومتها تكون أبعد ما تكون هي عن التأثير به، ولكن في ٢٦/٦/٢٠٠٦م توصلت الفصائل الفلسطينية إلى صيغة مقبولة لوثيقة الأسرى بعد تعديلات لغوية وإضافات بسيطة طالبت فيها حركة حماس، تُمكِّن فتح من الادعاء أن الوثيقة تقترب من برنامجها، وتمكن حماس من القول إنها لم تتنازل عن برنامجها، وأنه ما زال هناك مجال لغوي واصطلاحي يمكنها من الرفض لأي تنازلات تستهدف الانتقاص من الثوابت الفلسطينية، ولكن كان واضحاً أن الرفض الصهيوني والأميركي للاتفاق الذي توصلت إليه الفصائل الفلسطينية هو السبب المباشر بتهرب حركة فتح ومحمود عباس من وثيقة الوفاق المستجدة، حيث جرى مطالبة حماس مرة أخرى بالحوار حول وثيقة الوفاق. وهذه ليست المرة الأولى؛ فمن قَبْل وثيقة الوفاق كان هناك اتفاق القاهرة الذي على أساسه جرت الانتخابات البلدية والتشريعية الأخيرة ولم تحترم حركة فتح تنفيذ بقية بنوده ولا سيما بعد فوز حماس، وحتى بعد الإعلان عن قرب ولادة حكومة وحدة فلسطينية أي بعد التوافق بين فتح وحماس على برنامج مقتبس من وثيقة الوفاق، تدخلت الإدارة الأميركية واستدعت الرئيس (أبو مازن) فأسرع لزيارتها فعلق حوار حكومة الوحدة كما صرح بذلك نبيل عمرو، المستشار الإعلامي للرئيس محمود عباس، بتاريخ ١٥/٩/٢٠٠٦م بذريعة تصريحات عبرت عن مواقف حركة حماس أسهمت في تخويف المجتمع الدولي من حكومة الوحدة الوطنية كما قال عمرو ذاته، وهذه حجة سخيفة، بل هو اعتراف صريح من رئاسة السلطة أنها مرتهنة بشكل كبير في الموقف الأميركي والصهيوني الأكثر رفضاً لحكومة الوحدة الفلسطينية التي رحب بها بالمقابل الاتحاد الأوروبي الأكثر تمويلاً للسلطة الفلسطينية، وهذا ما يسقط الحجة المالية وفك الحصار في تبرير التوصل لحكومة يقبل بها ما يسمى المجتمع الدولي، وهذا لا يدل فقط على أن حركة فتح لا تريد التضحية بعلاقاتها مع الأميركان، بل يبدو واضحاً وجود تيار فيها متحالف مع الرغبة الأميركية والصهيونية في عدم إنجاح تجربة حماس بأي صيغة تؤمِّن لها سلَّم الصعود أو حل المشكلة الاقتصادية.

● نشر للفوضى وتعميم لثقافة البلطجة:

ويقف على رأس ذلك **عمليات الاختطاف** للأجانب التي قامت بها مجموعات مختلفة محسوبة على حركة فتح وإن تنصلت منها؛ حيث نفذ قرابة (٢٤) عملية اختطاف لأجانب وصحفيين، وحتى لم يسلم منها (حسام الموصلي) الملحق العسكري في السفارة المصرية في ٩/٢/٢٠٠٦م، كل هذه الحوادث هدفت أولاً: لإشغال وإرهاق حكومة حماس في عمليات تفتيش دقيقة تستنفد وقتها وتظهرها بمظهر العاجز، وثانياً: الإساءة لتجربتها أمام المتطلعين إلى قدرتها على الحكم والضبط.

في المستوى الثاني: لتكتيك الفوضى الذي اتبعته حركة فتح لجأت إلى أحداث متعددة من الاعتداء على مؤسسات وشخصيات مقربة من حركة حماس، وتالياً: عمدت إلى تخريب كل ما طالته أيديهم من مقرات تابعة للسلطة الفلسطينية ولا سيما مقر المجلس التشريعي ورئاسة الوزراء، وثالثاً: انتقلت مجموعات من حركة فتح لإطلاق الرصاص على سيارات ومنازل رموز وأعضاء من المجلس التشريعي المحسوبين على حركة حماس، بل جرى سفك لدماء الكثير منهم كأحداث قطاع غزة التي ذهب ضحيتها العشرات بين بريء ومستهدف، ولاحقاً جرى تعمُّد خطف نواب وملاحقة وزراء وتكسير سياراتهم والاعتداء عليهم بالضرب وعلى حراسهم أيضاً.

في المستوى الثالث: ومصاحباً لحوادث الاعتداء والترهيب وعمليات الخطف لأجانب ودبلوماسيين: كان هناك تحريض وشحن لعناصر الأجهزة الأمنية الذين يتبعون بأغلبهم لحركة فتح، ترجم إلى مسيرات انتهت غالباً بالتخريب والفوضى والصدام مع قوات التنفيذية التي شكلتها وزارة الداخلية

الجديدة، وحذر من ذلك مبكراً (العميد علاء حسني) قائد الشرطة الفلسطينية الذي قال في حوار أجرته معه صحيفة الخليج في (٣/٢/٢٠٠٦م): إنّ هناك (رؤوس أفاعٍ) خرجت تحرض الأجهزة الأمنية حتى وخرق النظام والقانون بدعوى أنّ هذه الأجهزة هي مؤسسة (فتحاوية) لا يجوز لحركة المقاومة الإسلاميّة حماس أنْ تأخذها.

في المستوى الرابع: كانت هناك حرب نفسية تُشَنُّ على الحركة أبرزتها تصريحات معظم قيادات حركة فتح التي صبت جام غضبها على تجربة حماس بزعم عدميتها السياسية وفشلها في إدارة الحكم، وقد اظهر مسح إعلامي لوسائل الإعلام الفلسطينية في (٢٥/٩/٢٠٠٦م) أنجزه مركز رواد الصحافة والإعلام أن ٩٥٪ من التصريحات والأخبار الصادرة عن أطر وشخصيات حركة فتح والمنشورة في الصحف ومواقع الإنترنت منصبة على الهجوم على حركة حماس والحكومة الفلسطينية مقابل ٥ ٪ لممارسات الاحتلال الصهيوني، ولفت المسح ذاته إلى أن الصحف الفلسطينية اليومية الثلاث تواصل انحيازها السافر إلى وجهة نظر حركة فتح؛ فمثلاً ذكر التقرير أن صحيفة القدس المقدسية حجبت أخبار الحكومة الفلسطينية ووزرائها ومواقف حركة حماس أربعة أيام خلال الأسبوعين الأخيرين من الصفحة الأولى؛ حيث أعطت مجالاً بارزاً لمتحدثين صغار من حركة فتح بينما اكتفت بنقل أخبار رئيس الوزراء بالصفحة الثالثة وما بعدها. ويلاحظ من الرصد أن هناك تنافساً شديداً بين متحدثي حركة فتح في إصدار التصريحات مما أربك وسائل الإعلام؛ حيث تم رصد ١٧ تصريحاً لحركة فتح في يوم واحد في قضية واحدة، ورصد المسح أيضاً قيام بعض الإعلاميين بإنجاز تقارير موجهة مدفوعة الأجر وتعميمها على وسائل الإعلام حيث رصدت منشورة في عدد كبير من المواقع والصحف.

في المستوى الخامس والحلقة الأخطر: جرى إضراب شامل للموظفين لم يسلم منه قطاع التعليم والصحة ولا زال حتى كتابة هذه السطور قائماً، ويعود نجاحه نسبياً في الضفة الغربية إلى سبب موضوعي يتعلق أساساً بانتماء أكثر من ٨٠٪ من الموظفين لحركة فتح وعلى الأقل جرى توظيفهم بواسطتها، كما أن حركة فتح تكاد تُحكم سيطرتها على الأجهزة الأمنية التي يمكنها تطبيق قرارات الحكومة أو تنظيم الإضراب ضمن القانون والنظام العام. وقد لاحظنا صدقية هذه النقطة عندما تذرعت قوى الأمن بالعجز عن حماية المؤسسات التي أصرت على الانتظام خلافاً لدعوات الإضراب، بل إن قوى الأمن في بعض المحافظات تدخلت بقوة لإغلاق بعض المدارس وساندت المسلحين، يضاف إلى ذلك أن الكثير من المجموعات المسلحة الضاربة والمحسوبة عناصرها على القوى الأمنية استخدمت التهديد والوعيد لردع المدرسين عن الذهاب لمدارسهم.

أما الإعلام الفلسطيني الرسمي فكان تحريضه وانحيازه مع المضربين وضد الحكومة واضحاً سواء في تناول الأخبار وتوازنها أو انتقاء التحليلات أو تسليط الأضواء على زاوية واحدة من المشهد الفلسطيني. في الآونة الأخيرة كان هناك تحريض مباشر من الرئيس الفلسطيني قبل أيام من بدء الإضراب عندما ألمح إلى أن حماس تنفق على عناصرها مهملةً جوع الشعب الفلسطيني ومؤكداً أن الطعام يأتي قبل الديمقراطية في الأهمية لدى الشعب الفلسطيني، وأُتبع ذلك بقرار صريح من اللجنة التنفيذية التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية يؤيد فيه إضراب المعلمين، وكأن كل الشرور ومصائب التجويع أصبحت حماس مسؤولة عنها وبذمتها.. كل ما تقدم يؤكد أن ما يجري لا يمكن أن يقال عنه إضراب نقابي مطلبي عفوي، بل هو عصيان وتمرد مسلح يستهدف أساساً حكم حماس.

● افتعال الأزمات المالية:

أشارت صحيفة (نيويورك تايمز) في ٢٣/٢/٢٠٠٦م لأول مرة أنّ الاتحاد الأوروبي يعمل على بلورة اقتراح لتحويل المساعدات الأوروبية مباشرةً إلى رئيس السلطة الفلسطينية بموافقة أميركية، ونظراً لمعاناة الموظفين واشتداد الخناق على الفلسطينيين نتيجة عدم قدرتهم على تحويل أي مبلغ للسلطة الفلسطينية مهما بلغ حجمه بسبب التخوف من العقوبات الأميركية، وافقت حماس على التخلي الجزئي عن صلاحياتها المالية لصالح رئيس السلطة الفلسطينية، وشكلت لهذا الغرض لجنة مشتركة ما بين مكتب الرئيس ورئيس الوزراء ووزارة المالية. وبالفعل استقبلت العديد من الحوالات على حساب مكتب الرئيس وحدثت انفراجات مالية مهمة، ولكن كان من الواضح أن قبول الرئيس الفلسطيني لاستقبال هذه الحوالات أو حل المعضلة المالية لن يدوم؛ لأنه مرتبط بمطالبه السياسية من حماس. صحيح أن الاميركان لم يكونوا راضين تماماً عن الآلية الأوروبية، ولكن كان يمكن للرئيس الفلسطيني أن يكون أكثر تحمساً لها؛ والدليل على ذلك رفض الرئيس لتصرف الحكومة بمقدرات صندوق الاستثمار الفلسطيني الذي أنشئ سنة ٢٠٠٢، وترأسه (سلام فياض) تلبيةً لمطالب المانحين، ولكن عرفات أصرّ على أنْ يتسلّم مستشاره خالد سلام مسؤولية الإدارة التنفيذية للصندوق، وعضو في مجلس الإدارة، على أنْ يكون مقره العاصمة المصرية القاهرة.

ووفقاً لإعلان الصندوق نفسه فإنّه حقّق أرباحاً عام ٢٠٠٣ بنسبة ٢٦٪ ، وارتفعت معدلات الأرباح في السنوات اللاحقة إلى أكثر من ٣٠٪ وهذا وفقاً للإعلانات الرسمية. وعندما طُلب من صندوق الاستثمار من قبل الحكومة الجديدة المساهمة في سد العجز الذي يعاني منه الموظفون رفض الرئيس الفلسطيني ومدير الصندوق الدكتور محمد مصطفى هذا الطلب وذلك بتاريخ (٢٠٠٦/١٠/٤)، رغم أنه قال في مقابلة معه في جريدة القدس: إن كل ما يستطيع الصندوق التصرف به الآن هي أصول قابلة للتسييل في حدود (٢٥٠) مليون دولار، بل إنه ذكر في المقابلة ذاتها قائلاً: (إن دعم الخزينة الفلسطينية هو أيضاً من بين واجبات الصندوق التي قام بها منذ تأسيسه على أتم وجه).

وللتأكيد على أن الصندوق كان ناجحاً حسب تقرير المجلس الديمقراطي الأميركي (سنة ٢٠٠٤) والذي يعمل كمستشار حول قضايا الشفافية وأسلوب الحكم لدى الصندوق حيث جاء في التقرير ما نصه: (حقق صندوق الاستثمار الفلسطيني درجة عالية من النجاح وأدرك الكثير من أهدافه برغم صعوبة الوضع والمعوقات اللوجستية الناجمة عن التراجع الاقتصادي وأعمال العنف والإغلاقات وغياب الاستقرار السياسي). و (سلام فياض) رئيس مجلس صندوق الاستثمار السابق ووزير المالية الأسبق ذكر في موقع أمان الإلكتروني أنه (تحققت زيادة ملحوظة في الأرباح المحمولة للخزينة من صندوق الاستثمار الفلسطيني حيث بلغت قيمتها ٦٠ مليون دولار في ٢٠٠٤ وكانت ٣٥ مليون دولار في ٢٠٠٣، رغم تراجع مستوى المساعدات الخارجية المنخفض نحو ٦٠ بالمائة.

وفي مؤتمرٍ صحافي عُقِد في فندق الـ (جراند بارك) في مدينة رام الله، تحدّث (جورج عبد) محافظ سلطة النقد الفلسطيني قائلاً: الوضع المصرفي بشكل عام قوي ومتين، مؤكداً أنّ مجموع موجودات الجهاز المصرفي وصلت إلى ٥,٦ مليار دولار وودائع العملاء ٤,٢ مليار دولار، وإذا تم إضافة ودائع سلطة النقد والبنوك الأخرى فإن حجم الودائع تصل إلى ٤,٧ مليار دولار، مشدّداً على أنّ التسهيلات بلغت ٤٣ بالمائة؛ بمعنى أنّ السيولة لدى البنوك تصل إلى ٥٧٪ من مجموع موجوداتها، وأنها متوفرة، وأنّ القطاع المصرفي جاهز للقيام بواجبه. ونوّه (جورج عبد) إلى أنّ الأزمات التي مر بها الجهاز المصرفي توحي للبعض بأنّ هناك ديوناً كثيرة، مشيراً إلى أنّه على الرغم من الأزمات فإنّ النسبة في فلسطين أدنى مما هي عليه في الدول المجاورة؛ فديونها لا تتجاوز ١١٪ ومن ثم فإن صحة الجهاز المصرفي بأحسن حال! (٢٠٠٦/٢/٢م).

إذاً هناك افتعال للمشكلة المالية أو على الأقل هناك تواطؤ على عدم حلها؛ فموجودات صندوق الاستثمار المليار كافية وحدها صمود الشعب الفلسطيني لأكثر من عام، والدليل الأحدث على أن الأزمة المالية في أجزاء كبيرة منها مفتعلة وعد الرئيس محمود عباس للمضربين من الموظفين عن راتب قبل شهر رمضان ٢٠٠٦، وتراجعه عن ذلك بعد عودته من واشنطن ورفض الأخيرة لموافقته على حكومة الوحدة الفلسطينية، وأكد ذلك (عاطف عدوان) وزير شؤون اللاجئين الذي ذكر فيها أن خزينة رئيس السلطة تحتضن أكثر من ثلاثمائة مليون دولار، وهذا ما اعترف به (رفيق الحسيني) مدير ديوان الرئاسة الفلسطينية يوم ٢٠٠٦/٩/٢٨م لوكالتي (وفا ومعاً) وصحف (القدس والأيام والحياة الجديدة) بعد الضجة التي كذب فيها تصريح (عاطف عدوان).

إذاً هذه الموجودات المالية كفيلة بحل جزء مهم من المشكلة المالية؛ فلماذا يتأخر الرئيس الفلسطيني؟ والأنكى أنه يقول للشعب الفلسطيني: (خبزته أهم من ديمقراطيته).

● وأخيراً:

يبدو أن حركة فتح والمجتمع الدولي يريدان حقاً اختبار تجربة حماس، بل إنه يساومها على أهدافها ضارباً بعرض الحائط معنى النتيجة التي حصلت عليها، وسيكون لذلك أثمان كبيرة ليس على مستوى حماس التي بإمكان الفلسطينيين تلمس الأعذار لها، وسيكون الانقلاب على فوز حماس تداعيات تمس بأي استقرار وتهدئة ينشدها المجتمع الدولي.. وستنتقل المقاومة من أدوات جزئية وأهداف مرحلية، إلى أدوات وأهداف أكثر شمولية.. وتعبير الناس الانتخابي هو احتجاج هادئ وبأساليب حضارية للتعبير عن حبها أو رفضها لشيء أو أشياء، بينما رفض هذا الاحتجاج والالتفاف عليه سيدمر كل شيء تحت أنقاض السلطة المتبقية.

ورغم كل شيء فإن الخشية على تجربة حماس ليست خارجية؛ فالشعب الفلسطيني قادر على تحدي الضغوط الصهيونية والأميركية والأوروبية، ولكن حماس ستكون ضعيفة أمام تحديات داخلية تحيرها بين السلطة ومغانمها والاقتتال الداخلي؛ لأن حماس تعتبر ذلك استنزافاً لمقدرات الشعب الفلسطيني، وسيسهم في تأخير حصاد مشروعها الاستراتيجي القائم على طرد الاحتلال.

ولكن، وبكل الأحوال فإن التلاعب بأوراق الداخل أو استقواء الداخل بالخارج لإجهاض نصر حماس سيكون له تداعيات شعبية أكبر من ضوابط حماس وأولوياتها، وهنا مكمن الخطر.



الفلسطينيون تحت الحصار

وضع الشعب الفلسطيني في ظل الأزمة السياسية

تحقيق: خبّاب بن مروان الحمد
kalhamad@albayan.co.uk

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

بهذه الآية تلهج ألسنة كثير من الفلسطينيين، مع ما يعانونه من آلام الوضع الاقتصادي، وانعدام الأمن النفسي، وعذابات الأسرى واللاجئين، واغتصاب المقدَّسات بأيدي اليهود الغاصبين.

وعبر هذا التحقيق أحاول رصد آراء عدد من مواطني ومثقفي الشعب الفلسطيني حول أزمة الحصار الخانق الذي ازداد عليهم؛ ـ وبالذات ـ في ظل فوز حركة المقاومة الإسلامية حماس بالإمساك بزمام الحكومة الفلسطينيَّة.

■ فكيف يتعامل الشعب الفلسطيني مع هذا الحصار الاقتصادي المخيِّم عليهم؟

■ وما ألوان المعاناة التي يعاني منها هذا الشعب الصابر؟

■ وما طرق تعامل المؤسسات الحكومية الخاصة مع هذا الحصار؟

■ وهل للفلسطينيين آمال يرتجونها في ظل هذه الأزمة الخانقة؟

■ وما دور الدعاة وأهل العلم في وقت الأزمة وتأثيرهم على الناس؟

■ وما دور الجمعيات الخيريَّة للتخفيف من آثار الحصار؟

■ وما آثار الحصار من ناحية اجتماعيَّة؟

■ وهل لعب الحصار دوراً في إحياء القضيَّة الفلسطينيَّة من جديد بين شعوب الدول العربية؟

■ وهل أثَّر الحصار الاقتصادي على لغة الشارع وتوجهه السياسي؟

■ ما مشكلة التنازع بين حركتي فتح وحماس في ظلِّ هذه الأزمة؟ وهل هو عامل يضيف بارتفاع المأساة؟

ومن خلال هذه الأسئلة حاولت أن ألقي الضوء على الوضع الحالي الفلسطيني في ظل الأزمة الحالية، سائلاً المولى ـ عزَّ وجل ـ أن يكتب الخير للشعب الفلسطيني ويفك أسره.

● العراك الفلسطيني للحصار الاقتصادي:

يجيب الدكتور يوسف كامل إبراهيم عن سؤالي له: عن كيفية مواجهة الحصار الاقتصادي في ظل الظروف الراهنة التي يعيشها الشعب الفلسطيني بقوله:

يمكن مواجهة الحصار بالتكافل الاجتماعي، واعتماد اقتصاد المقاومة والذي يعتمد على تشجيع المشاريع الصغيرة والزراعة البيتيَّة.

ومن المواجهات لهذا الحصار استشعار العالم الإسلامي والعربي بأهمية التكافل الاجتماعي مع إخوانهم في فلسطين من خلال: كفالة الأيتام، وزيادة كفالات أسر الشهداء والمعتقلين، وتشجيع كفالة الأسر الفقيرة.

سألته مستوضحاً: سمعنا بأنَّ خطَّ الفقر يخترق الواقع الفلسطيني وخصوصاً في هذه الحقبة الصعبة؟

فأجاب: من هم تحت خط الفقر زادوا عن ٦٠٪، فسياسة الصهاينة المنهجيَّة والمتَّبعة في ميادين العقوبات الجماعيَّة والحصار والسياسات الأمنية الاحتلالية والاستيطانية، هدفت

من خلالها إلى تدمير إمكانات النهوض التنموي الفلسطيني، خصوصاً أن وجود اقتصاد وطني فلسطيني قوي سيؤثر حتماً بشكل سلبي على الاقتصاد الإسرائيلي، وسيشكل منافساً قوياً له سواء في استغلال الموارد الطبيعية أو استيعاب الأيدي العاملة، أو تغطية احتياجات السوق المحلية مستقبلاً، مع العلم أن الضفة الغربية وقطاع غزة تستوردان ما نسبته ٨٥٪ من وارداتهما من إسرائيل.

من جهته يقول الصحفي صدقي موسى: كثيراً ما يواجه الفلسطينيون الحصار عبر طرق عديدة؛ ففي الغالب يعملون عملاً إضافياً آخر، أو يصرفون على أنفسهم ممَّا ادَّخروه؛ حيث إنَّهم يعلمون أنَّ وضعهم قلق وبحاجة لأن يدَّخروا ولو مبلغاً بسيطاً إن واجهتهم مصاعب كما يواجهونها الآن، ثمَّ إنَّ الموظَّفين تدخل عليهم من السلف التي تعطيهم إياها الحكومة شيئاً يسدُّ رمقهم.

أمَّا محمد الصواف من غزَّة فيقول: هناك بعض الميسورين أصبحوا يدينون الموظفين أو المحتاجين إلى حين ميسرة، بالإضافة إلى أنَّ بعض الأغنياء كانوا يكفلون بعض الموظفين وخاصة المدرسين.

ومن جهتها تقول ميرفت صادق، صحافيَّة برام الله: مع هذا الحصار الشديد استطاع العمال إيجاد بدائل، والالتحاق بمشاريع في الضفة وغزة، أو من خلال العودة إلى الأرض وإقامة المشاريع الزراعية وغيرها.

ومن ناحيته يقول مصعب القتلوني، طالب بجامعة النجاح الوطنية في نابلس: هناك أناس يصبرون ويعضون على جراحهم ويبحثون عن أعمال بديلة، وهناك آخرون يحمِّلون حماس المسؤوليَّة ويطالبونها بالرحيل وهم المحسوبون على حركة فتح، وأمَّا المحايدون فينقسمون بين هؤلاء وهؤلاء.

ويضيف: وبالطبع الطرف الأول يدرك سبب الحصار؛ ومن أجل ذلك يرضى أن يبقى جائعاً مقابل عدم تقديم تنازلات.

بينما يقول عبداللطيف ريَّان، طالب ماجستير في الجامعة الإسلاميَّة في غزَّة: في الحقيقة نسي الناس موضوع الرواتب وموضوع الحصار وتأقلموا مع الواقع الذي يعيشه الشعب، الذي تعوَّد على المرارة منذ عقود من الزمن، فالأمر لا يفرق معه كثيراً، ولكن المرارة زادت مرارة شيئاً قليلاً!

● عذابات شعب فلسطيني:

الواقع المعايش للشعب الفلسطيني أصعب من بؤساء (هوجو)، لقد رأيت وسمعت عن أناس لم يدخل اللحم في بيوتهم منذ سنة بل أكثر إلاَّ صدقة أو زكاة، ويذهبون إلى محلاَّت ذبح الدجاج ليعثروا على بقايا أرجلها؛ حيث يوفرها لهم أصحاب تلك المحلاَّت، ورأينا أناساً يوماً يأكلوا غداء فقط، ويوماً آخر يأكلون عشاء فحسب، وآخرون عجزوا عن دفع أقساط المال لبيوتهم المؤجَّرة أو أولادهم الذين يدرسون في المدارس، وآخرون لا يستطيعون شراء أدوية العلاج، وآخرون لا يستطيعون الدوام في منطقة غير المنطقة التي يسكنون فيها؛ لأنَّ السلف التي تعطيهم إياها حكومة حماس لا تكفيهم، فهم ليسوا مؤيدين للإضراب بل لعجزهم عن دفع أجور المواصلات، وبعض النساء باعت ذهبها وأثاث بيتها ليتقوتوا على ثمن ما باعوه حتى يفرج الله عنهم.

وهذه قصص ليست خيالية، لقد رأيت بأم عيني أناساً ينتظرون غسيل الكلى مدَّة ساعات طوال لعجز المستشفى الحكومي أن يوفر تلك الآلات، بل حدَّثني أحد أطباء ذلك المستشفى أنَّ مريضاً مات وهو ينتظر دوره في غسيل الكلى؛ لأن وضعه المادي لا يسمح بأن يذهب لمستشفى خاص ليغسل كليتيه.

هذا عدا أكثر من عشرة آلاف أسير كان أهاليهم ينفقون عليهم قبل وضع الحصار الاقتصادي الذي ازداد، ولا أقول: بدأ مع مجيء حكومة حماس، وبعد ذلك صارت أوضاعهم في تردٍّ وسوء بعد محاربة العمَّال ومنعهم من العمل في المستعمرات، ومحاربة الموظَّفين بحجب الرواتب عنهم لما يقارب عشرة شهور!!

● المؤسسات الفلسطينيَّة... وحالها مع الحصار:

يقول حسام القتلوني، إمام مسجد في مدينة نابلس وعضو في مجلس بلدية نابلس: نقوم بإجراء تخفيضات رسوم المياه والكهرباء وعمل خصومات تشجيعيَّة؛ لكي يقوم المواطنون بتسديد الرسوم المالية والديون المسبقة التي عليهم، ويتشجعوا بالقيام بتأدية واجباتهم المالية.

ومن جهتها تقول ميرفت صادق، صحافيَّة في رام الله: المؤسسات والبلديات كانت من بين القطاعات التي تأثرت بالطبع من هذا الحصار، وتضاءلت ميزانياتها، مما ترك آثاراً سلبية على نوع الخدمات المقدمة للمواطن.

ويجيب عبد اللطيف ريان من غزَّة: بأنَّ المؤسسات فيها ناس منتمون لحركة حماس، وهم ييسرون على الناس أمورهم، فسألته: أليست المؤسسات الحكوميَّة قد أضربت؟ فأجاب: هم حاولوا ذلك؛ ولكن القوة التنفيذيَّة أوقفتهم عند حدِّهم، ولم تسمح لهم بذلك.

ويبدو أنَّ الوضع في فلسطين ينقسم ما بين غزَّة والضفة الغربية، فالوضع بغزَّة يختلف عن الوضع بالضفة الغربية؛ لأن قوَّة حماس تتمركز في غزَّة، وتوجد لها قوَّة ردع لمن يخالف القانون والنظام، أمَّا في الضفَّة الغربيَّة فمن يحاول معارضة الإضراب الذي تمارسه كثير من المؤسسات الحكومية من خلال موظَّفيها الذين يعملون بها، وأكثرهم محسوبون على الجهة الحكوميَّة السابقة، فإنَّ هذا المعارض لهذا الإضراب قد ينال جزاءه بالضفة الغربية، كما قامت جماعة مجهولة بقتل عمار الطاهر في ليلة السابع العشرين من شهر رمضان الكريم؛ بسبب معارضته للإضراب.

وبدوره يقول محمد الصوَّاف، صحفي في مدينة غزَّة: عملت الحكومة على تخفيض الرسوم في أغلب المؤسسات التعليميَّة أو الصحيَّة، وكذلك الجامعات غضَّت النظر عن مطالبة الطلاب بدفع الرسوم إلى حين، وكذلك فإنَّ الجمعيات الخيرية

نشطت ووسعت من رقعة المستفيدين منها.

وتذكر الصحافيَّة ميرفت صادق من رام الله أنَّ بعض المؤسسات الخيرية والتجارية اضطرت لإقفال أبوابها؛ بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة، وبعضها أقفلتها السلطات الصهيونيَّة قسراً وإجباراً؛ ومنعت من يشغل بها من مواصلة عمله؛ بحجَّة دعم المنظمات الإرهابية - على حد زعمهم -.

وأمَّا تعامل البنوك مع الشعب فتقول الصحافيَّة آنفة الذكر: هناك أمران بشأن تعامل البنوك مع الشعب:

الوجه السلبي: ويمكن الحديث فيه عن دور غير وطني قامت به البنوك تجاه تحويل الأموال من الدول العربية إلى حسابات الموظفين، والجميع يعتقد أنَّ البنوك كان بإمكانها إيجاد بدائل لتوصيل هذه الأموال.

أما الوجه الآخر: فهو المصلحة الاستثمارية والمالية والحماية القانونية لهذه البنوك، وهو أمر يُعتقد أنه من حق البنوك أن تتعامل فيه بشيء من التزمت؛ لأن التصرف بطريقة مغايرة لأسلوب البنوك المركزية الأمريكية والأوروبية التي تتبعها هذه البنوك، سيضع أمامها إشكاليات كبيرة، وربما يفرض عليها عقوبات قانونية.

نقاط التفتيش الصهيونيَّة... ومآسيها:

إن أردت أن تتعلم مدرسة في الصبر فتعلمها من الفلسطينيين! هذه قناعة لا أزاود عليها. أردت مرَّة أن أنتقل من مدينة نابلس إلى رام الله، والمسافة لا تأخذ في أقصى حدودها ساعة إلاَّ ربع، وحين وقفت عند الحاجز الصهيوني المسمَّى بحاجز (حوَّارة) جلست ما يقارب ثلاث ساعات لانتظار دوري، فقلت في نفسي: أعان الله الطلاب والطالبات الذي يعيشون خارج حدود ذلك الحاجز، كيف يصبرون في كل يوم على هذا العذاب الذي يعيشونه؟! حيث لا يصلون لبيوتهم إلا مع أذان المغرب!

وقد حدثني بهذا جمع من الطلاب الذين يعيشون ليل نهار بهذه المعاناة، وقالوا لي: ليت أنَّ العالم يشعر بمأساتنا عند هذه الحواجز!

وقد حصلت عند هذه الحواجز، أو (المحاسيم) باللهجة العبريَّة، حصلت قصصٌ محزنة، منها: حصول عمليات ولادة عند هذه الحواجز، وقتل بعض الشباب لمجرد أنَّهم تعدَّوا خطَّ الحاجز سهواً؛ بسبب خوف الصهاينة بأن يتخطَّى هؤلاء الشبَّان الفلسطينيون هذه الحواجز من غير تفتيش.



ومن عمليات الإهانة التي يعاني منها الشباب أمام النساء أنَّ الشباب يجبر على الرفع عن بطنه، وأن يدور أمام الصهيوني دورة واحدة ليتأكَّد أنَّه لم يحمل حزاماً ناسفاً!

وكذلك تفعل الجنديَّة الصهيونيَّة بالمرأة الفلسطينيَّة حين تشك بها، وخصوصاً إن كانت منقَّبة!

وأمَّا بالنسبة لدخول الشعب الفلسطيني لمدينة القدس للصلاة في المسجد الأقصى، فأمر دونه خرط القتاد! فحين يقدم المرء على حدود مدينة القدس الشريفة، سيجد حول الأقصى حواجز ضخمة، فضلاً عن الجدار العازل الذي عزل الجار عن جاره، والقريب عن قريبه، وقسَّم القرية قسمين ونصَّفها نصفين ليتجرع الفلسطينيون معاناة الحرمان، ومرارة الحصار.

زد على ذلك أنَّ القدس لا يدخلها إلاَّ من كان معه تصريح لدخوله أو هوية صهيونية، وهؤلاء بالنسبة للشعب الفلسطيني لا يتجاوزون ١٠٪ والبقية الباقية من الصعب أن يدخلوا الأقصى، اللهم إلاَّ في حالات التهريب والتي يفشل بعضها، وينجو الآخرون، والويل لمن أمسك به (يهود)!

انعكاسات الحصار:

يعيش الطلبة في المجتمع الفلسطيني تحت قبضة الحصار الظالم، حياة مليئة بالأذى والحرمان، ويُجَلِّي هذه القضيَّة وضوحاً الدكتور يوسف كامل إبراهيم حيث يقول حيالها: الحصار يمنع الطلاَّب والمعلمين من الوصول إلى مدارسهم وجامعاتهم، ويعمل على تقليل عدد الأيَّام الدراسيَّة في العام الدراسي؛ ممَّا يعمل على عدم قدرة المدرسين على استكمال المنهاج المقرر، هذا إضافة إلى استشهاد بعض الطلاَّب والمعلِّمين أثناء ذهابهم وإيابهم من الجامعات والمدارس.

من جهتها تقول ميرفت صادق: أسوأ انعكاسات الحصار كانت هي الإضرابات التي وقعت في المدارس، فالإضراب يعلم الجميع أنَّه لا يخلو من دعم جهة معيَّنة للضغط باتجاه إسقاط الحكومة، وهذا موضوع يعرفه الجميع.

وتضيف: وبالطبع فالإضراب ترك آثاراً سلبية في القطاع التعليمي والمؤسَّساتي والطبي، ومن أسوأ انعكاسات الحصار زيادة الأعباء الاقتصاديَّة؛ حيث لا تعمل المؤسَّسات الحكوميَّة الصحيَّة؛ فهي مضربة، ممَّا يستدعي أن يذهب المريض للمستشفيات الخاصَّة ويدفع ثمن العلاج، الذي يكون كثيراً منهم قد استدانه لشراء العلاج!

وحول انعكاسات الحصار وآثاره من ناحية اجتماعيَّة يتحدَّث نواف العامر؛ إعلامي واجتماعي قائلاً: للحصار الظالم وجهان: وجه سلبي، وآخر إيجابي:

الإيجابي منه: يتمثل ببث روح التكافل والتعاون الاجتماعي والتماسك الأسري؛ حيث إنَّ الحصار جعل الناس يتوجهون للبحث عن كل ما يحافظ على تماسكهم، على الرغم من الظروف الصعبة والمؤلمة التي خلفها الحصار الظالم، بينما تترسخ الحقيقة المهمة أنه لم تذكر طوال الفترة الماضية حالة وفاة بسبب الجوع والفقر. وهي بركة ونعمة عظيمة مرتبطة بقول الله

ـ تعالى ـ :﴿ ... الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ [الإسراء: ١] والبركة هنا مطلقة، ومنها بركة الرزق.

ومن آثاره السلبية: حالة من الانفلات تختلف من منطقة لأخرى، ومن موقع لآخر بانتشار ظاهرة المخدرات؛ كما هو الحال في منطقة القدس التي بلغ عدد المتعاطين فيها، وفق الإحصاءات الرسمية، ستين ألفاً.

وجَّهت بعد ذلك سؤالاً له: **عن دور الجمعيات الخيريَّة في التخفيف من آثار الحصار؟** فأجاب: لا شك أن الجمعيات الخيرية والإنسانية لها، بشكل عام، أدوار إيجابية في التخفيف من المعاناة والألم والضغط الاجتماعي؛ إلاَّ أنَّها في مرحلة الانتفاضة والحصار تركت بصماتها واضحة بادية في مسح ذيول الظلم وآثاره؛ فمكنت لعائلات العلاج وتوفير الدواء والغذاء والكساء، وضاعفت من توفير أقساطها الجامعية ومساعداتها المدرسية، وزرعت مستوصفاً صحياً هنا، وزودت قرية نائية بمشاريع إنسانية هناك، وامتدت في أرجاء الوطن الفلسطيني المقهور الذي يغالب الاحتلال وظلمه. وهي بذلك ردت روح الأمل وبثت روح الحياة من جديد في نفوس فقدت الأمل، وسيطر عليها اليأس. وبذلك كانت السبَّاقة في الريادة وتثبيت الفلسطيني على أرضه قائلة له: هناك من يشعر بك ويقف معك في أرجاء العالم العربي والإسلامي.

● كم من ضارَّة نافعة!

يتحدَّث الدكتور فريد أبو ضهير، الأستاذ المساعد في قسم الصحافة في جامعة النجاح الوطنيَّة بنابلس إجابة عن سؤال وجَّهته له: **إذا ما كان هذا الحصار قد لعب دوراً في إحياء القضيَّة الفلسطينيَّة من جديد بين شعوب الدول العربيَّة والإسلاميَّة؟** فقال:

بالتأكيد! لقد كانت الانتخابات الفلسطينية في الأصل مميزة إلى درجة عالية بمشاركة حركة حماس، وشكلت زلزالاً سياسياً بفوز هذه الحركة، وهو الفوز الذي أحدث إرباكاً شديداً في السياسة الفلسطينية والإقليمية وحتى الدولية، وبعد فرض الحصار على الشعب الفلسطيني كعقوبة له لانتخابه حركة حماس، وكمحاولة لإخضاع الحكومة للقرارات الدولية أوعزلها وإسقاطها، أدى كل ذلك إلى أمور عديدة، أهمها ارتفاع الاهتمام بالقضية الفلسطينية فلسطينياً وعربياً وإسلامياً ودولياً.

وأنهى أبو ضهير حديثه بقوله: أعتقد أن الحصار له سلبيات كبيرة جداً، ولكن إذا نظرنا إلى الجانب الإيجابي فإنه بالفعل أدى إلى إحياء القضية في قلوب الناس، وبدأ الناس يدركون مدى خطورة هذه القضية المعقدة، ومدى شراسة الاحتلال، ومدى الظلم الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية والذي يقع على الشعب الفلسطيني بأسره، دون تمييز بين كبير وصغير، فقير وغني، سليم ومريض. الكل مستهدف، وهذا ما يدركه حالياً كل فرد في هذا العالم نتيجة الحصار.

● الحصار وأثره على الشارع الفلسطيني؟

لقد صدق المتنبي حين قال:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدواً له، ما من صداقته بدُّ

لعلَّ الشعب الفلسطيني ذاق الكثير من الويلات التي اكتوى بنيرانها، وامتطته بسياطها، لقد كان الشعب الفلسطيني يدرك بأنَّ الحكومة السابقة فيها ما فيها من السرقات والمحسوبيات إلى غير ذلك من قضايا الفساد...، وحين شعر بأنَّ هناك حكومة عُرِفَ أهلها بنزاهتهم بعد أن شاهدوا شيئاً من منجزاتهم حين فازوا بالانتخابات البلديَّة، ورأوهم قد اخترطوا الانتخابات التشريعيَّة، فما كان إلاَّ أن أقبل أكثرهم زرافات ووحداناً لانتخاب هذه الحكومة الجديدة الحمساويَّة، وقد يكون بعضهم ـ وللأمانة ـ لم ينتخبها تأييداً لها، وإنَّما كراهية بالحكومة السابقة التي خلَّفت وراءها كمَّاً هائلاً من الفساد والإفساد ـ كما يقول كثير منهم ممن حدثني بذلك ـ.

وبعد تلك الانتخابات ذاق الشعب الفلسطيني جزاءه حين فازت حكومة حماس بالأكثريَّة وشكَّلت الحقائب الوزاريَّة، وانقطعت الرواتب عن الموظَّفين، وازداد منع العمَّال الفلسطينيين من العمل عند الصهاينة، وكلُّ ذلك رغبة في محاربة هذا الشعب الذي انتخب من يريد.

توجَّهت بسؤال للدكتور فريد أبو ضهير فحواه: **هل أثَّر الحصار الاقتصادي على لغة الشارع الفلسطيني وتوجهه السياسي؟**

فأجاب: لا شك أن الحصار أمر قاسٍ على الشعب الفلسطيني. وبصراحة، لأول مرة أشعر كم هو سيء وضع المواطن الفلسطيني؛ الذي عاش لفترة طويلة بكرامة. فقد شاهدت بأم عيني موظفين حكوميين رواتبهم لا تزيد عن ٣٠٠ دولار، هم الآن بدون رواتب. صحيح أنهم لا يدفعون فواتير الكهرباء والماء والهاتف، ولكن الأدهى من ذلك أنهم لا يستطيعون توفير لقمة العيش. وصحيح أيضاً أن هناك مساعدات كثيرة وصلت لأعداد كبيرة من الناس، ولكن المعاناة لا يمكن وصفها. فالوضع الإنساني بشكل عام في غاية السوء. وفي الوقت نفسه، لا بد من الإشارة إلى مسألة التأثير السياسي، حيث إن نفسيات الناس في غاية السوء في الوقت الراهن، وهذا قد ينعكس على الحلول السياسية التي تعمل الولايات المتحدة على فرضها على الشعب الفلسطيني، وهنا تكمن الخطورة. ولذلك نجد أن هناك من يصطاد في المياه العكرة، ويدعي أن عدم الاعتراف بالعدو من شأنه أن يؤدي إلى تجويع الشعب. بمعنى أن استخدام التجويع يتم بهدف ابتزاز مواقف سياسية، على رأسها مسألة الاعتراف بالمحتلين الذين كانوا مستعدين لتقديم أي شيء للشعب الفلسطيني إذا اعترف الفلسطينيون بدولتهم، وهذا ما حدث في أوسلو.

ولكن في ظني أن صمود الحكومة، وإصرار حماس على ضرورة احترام خيار الشعب الفلسطيني، والسعي الحثيث لتوفير لقمة العيش إلى الشعب الفلسطيني أدت إلى نتيجة مهمة وهي صمود الشعب، وعدم مساومته على حقوقه المشروعة.

من جهته يتحدث الأستاذ إبراهيم أبو الهيجاء، الكاتب

والمحلل السياسي المعروف قائلاً: الحصار برأيي رغم قسوته وشدته إلا أنه أعاد للشعب الفلسطيني أصالته، وأعاد تعريف القضية الفلسطينية من منظور الثوابت بعد أن كانت علاقة ارتهان المنح الغربية بالموقف السياسي خفية وغير واضحة؛ وتتوارى بالأكاذيب السياسية التي سوّقت التنازلات عن الأرض الفلسطينية؛ تارة باسم الواقعية السياسية، وتارة باسم المصالح العليا وتفهُّم الظروف الدولية.

ويتحدى الأستاذ جعفر الخياط، مدير العلاقات العامَّة في إذاعة القرآن الكريم بمدينة نابلس، حيث يجيب عن تأثرات الشارع الفلسطيني من ناحية سياسية بعد الأزمة الاقتصاديَّة التي يعايشها، بعد انتخاب أكثريته لحكومة حماس حيث يقول: أثر بشكل محدود خاصة على العوام من الناس، ويُلمس أثر الحصار على الانتخابات في المجالس الطلابية والتي خاضها الطلأب في جامعة النجاح الوطنيَّة؛ التي انخفض تأييد حماس لها وزاد تأثير فتح، ولكن بشكل محدود، وإن كان بالجملة توازت عدد مقاعد حماس مع مقاعد فتح في المجلس الطلأبي بل زادت حماس بفارق سبعين صوتاً، ولكنَّ فتح قد زاد تأثيرها بأربع مقاعد مقارنة بنسبة المقاعد التي حازت عليها في السنة الماضية.

وعودة للدكتور فريد أبو ضهير حيث سألته: **ما مصير الحصار؟ وهل أدَّى الحصار هدفه؟** فأجاب: في رأيي أن الحصار لن يتوقف طالما بقيت حركة حماس في الحكومة؛ لأن المعركة لم تنتهِ بعد. سوف يستمر الحصار إلى أن يظهر تغيير في الموقف الفلسطيني. ولكن الحصار لم يؤدِّ غرضه، بمعنى أنه لم يؤدِّ إلى إسقاط الحكومة. ولكن من المفترض أن يؤدي إلى تراجع حماس خطوة إلى الوراء وتقدم فتح خطوة إلى الأمام، وبالتالي الوصول إلى حكومة وفاق وطني، وهذا ما أعتقد أنه سيحدث.

وبدوره يجيب الإعلامي الفلسطيني نوَّاف العامر عن مصير الحصار متحدثاً: المتضامنون الأجانب في فلسطين يقولون عن الجدار العنصري: «الجدار سينهار». وما ينطبق على الجدار سيسري على الحصار بإذن الله، ويضيف: صحيح أن أمريكا تقود الحصار لكنها معنية بالسماح بإدخال أموال تمنع الانهيار؛ لكنها لا تشبع ولا تعطي الفلسطيني قدرة على تجاوز مرحلة الحصار في ظنهم.

وبالمختصر المفيد فإنَّه كما أن الاحتلال مصيره للزوال، فالحصار ـ كذلك ـ مصيره للزوال ـ بإذن الله ـ، حيث إن أمريكا ومن وقف معها مقتنعون أنهم يريدون تحصيل مواقف سياسية تنهي القضية الفلسطينية ببعدها الإسلامي العربي؛ بخضوع حماس التي تمثل رأس الحربة للصحوة الاسلامية في فلسطين، وتحصيل ما حصلوا عليه من منظمة التحرير وفتح في غضون ٤٠ عاماً خلال شهور من حماس؛ لتكون شهادة الوفاة للقضية واللاجئين والقدس، وتحولها لبلدية مصغرة لا يختلفون على اسمها، حتى لو كانت إمبراطورية فلسطين. ولكنهم في الوقت ذاته يعلمون أنَّ استمرار الحصار معناه انهيار السلطة الفلسطينية وعودة الكيان الصهيوني لتحمل نفقات احتلاله بكل ما تعنيه الكلمة، وهو ما لا يريدونه ولا يتمنونه؛ لأنهم معنيون بسلطة ضعيفة تحمل في طيَّاتها بعضاً من حياة؛ أي حياة.

وحول سؤالي للأستاذ إبراهيم أبو الهيجاء: **هل نجح الحصار في تحويل الشعب الفلسطيني من شعب مقاوم إلى شعب متسوِّل؟** أجاب قائلاً: غير صحيح، صحيح أن ثمة فئات أصبحت في قوائم الفقراء. هذا أثر متوقع على المدى القصير ولكن بالمدى الطويل المسائل ستكون مختلفة. ويعرف الصهاينة، وما يسمى المجتمع الدولي، أن إبقاء الشعب الفلسطيني سيؤدي إلى تطرف ينفجر بوجههما وليس بوجه حماس. وبالرغم من مرور تسعة شهور على الحصار إلا أن معظم قطاعات الشعب الفلسطيني كانت متفهمة لأهداف ما يجري، ويضيف: والذين يجادلون بحركة إضراب المعلمين كمؤشر على انفضاض الناس عن حماس لا يعرفون الواقع الفلسطيني ولا يعلمون أن الإضرابات جرى فرضها بقوة السلاح لا بقوة القناعة. ولتأكيد ما نذهب إليه هو استطلاعات الرأي العام، التي تجريها مراكز مقربة من الدوائر الأميركية. إلا أن تراجع شعبية حماس بقي طفيفاً وبالمقابل فإن نسبة فتح بقيت تراوح مكانها؛ مما يؤكد أن الحصار أدى إلى نتائج عكسية إيجابية لصالح القضية الفلسطينية وثوابتها، ولكن اختبار ذلك يحتاج إلى فترة زمنية أكبر ـ على حدِّ تعبيره ـ.

● دور العلماء في أزمة الحصار:

كان للعلماء والدعاة في فلسطين دور ملحوظ في الأزمة التي يعايشها الشعب الفلسطيني، فكثيراً ما تسمعهم وتراهم يذكِّرون بأنَّه سيأتي زمن تحاصر فيه الشام حصاراً شديداً من قبل الروم (الأمريكان)، وكثيراً ما تسمعهم يذكِّرون عامَّة الناس بأنَّ رسول الله ﷺ قد حوصر في شعب أبي طالب، وناله ما ناله من الجوع، وأنَّه ـ عليه السلام ـ كان يربط حجرين على بطنه من شدَّة الجوع الذي ألمَّ به ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ.

ويجيب نوَّاف العامر عن دور العلماء والدعاة في فلسطين في التخفيف من آثار الحصار على الشعب بقوله: دورهم لم يتوقف قبل الحصار؛ بل تضاعف بقوة غير معهودة بعده؛ فأسهموا بتثبيت الروح المعنوية للمواطن ورفعها لمؤشر عالٍ، ووظفوا التربية الروحية وسيرة الرسول ﷺ و سيَر صحابته والتابعين والسلف الصالح، والمصابرين في العصر الحديث في بث روح التحدي والصبر والمصابرة..

أصبحت خطبة الجمعة تعالج الكثير من القضايا، مثل: الحصار وسبل مواجهته، والدعوة للتحمل، وذكر مناقب الصابرين ودرجاتهم عند الله، وأجر الرباط والصبر والمصابرة، والعودة بأمثلة عن الحصار في شعب أبي طالب وانهياره وذهابه هباءً منثوراً أمام صبر نبوي منقطع النظير...، وهكذا.

ومن المعروف أن البشر عندما تحدق بهم المصائب وتحاصرهم المحن يُجدون الملجأ في بيوت الله والصلاة والعبادة والتقرب لله، وهو ما أسهم في انتشار التعبيرات عن الالتزام الإسلامي بالحجاب والنقاب واللحية، وغيرها؛ حيث يقول أحد

الأطباء الأمريكان، في مختصر توصية لدراسة له تتعلق بتحمل المصائب والصدمات: «إن الاشخاص المتدينين هم الأكثر قدرة على التحمل وتجاوز المحن والمصائب».

● تأزم بين حماس وفتح... أين المشكلة؟

ما مشكلة التنازع بين حركتي فتح وحماس في ظلِّ هذه الأزمة؟ وهل هو عامل يضيف بارتفاع المأساة؟

على هذا السؤال يجيب الأستاذ الباحث إبراهيم أبو الهيجاء بقوله: صحيح أن الحصار مس كل القطاعات الصحية والتعليمية، وبالتالي ضرب الأوضاع الاقتصادية؛ لكنه أضر بشكل مباشر بالموظفين والهيكليات الإدارية التي بنت أوضاع كادرها المالي حسب الولاء السياسي وليس حسب درجات الكفاءة والقدرات. ومن هنا نستطيع أن نفهم أن الأزمة بين فتح وحماس ليس مردها إلى صراع على السلطة؛ بل هي جزء من مخطط داخلي يقوده جزء متنفذ في حركة فتح، يخشى على امتيازاته التي ورثها بالفساد طوال عشر سنوات. بالمقابل أثبتت حماس أنها لا يمكنها مقايضة ثوابت شعبها بالترغيب السياسي الذي يعدها بالعلاقات المفتوحة مع العالم، ولا بالإغراء المالي الذي يعد بأموال (قارون) وهذا يحسب لحماس، فالأزمة بين حركتي فتح وحماس تدور فعلاً حول طرف يريد البقاء على امتيازاته مهما كانت الشروط الدولية لبقائها، وطرف مقابل يريد الحفاظ على ثوابته وتنقية السلطة من الفساد، ويرفض شروط ما يسمى (المجتمع الدولي) لكي يجري فك الحصار وبالتالي يضمن تدفق المال، وهذا برأينا شكل الأزمة. وللأسف مارست حركة فتح تقويضاً من الداخل كان متكاملاً مع ضغط الخارج؛ من خلال ابتداع سلسلة من الإضرابات وإطلاق النار على رموز حمساوية، وحرق مقرات ومصالح لأشخاص مقربين منها!

ومن جهته يرى الدكتور فريد أبو ضهير أنَّه من الطبيعي أن كلا الحركتين تسعيان إلى تحقيق مكاسب سياسية من خلال الحصول على حقائب وزارية سيادية فعالة. ويؤكِّد على ذلك بقوله: هذا أمر طبيعي جداً؛ لكن الأمر غير الطبيعي هو أن يتصلب الطرفان لدرجة الوصول بالفعل إلى طريق مسدود. وفي اعتقادي أن ما يحدث الآن هو حالة مخاض يجب أن ينتجُ عنها شيء! المخاض مؤلم فعلاً، والشعب يتألم مما يحدث، والوقت ليس لصالحنا؛ ولكن المهم أن يكون هناك نتيجة إيجابية لما يحدث بين فتح وحماس.

ويقول مكملاً حديثه: في ظني أنه لا بد من وضع قواعد للتعامل بين الطرفين، وهذا من شأنه أن يحل الخلاف. فمثلاً، الخيارات السيادية لمن يجب أن يكون؟ هناك قواعد لحل هذه الإشكالية، ما دام أنَّ حماس تقول: إنها الكتلة الأكبر في المجلس التشريعي، وبالتالي يجب أن تحصل على الوزارات السيادية. في حين ترى فتح أن حصول حماس على الوزارات السيادية لن يفك الحصار. وهكذا. لذلك لا بد من وضع أسس يتم بناء عليها حل هذه الإشكالات.

فقلت للدكتور: ولكن كثير من العوام يتساءلون: كل يوم تقول الحكومة الحمساوية، وكذا الرئيس الفلسطيني: نحن على وشك إنهاء الاتفاق على حكومة وحدة وطنية، ومن ثمَّ يختلفون، وهذا قد حصل كثيراً ممَّا يسبِّب قلقاً عند العوام؟

فأجاب بقوله: صحيح، ولكن الطبيعي أن التقدم إلى الأمور الأهم يصطدم بصعوبات، ولا بد من تذليل هذه الصعوبات.

واختتم حديثه بقوله: في رأيي أن التفاؤل الكبير ليس واقعياً، والتوقف عن الحوار هو هروب من المشكلة. الحل هو الحوار ومواجهة هذه الصعوبات.

● مستقبل الاقتصاد الفلسطيني:

عن سؤالنا له: كيف تتوقع مستقبل الاقتصاد الفلسطيني، وخصوصاً في ظلِّ الحصار الاقتصادي؟

يجيب الدكتور يوسف كامل إبراهيم، أستاذ الجغرافيا البشريَّة في جامعة الأقصى بغزَّة: الاقتصاد الفلسطيني سيبقى يعاني الكثير من المشاكل؛ بسبب الحصار المحكم للمعابر، والذي يتحكم العدو الصهيوني من خلالها بالصادرات والواردات للمناطق الفلسطينية، فيعمل على إعاقة عمليات التصدير؛ مما يعرض المزارعين والمصانع للخسائر الكبيرة، كما أن تحكمهم - الصهاينة - بالمعابر يؤدِّي إلى قدرتهم على التحكم في وصول المواد الخام اللازمة للصناعة، ومن ثمَّ تعرض الكثير من المصانع للتوقف؛ مما يساعد على توقف العمال عن العمل وارتفاع نسب البطالة. كما أن مواصلة تعطيل بناء الميناء وفتح مطار غزة ساهما في تعطيل النمو الاقتصادي؛ مما ساعد على هروب رأس المال وإغلاق المصانع، فضلاً عن تجريف الأراضي الذي ساعد على تخفيض مساحة الأراضي الزراعية، وأدَّى إلى ضرب القطاع الزراعي أيضاً، كما أنَّ مواصلة الحصار للقدس وبيت لحم ضرب القطاع السياحي.

ويضيف: إنَّ استمرار الهيمنة الصهيونية على أدوات السياسة الاقتصادية الفلسطينيَّة في مجالات السياسة المالية والنقدية والتجارة الخارجية وكذا إيرادات الموازنة، وكلُّ ذلك بارتباط التشكيل والميزان التجاري، يؤدي إلى تعميق تبعية الاقتصاد الفلسطيني تبعية كاملة للاقتصاد الصهيوني.

● آمال الفلسطينيين في ظل الأزمة الراهنة:

يجيب الطالب مصعب قتلوني: أمنيتنا أن يُكسَر الحصار الذي نعيش تحت ظلاله، والذي يشمل: استئناف دفع الرواتب، وتوفير فرص عمل، وإزالة الحواجز الصهيونيَّة، والسماح للعمَّال بالعودة للعمل في (إسرائيل) - على حد قوله -.

ويضيف: كما نتمنَّى أن تتكون حكومة الوحدة الوطنيَّة، وأن يتحرر أسرانا مقابل إطلاق سراح الجندي الأسير (جلعاد شاليت).

ومن جهته يقول قيس أبو سمرة - صحفي بمدينة نابلس -: نتمنَّى أن يفرج الله علينا هذا الحصار، وأن يثمر صبرنا عن نتيجة، وألاَّ يتم التنازل عن الثوابت.

وإلى هنا تنتهي جولتنا الميدانيَّة عبر هذا التحقيق، واللهَ نسأل العون والسداد لهذا الشعب، وأن يفرج عنه، إنَّه على كلِّ شيء قدير.



مع الدكتور أسامة المزيني

نحن بحاجة إلى دعم إخواننا المعنوي والمالي والسياسي ليرفع المحتل يده عن استغلالنا

البيان: حركة حماس منذ أن شكلت الحكومة الفلسطينية بعد فوزها في الانتخابات الأخيرة تعرضت لحصار عالمي وسياسي واقتصادي وعسكري، فما أسباب الحصار؟

الحقيقة أن الغرض الأساسي من هذا الحصار الشامل، على حكومة حركة المقاومة الإسلامية حماس، هو رغبتهم في إفشال المشروع السياسي للحركة الإسلامية. ليس المقصود حركة المقاومة الإسلامية تحديداً بقدر ما هو المشروع السياسي للحركة الإسلامية برمته، والذي تمثله حركة المقاومة الإسلامية حماس؛ ولذلك هم لا يريدون لهذا البرنامج السياسي الإسلامي أن ينجح، فتضافرت كل الجهود العربية والدولية الغربية والمنافقة من أجل إجهاض هذه التجربة، على اعتبار أن إجهاض تجربة حماس ستوجه ضربة للبرنامج السياسي وللتوجه السياسي للحركة الإسلامية العالمية... هذه واحدة. وهناك أمر آخر أُريدَ له أن يتحقق من خلال هذا الحصار؛ وهو أن تفشل حماس كحكومة؛ ليظل بارزاً في الأذهان أن حركة المقاومة الإسلامية هي حركة مقاومة تصلح فقط للقتال وفي خنادق مقارعة الظالمين، أما الحياة والمجتمع المدني فإنها غير ناجحة، وبالتالي عليها أن ترجع إلى الخندق وأن تبدع في هذا المجال فقط، أما الأمور الحياتية فلا مجال لها فيه... وهذا أمر آخر أُريدَ تحقيقه من خلال ذلك الطرح.

البيان: لكن ألم تكن حماس تقرأ هذا الواقع وهذا المستقبل؟ ألم يكن الأفضل لحماس في هذه الفترة أن تكون تحت قبة البرلمان (في المعارضة) تراقب وتحاسب الحكومة تمهيداً لعملها في الدولة؟

الحقيقة، ولنكن صُرحاء، أننا كنا نتوقع حصاراً، ولكن ليس بهذا الشكل الشامل القاسي العنيف الذي نتعرض له. كانت لدينا تقديرات أن ستكون هناك مضايقات، ولكننا كنا متأملين في إخواننا العرب أكثر مما وجدناه. كنا نأمل أنه إذا ما حاصرنا الآخرون: أمريكا، والصهاينة، وأوروبا فإننا سنجد في العرب من سيكون متنفَّساً لنا من ذلك الحصار، وقد وجدنا ذلك جزئياً. لقد وجدنا من يمولنا؛ ولكن لم نجد من ينقل لنا هذه الأموال إلى الداخل؛ لأن العرب كانوا أعجز من أن يتحدَّوا أمريكا فيدخلوا هذه الأموال. لقد تبرع لنا الكثير من الحكومات العربية بمبالغ سخية، فكنا كمن يرى الماء ولا يستطيع أن يصل إليه. أموال موجودة في الخارج تصل إلى حوالي ربع مليار، ولكننا عاجزون عن إدخال هذه الأموال؛ لأن البنوك ترفض أن تحولها، والجامعة العربية عجزت عن أن توصلَ الأموال بسبب الرفض الأمريكي، حتى البنوك الفلسطينية غير القادرة على تجاوز الحظر الأمريكي خوفاً على مصالحها هنا وهناك لم تستطع أيضاً أن تتجاوب معنا؛

ممّا أجبرنا على أن نحاول أن ندخل هذه الأموال بالطرق اليدوية، وأن يقوم وزراؤنا بالتجول في دول العالم لجمع الأموال ثم إدخالها بطرق عدة. المهم: إننا فتحنا ثغرة في هذا الحصار.

أما لماذا لم نكتفي بأن نراقب تحت قبة البرلمان؟ فنحن نقول: إنه قد بلغ فساد الآخرين حداً لا نستطيع معه أن نقف ساكتين حيال هذه المشكلة.

فقد بلغت المديونية حوالي مليارين ونصف! هذه الدولة الصغيرة في هذه المدة القصيرة تصل مديونيتها مليارين ونصف؟! وقبل أن نستلم الحكم كان يقال: إن هناك في خزينة السلطة ٢٠٠ مليون دولار، وحين استلمناها إذا بها خاوية الوفاض! أين ذهبت المائتا مليون دولار؟!

إزاء هذا المشهد لا نستطيع أن نقف عاجزين، لا سيما أن الجماهير أعطتنا ثقة عالية وثقة عزيزة تظهر مدى رغبتهم في أن يغيروا هذا اللون الذي يحكمهم. إزاء هذه المعطيات كلها وجدنا أنفسنا مضطرين إلى أن نخوض تجربة البرلمان وتجربة الحكومة. كنا نحرص ألا تكون الحكومة لوناً واحداً، وعملنا على ذلك جاهدين، وحاولنا؛ ولكن كان هناك بعض الاعتبارات النفسية، مثل (فتح) التي لها ٤٠ عاماً وهي تملك ناصية القرار الفلسطيني، صعب عليها في يوم وليلة أن تصبح مقادة بعد أن كانت تقود؛ فلذلك رفضت أن تشارك، وقال أحدهم: «عار على فتح أن تشارك في حكومة تقودها حماس»، باقي فصائل الكتل البرلمانية كانت ذات علاقة بمصالح غربية، وارتباطها بحكومة ترأسها حماس كان كفيلاً بأن توقف تلك المصالح وتلك المساعدات؛ بل أنها هُددت، إن صح التعبير، بأنها إذا ما شاركت في حكومة حماس فإنها سوف توضع على (القائمة السوداء).

البيان: إذن أُجبِرتم على تولي القيادة. يفترض في الحركات والأحزاب السياسية ألا تُدفع إلى مثل هذه القرارات دفعاً؛ يفترض أن تكون لها القراءة الصحيحة؟

الحقيقة إننا واثقون أنه لا بد من قراءة مستقبلية شاملة، وكانت لنا هذه القراءة، ولكن الله أعطانا أكثر مما كنا نتوقع، وكانت تقديراتنا تقول: إننا سنحصل على ٣٠-٤٠٪ من الأصوات والمقاعد. وهذه لم تكن قراءتنا وحدنا؛ ولكن كانت قراءة كل الفصائل والتنظيمات؛ بل حتى المخابرات الأمريكية والصهيونية كانت عندها مثل هذا التصور. الرغبة الجامحة للتغيير كانت موجودة عند الجماهير.

أما على صعيد الحصار، استطعنا أن نقدم لشعبنا ٦ سلف، كل سلفة عبارة عن نصف الراتب، أي وفرنا ٣ شهور من ٥ شهور. وهذا يعتبر شيأ جيداً وخرقاً للحصار، ولكن الإشكالية تكمن في أناس من بني جلدتنا كانوا شاركوا في هذا الحصار.

البيان: دعنا نتحدث عن الحصار الداخلي وسحب الصلاحيات؛ كيف - من وجهة نظركم - تعاملت (فتح) وتعامل محمود عباس في موضوع الحصار الداخلي، كيف ترونه، وتقيمونه؟ وما شكل الحصار الداخلي؟

الحصار الداخلي الذي مورس على حكومة حماس كان أقسى من الحصار الخارجي، الذي تمثل بإغلاق المعابر ومنع الأموال. من اليوم الأول كان واضحاً عدم استيعاب حركة (فتح) تحديداً لأن تغادر موقع الحكم، ومن اليوم الأول خرجت مسيرات تنادي بعدم الاعتراف بنتائج الانتخابات، وتنذر بقلاقل موجودة؛ بل تعالت الأصوات بمطالبة الرئيس (أبو مازن) بعدم تكليف حماس بتشكيل الحكومة؛ ولكن طبعاً هذا الأمر لم يتم، وفعلاً شكلت حماس الحكومة، وتم نقل الوزارات إلى الوزراء الجدد، في خطوة بدت ظاهرية أنها في منتهى الديمقراطية. يأتي الوزير (الفتحاوي) ويبتسم وهو يصافح الوزير (الحمساوي) ويسلمه مقاليد الأمور؛ ولكن ما لم يكن أمام وسائل الإعلام أن هذه الديمقراطية الشكلية كانت تحوي في داخلها مخططاً رهيباً لإفشال الحكومة الجديدة. على سبيل المثال: لنأتي إلى وزارة الإعلام، جاء وزير الإعلام وأراد أن يمارس مهامه، فتفاجأ أن الرئيس (أبو مازن) يسحب تلفزيون فلسطين، وقناة فلسطين الفضائية، ووكالة (وفا) وهيئة الاستعلامات من أن تكون تحت سلطة وزير الإعلام! لا سلطة لوزير الإعلام على أي من الصحف المحلية، ولا سلطة لوزير الإعلام على أي من الإذاعات المحلية. الإعلام الرسمي ضد الحكومة، الإعلام الرسمي صباح مساء يشوه الحكومة وينتقدها ويستحضر من يهجم على الحكومة!

لنأتي إلى وزارة المالية: هي وزارة مالية بلا مال! وجاء الرئيس (أبو مازن) فقال: إن العالم لا يريد أن يتعامل مالياً مع حكومة حماس. إذن ما هو المطلوب؟ فقال: إن العالم يريد أن يأتي المال عبر الرئاسة. فقلنا له: لا مانع بشرط ألا يُصرف هذا المال إلا من خلال وزارة المالية، ووافق الرئيس (أبو مازن) على ذلك، ولكننا تفاجأنا بأن وزارة المالية تقدم كشوف الموظفين، فإذا بالرئيس (أبو مازن) يغير في مثل هذه الأشياء. كيف يغير؟! يطلب - مثلاً - أن يصرف ٣٧ مليون، على سبيل المثال، إلى الساحات الخارجية، أي الساحتين اللبنانية والسورية، ومكاتب منظمة التحرير. فما دخل السلطة الوطنية بمكاتب منظمة التحرير؟ نحن نقول: إن منظمة التحرير أكبر من السلطة الفلسطينية. فالأصل أن منظمة التحرير تنفق على السلطة الفلسطينية؛ وليس السلطة الوطنية هي التي تنفق على منظمة التحرير. هذه واحدة. ثم إن لمنظمة التحرير مواردها الهائلة، لا زالت (٥٪) من مرتبات الموظفين تقتطع لصالح منظمة التحرير الفلسطينية، ولا زال صندوق الاستثمار،

ولا زالت الكثير من الأموال تنهال على منظمة التحرير الفلسطينية. إذن: أين تذهب هذه الأموال؟! إذا كانت منظمة التحرير تريد منا أن ننفق على السفارات؛ فندفع مرتبات السفراء، وندفع أجرة السفارات، وندفع تكلفة كل هذه الأشياء؛ فأين تذهب أموال منظمة التحرير الفلسطينية؟ ثم في الوقت الذي نحن نعاني فيه من الضائقة المالية ولا نستطيع أن نعطي الموظفين الرواتب، نقتطع من هذه الأموال إلى الخارج. المهم، الذي وجدناه أن الذي يتحكم في المال وما يصرف وما لا يصرف هو الرئيس (أبو مازن)؛ وليس وزير المالية! إذن هي وزارة مالية بلا مال، وزير داخلية بلا أجهزة أمن. تخيل السيد (سعيد صيام) عندما جاء تفاجأ أن الرئيس (أبو مازن) سحب منه الأمن الوطني على اعتبار أن الامن الوطني طبعاً من صلاحيات الرئيس! مع أن اسم الوزارة وزارة الداخلية والأمن الوطني، ثم بعد ذلك تفاجأنا أن الأجهزة التي تحت إمرته وضع الرئيس (أبو مازن) مديراً عاماً لها؛ وهو رشيد أبو شباك؛ لكي يكون مسؤولاً عن هذه الأجهزة! فشكل جسماً عازلاً بين الوزير وبين الأجهزة الأمنية.

فإذا ما أراد الوزير أن يتعامل فلابد أن يمر من خلال رشيد أبو شباك، فأصبح رشيد هو الوزير الفعلي.

فتخيل مثل هذه الأشياء! تخيل حكومة بلا معابر، إذن كيف سوف تجني الجمارك إذا كانت المعابر مع الرئاسة؟ لأن الرئيس (أبو مازن) قال: إن المعبر إذا كان مع الحكومة فإن الصهاينة سوف يغلقون المعبر وتحتله. هذه صورة لسحب الصلاحيات، ولكن طبعاً اتخذنا خطوات للتعامل مع مثل هذه الأشياء حتى نكسر الحصار، سواءً كان الحصار الداخلي أو الحصار الخارجي.

البيان: هل استطاعت حماس أن تحدث اختراقات؛ سواء على صعيد كسر الحصار سواء الخارجي أو الداخلي؟ وكيف تعاملت معه؟

الحقيقة أننا تعاملنا، ومنذ اليوم الأول، مع الجميع، سواء الحصار الداخلي أو الخارجي.

فعلى صعيد الحصار الداخلي: جلسنا مع الرئيس (أبو مازن) كحكومة وكحركة، أخبرناه بكل صراحة ووضوح أن هناك صلاحيات تسحب، وهذا ليس في الصالح العام، وجلسنا مع الإخوة في (فتح)، وقلنا لهم: يا إخوة! هذه أيدينا ممدودة لكم، تفضلوا وشاركونا في الحكم؛ ولكن لا يصح أن تسلبوا منا الصلاحيات، أما الفساد الموجود لو أطلقتم أيدينا فسنمكث أربع سنوات لكي نخفف من هذا الفساد الموجود؛ فما بالكم وأيدينا مكبلة؟ وتفاهمنا على العديد من القضايا، وبدا الحصار يتغير، فعلى سبيل المثال: فيما يتعلق بالأجهزة الأمنية؛ الرئيس (أبو مازن) جلس مع الأستاذ (سعيد صيام) ومع (رشيد أبو شباك)، وطلب من الاثنين أن يتعاونا، وأن تستجيب الأجهزة الامنية للرئيس (أبو مصعب)؛ فبدأت تتجاوب. وكانت هناك عدم مصادقة من قبل الرئيس على كل المراسيم التي تخرج من الحكومة، فبدأت تمشي بعض هذه المراسيم. صحيح أنها أقل من خمسها الموافق عليها، ولكنْ هناك نوع من التجاوب. بدأ التعامل مع مديري حماس والوكلاء وما إلى ذلك، وبدأ نوع من الحلحلة أوجدت نوعاً من السير في الوزارات على الصعيد الداخلي.

وعلى الصعيد المالي: بدأنا نكسر هذا الحصار، وبدأنا نتلقى مساعدات، وأخذ وزراؤنا يطوفون في العديد من الدول، وكانت هناك العديد من الدول التي كانت منذ فترة طويلة لا تقدم للفلسطينيين؛ أصبحت الآن تُقدم، واستطعنا أن نجمع ما لا يقل عن ربع مليار - أي ٢٥٠ مليون - ولكن المشكلة كما قلت: كيف ندخل هذه الأموال؟ وفي تقديري هناك ما لا يقل عن ٥٠ مليون أو يزيد لا زالت في خارج الوطن، لا نستطيع أن ندخلها. المهم أننا استطعنا أن نكسر الحصار، وأن نفهِّم أمريكا أننا قادرون على أن نوجد لشعبنا مصدر تمويل. وهذا هو السبب الحقيقي الذي من أجله أغلقت الصهاينة المعبر؛ لأن المعبر كان الشريان الذي من خلاله استطعنا أن نكسر الحصار.

على صعيد الحصار السياسي: تعاملت معنا روسيا وكان فيه تحدٍّ للموقف الأمريكي، وقابلت الوفد، وذهب الأستاذ (خالد مشعل) والأستاذ (سعيد صيام) أيضاً إلى روسيا. وفنزويلا كان لها موقف، والصين كان لديها استعداد؛ ولكن كل من كان يبدي استعداداً كان يُوَجه له ضغط حتى لا يتعامل مع حكومة حماس؛ أملاً في أن تسقط حكومة حماس. وأمريكا كانت قد طلبت منهم أن يمهلوها أربعة أشهر وتسقط حكومة حماس، وعندما فشلت طلبت منهم أن يمهلوها إلى نهاية شهر ١٢/٢٠٠٦م؛ فإذا لم تسقط حكومة حماس في نهاية شهر ١٢/٢٠٠٦م؛ فلتقم الدول بعمل علاقات في حدود ما تريد.

ولذلك نحن نقول لأبناء شعبنا: اعطوا هذه الحركة الفرصة حتى تجتاز عنق الزجاجة، ثم بعد ذلك احكموا عليها. لذلك فإن الانقلابيين، ولأنهم يعلمون هذا الأمر، يريدون أن يعملوا جهدهم وينفثوا سمومهم حتى يسقطوا الحكومة قبل أن ينتهي هذا العام؛ لأنهم يعلمون أنه إذا انتهى شهر ١٢ ولم تسقط حكومة حماس؛ فإن أوروبا ستتعامل معها والعديد من الدول كذلك. وستكون هذه ضربة قاسية للحصارين المالي والسياسي، وبالتالي سيكون بداية النجاح الحقيقي لحكومة حماس.

البيان: أنتم إذن الآن في تحدٍّ كبير للوصول إلى نهاية العام؟

نعم، ونحن نعتبر أن صمودنا إلى نهاية العام أمر في غاية الأهمية.

البيان: في ٢٨-١٠ كان هناك توجس من قبل الشارع من حدوث ربما اقتتال، أو صدامات، أو ما شابه ذلك؛ هل ذاك كان رسالة واضحة من حماس بعدم السماح لأحد بإسقاط هذه الحكومة؟ وكيف ستواجه حماس أي محاولة انقلابية قادمة؟ ما هي الأسس؛ هل ستكون بالتلويح، أم بالقوة؟

وردنا من مصادر متعددة ومتنوعة - من أكثر من أربعة مصادر مختلفة - مما أعطى المعلومة قوة، أن (فتح) وانقلابيين في (فتح) يعدون لعمل قلاقل وما يشبه الانقلاب العسكري؛ من أجل السيطرة على المؤسسات بالقوة، وطرد الوزراء وطرد المديرين ووكلاء العموم من أماكن عملهم - الوكلاء الحمساويين - والسيطرة على بعض الأماكن؛ بل حرقها وتدميرها، ونشر العديد من القوات في المفترقات بـ (الكلاشينكوفات والآر بي جي). وكان مؤكداً إزاء مثل هذا الأمر أننا لن نسمح لأي أحد أن ينقلب على خيار الشعب الفلسطيني وخياره الديمقراطي، ولذلك وضعنا خطوات وبدأناها بالخطوات السلمية الدبلوماسية، فبدأنا بإخواننا المصريين والقطريين، ووضعناهم في الصورة على اعتبار أنهم كانوا وساطات خير بيننا وبين (فتح)، وذهبنا إلى إخواننا في (فتح)، وقابلنا السيد (أبو ماهر حلس) والتقينا بالرئيس (أبو مازن) وتناقشنا في العديد من القضايا وكذلك لجنة المتابعة، ووضعنا الفصائل كلها أمام مسئولياتهم، وقلنا لهم: بأننا لن نسمح لهذا الأمر أن يتم، وأعلنّا حالة الاستنفار داخل الحركة وداخل كل أجهزتها؛ أبناء الحركة جميعاً يجب أن يكونوا مستنفرين خلال الأسبوع؛ لأن هذا مشروعنا، ولن نسمح بالانقلاب عليه. والحمد لله رب العالمين آتت هذه الجهود والتحركات ثمارها، وعندما وجدوا أن حماس جادة في وضع حد لهذا الأمر، أعاد العديد من قادة هذا الأمر الانقلابي النظر في المسألة، وقيّموا الأمور. ويبدو أنهم حكّموا العقل، وجمدوا خطواتهم أو ألغوها.

البيان: قادة التيار الانقلابي لماذا لا يتم تعريتهم؟ حيث كان حديث في بيانكم أن هؤلاء دبروا المؤامرة وهربوا في ليل، وكان معروف ان من سافر في تلك الليلة (محمد دحلان)، فلماذا لا تكون الأمور واضحة؟

الأمور كانت واضحة، وتحدثت كتائب القسام بشكل واحد أن توفيق الطيراوي ومحمد دحلان ومن معهما يفكرون ليل نهار وصباح مساء: كيف ينقلبون على هذه الحكومة؟ ولكن نحن نحاول جاهدين أن نجمع وألا نفرق، وأن نتناصح نحن وإخواننا في حركة (فتح)؛ الذين نشعر أن في الكثير منهم رغبة في أن يكون هناك وفاق بينهم وبين حماس؛ إلا أن هؤلاء الانقلابيين، الذين لم تستطع فتح حتى الآن أن تتخذ موقفاً حازماً منهم، هم الذين يعكرون الأجواء. لذلك أنا أحب أن أنقل هذا الخبر: إن هناك الآن مكتباً عند المجلس التشريعي تم استئجاره ليكون مقراً مشتركاً بين فتح وحماس، وسيكون هناك ممثل عن فتح وممثل عن حماس طوال الأربع وعشرين ساعة لحل جميع الإشكاليات التي قد تكون بين الحركتين. هناك رغبة صادقة وملحة عند الحركتين؛ لكي تكون العلاقات فيما بينهم علاقات ودية.

البيان: ولكن هذا التيار الانقلابي يبدو أنه الذي يملك القرار في فتح؟

نعم، يملك القرار ولكن بنسبة محدودة؛ لأنه مدعوم بالأموال الأمريكية، وبالقرارات الأمريكية، ومن هنا تكمن القوة. ولكن كما هو واضح من خلال الاستقراء، ومن خلال ما نلاحظه من خلال الإخوة في فتح، أن هذا التيار تيار ضعيف في عدده، قليل في أفراده؛ ولكنه متنفذ ولديه الأموال. إن هناك صحوة بدأت تظهر عند الإخوة في فتح، وبدأ ينتبه بعضهم إلى أن هناك اناساً انقلابيين، وأن ما تقوله حماس ليس اتهاماً ولكن حقيقة موجودة، وبدؤوا ينتبهون، وإذا ما زاد عدد المنتبهين إلى هذا الأمر فلعلهم يستطيعون أن يضعوا له حداً حتى لا يستفحل.

البيان: يعني انت متفائل بمستقبل العلاقة بينكم وبين فتح؟

نعم هناك أناس لديهم رغبة جادة، وأنا أحب أن أقول: إن (عبد الله الإفرنجي) استقال من موقعه في حركة فتح، هناك خلافات حقيقية داخل حركة فتح على من يملك القرار، وهناك العديد من القيادات المخلصة في فتح تشعر أن هناك أناساً لهم خط صهيوني، يريدون أن يسيطروا على القرار داخل الحركة.

البيان: توافقتم على وثيقة الوفاق الوطني؛ إذن ما الذي يمنع من تشكيل حكومة الوحدة الوطنية؟

الذي يمنع من تشكيل حكومة وحدة وطنية سفر (أبو مازن) إلى أمريكا، حيث قال له الأمريكان: إننا لن نفك الحصار إلا إذا وافقت حكومة الوحدة الوطنية على الاعتراف صراحة بـ (الدولة العبرية)، ونزع سلاح المقاومة، والاعتراف بجميع الاتفاقيات الموقعة؛ فجاءنا (أبو مازن) بهذا الشرط، فقلنا له: يا (أبو مازن) نحن لن نستجيب لشروط أمريكا من أجل ترتيب الوضع الداخلي؛ فلنرتب أوضاعنا داخلياً. قال: لا بد من الموافقة على ما تريده أمريكا؛ حتى نفك الحصار! قلنا له: إذا واجهنا الحصار متّحدين ومجتمعين فنحن قادرون على فكِّه. لكن الرئيس (أبو مازن) أصر على هذا الشرط، ومن هنا توترت الأجواء، وبدأت الأمور تسخن فيما بيننا وبين الرئاسة، ثم بعد ذلك بدأ وسطاء الخير وبعض الفصائل الفلسطينية بالتحرك؛ من أجل العودة إلى وثيقة الوفاق الوطني، وكان كلامنا واضحاً. لقد اتفقنا على وثيقة الوفاق فلا تراجع عنها الآن. (أبو مازن) يريد أن يتراجع عن وثيقة الوفاق الوطني باعتبار أنها غير مقبولة أمريكياً، قلنا:



لقد بذلنا فيها جهداً خرافياً حتى توافقنا عليها، وهي تمثل قاسماً مشتركاً بين جميع الفصائل، وإذا رفضتنا أمريكا ستقبلنا أوروبا والعرب، وهناك البديل؛ فليس بالضرورة أن تقبلنا أمريكا. فهناك مؤشرات وبوادر أنْ إذا ما اتحدنا وشكلنا حكومة وحدة وطنية وتوافقنا عليها؛ فإن أوروبا والعرب سوف يقبلوننا، وبالتالي نحن نستغني عن الأمر الأمريكي. الذي فهمناه أن هناك نوعاً من الموافقة على بعض المعطيات بهذا الأمر، ولذلك نحن متفائلون أن الايام القادمة قد تشهد اتفاقاً فيما يتعلق بتشكيل حكومة الوحدة الوطنية على أساس وثيقة الوفاق.

البيان: إلى متى ستبقى الأمور هكذا؟ إذا كانت أمريكا لا تريد حكومة وحدة وطنية إذن ستبقى الأمور معلقة إلا بموافقة أمريكية؟

إذا أصرت الرئاسة على الموافقة الأمريكية فلا شك ستظل أُمُورنا معلقة. ولكن بعد أن رأى (أبو مازن) صلابة الموقف الحمساوي، ورغم الضغوط التي افتعلت إلا أن حماس لا زالت على موقفها الذي بدأت الكثير من الفصائل تتجاوب معه. بدأ الرئيس (أبو مازن) يلين من مواقفه، ولذلك هناك بعض الوساطات التي تبين أن بالإمكان التنازل عن البرنامج السياسي الصريح اعتماداً على أن وثيقة الوفاق الوطني ممكن أن تكون هي البديل لهذا الأمر.

البيان: هناك شخصيات وقّعت على وثيقة جنيف مثل (ياسر عبد ربه)، لماذا لا تطلب حماس إبعاد مثل هذه الشخصيات عن الحوار بينكم؟

نحن ننصح ولا نستطيع أن نطلب ونلزم، فقط ننصح، وذكرنا للسيد (أبو مازن) ماذا يمثل باسم عبد ربه، لماذا يبقى في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير؟! هو لا يمثل إلا نفسه، لا يمثل تنظيماً ولا فصيلاً، لا يمثل إلا نفسه؛ فلماذا يبقى في هذا الموقع المتقدم والحساس في صناعة القرار الفلسطيني؟ ولكننا نطلب وننصح ولا نستطيع أن نلزم؛ لأننا ما لم نقم بإصلاح منظمة التحرير الفلسطينية فلا يكون لنا الطرف الإلزامي؛ ولكن عندما يكون لنا طرف في منظمة التحرير وعندما ندخل اللجنة التنفيذية عندها يكون لنا موقف في مثل هذه الأمور.

البيان: ماذا عن مفاوضات الجندي المأسور (جلعاد شليط) وصفقة تبادل الأسرى؛ وخاصة أن وفداً من حماس برئاسة عماد العلمي توجه إلى القاهرة؟

الحقيقة بدأ العدو يشعر أنه عاجز عن إنهاء هذا الملف بالطرق العسكرية؛ لذلك بدأ يتراجع. وكان واضحاً هذا التراجع؛ ففي البداية كان يقول: لا بد من الإفراج عن الجندي دون قيد أو شرط، وكنا نشترط التبادلية، واليوم الطرف الصهيوني يقبل التبادلية، وقبل بالطرف المصري وسيطاً بيننا وبينهم، وعين من جهاز المخابرات مندوباً للاتصالات، وتمت فعلاً الأمور وبدأت المفاوضات، وهذا بحد ذاته نجاح؛ ولكن هذا التقدم لا نستطيع أن نقول: إنه وصل إلى نهايته، لا زال أمامنا مراحل كبيرة، لا سيما أن الطرف الصهيوني يتعامل بمماطلة وتسويف في هذا الملف، ويأمل أن يتمكن بأن يأخذ ولو طرف خيط يمكن أن يصل لحل لهذا الملف. لذلك هو يفاوض وفي الوقت نفسه يبحث. وما الهجوم على بيت حانون إلا محاولة، وهذه طبيعة الصهاينة تتخذ المنحى العسكري والمنحى الدبلوماسي. ولكني أستطيع أن أقول ملخص الأمر: هناك تقدم على صعيد الملف، وهناك قبول بأشياء لم يقبلها العدو الصهيوني، والتقدم طفيف، ونحن في حاجة أن نتفق على صفقة التبادل.

البيان: هل الحكومة قادرة على دعم حماس على الصمود حتى نهاية العام؟

إذا تفهَّم الشعب الوضع، وإذا لم يستجب الموظفون للدعوات الانقلابية، بإذن الله سوف تصمد.

البيان: هناك أحاديث كثيرة صهيونية على عمليات واسعة واجتياحات؛ هل تتوقعون اجتياحاً كبيراً؟ وماذا أعددتم له؟

الحقيقة أننا نعلم أن الاجتياح لغزة سيحدث؛ ولكن اجتياح لكافة قطاع غزة لا يمكن أن يحدث؛ لأنه يكبد العدو خسائر كبيرة. وجميع المحاولات السابقة كانت تدل على أن هذا العدو جبان ويتوغل بالأطراف. ولم يكن يتوغل إلى الداخل؛ لأنه حاول في أيام الغضب أن يتوغل إلى مسافات كبيرة وسقط منه جنود كثيرون. ونحن نقول: إننا لا نخشى هذا التهديد، وإننا حركة مقاومة، وقد حاول أن يجتاح ولكنه لم يفلح؛ وأخذ الأطفال يلعبون بأشلاء الجنود بالزيتون ومحور (فلدلفيا)، فنحن لن نستقبله بالورود؛ بل بالعبوات الجانبية، وسنكون متحدين على قلب رجل واحد.

البيان: ماذا تريدون من الشعوب العربية الإسلامية؟ وماذا تقولون لهم؟

نحن نقول لكافة الشعوب: نحن بحاجة إلى دعمكم المعنوي والسياسي والمالي، أما على صعيد الجماهير فنحن بحاجة للخروج في مظاهرات تأييد؛ من أجل أن تخفف الضغط عن أبناء شعبنا. نحن نقدم الشهداء والدماء.

وعلى الصعيد الإعلامي نحن بحاجة للقيام بتنظيم مؤتمرات ليشكلوا لنا رافداً قوياً يعيننا على الصمود، ونحن بحاجة إلى تبرعاتهم، فهذه التبرعات تساعد في كسر الحصار وعدم الخضوع للمقايضات الأمريكية، فهذه التبرعات كفيلة أن تساعدنا على صمودنا والاستغناء عن أمريكا.

جدار الفصل العنصري في القدس

ماذا وراءه؟

ملفات

يوسف كامل إبراهيم(*)

الأرض المباركة ومسرى الرسول ﷺ تكاد أن تُمحى عن الوجود وتُنسى من الذاكرة، واليهود يستمرون في طمس معالمها وإخفاء إسلاميتها وعروبتها، وتستمر المؤامرة على جغرافية القدس والمسجد الأقصى. وأكبر الوسائل وآخرها التي تستخدمها السلطات الصهيونية بناءُ الجدار الفاصل الذي سنلقي الضوء عليه في هذه الدراسة؛ لنكشف للقارئ الإسلامي والعربي عن مدى الخطورة التي تتعرض لها مدينة القدس في هذه الأيام.

● القدس في الفكر الصهيوني:

بقيت فكرة العودة إلى أرض الميعاد حاضرةً في العقل الجمعي ليهود الشتات، إلى أن جاءت الحركة الصهيونية المعاصرة وأعادت صياغة ذلك المفهوم، بشكل سياسي معاصر، أدّت ترجمته إلى قيام الكيان الصهيوني الحالي. وقد امتلأت أسفار التوراة والتلمود بفكرة العودة إلى أرض الميعاد، وأنها ستتحقق في الأرض المقدسة على يد (المخلص) الذي يقوم بجمع يهود الشتات والعودة بهم إلى أرض الميعاد واتخاذ القدس (أورشليم) عاصمة له، ويعيد بناء الهيكل (المزعوم) فيها.

● الاستيلاء على المدينة:

نظراً للأهمية الدينية للقدس من وجهة نظر الصهيونية، فقد وضعت خطة الاستيلاء الصهيوني على المدينة المقدسة ضمن المخطط العام لاحتلال فلسطين، أي: منذ صدور تصريح (بلفور) ورعاية السلطات البريطانية إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين، فقد سهلت سلطات الانتداب للمنظمات الصهيونية احتلال معظم قطاعات المدينة الحديثة التي تمَّ الاستيلاء عليها قبل انتهاء الانتداب البريطاني رسمياً. وكانت مذبحة (دير ياسين) يوم ٩ /نيسان/ ١٩٤٨م - التي قامت بها منظمة (أرغون) الصهيونية - أحد الخطوات لفرض الهجرة العربية.

ولدعم مركز الدولة العبرية في القدس الجديدة قامت سلطات الاحتلال في الفترة بين ١٩٤٨ - ١٩٦٧م بعدد من الإجراءات لمصادرة الأراضي رَمَتْ إلى تهويد المدينة بعد أن هجّرت سكانها العرب. والجدول التالي يوضح حجم مصادرة الأراضي في بعض مناطق القدس:

أراضٍ مصادرة في تجمعات مختارة من محافظة القدس[1]:

اسم التجمع	المساحة الكلية	المساحة المصادرة	نسبة المساحة المصادرة
بيت حنينا وشعفاط	١٦٢٥٠	١٥٢٩٠	٪٩٤
بيت صفافا، وشرفات	٥٣٠٠	٤٥١٠	٪٨٥
الطور، والصوانة، والشياح	٢٢١٠	١٥١٠	٪٦٨
العيسوية	٢٧٠٠	٢٣٢٠	٪٨٦
السواحرة الغربية، وسلوان، وراس العمود، وجبل المكبر، والثوري	١٠٠٥٠	٧٧٧٠	٪٧٧
الشيخ جراح	٧٥٠	٦٣٠	٪٨٤
صور باهر، وام طوبا	٧٩٠٠	٦٥٧٠	٪٨٣
وادي الجوز	٦٤٠	٣٣٠	٪٥١,٥
المجموع	٤٥٨٠٠	٣٨٩٣٠	٪٨٥

(*) أستاذ الجغرافيا - جامعة الأقصى - غزة - فلسطين.

(١) الكتاب الإحصائي السنوي «القدس ١٩٩٨م».

وأصبح الاستيطان أهم مرتكزات الحركة الصهيونية في الاستيلاء على القدس، وأخذ زعماؤها استكمالاً للتوسع البشري يخططون للتوسع الجغرافي، فبعد عدوان ١٩٦٧م تمسك اليهود بمبدأ عدم العودة إلى حدود (٤) حزيران، وامتزجت الحجج الأمنية بادعاءات اقتصادية ودينية. ولتثبت التوسع الإقليمي شرعت في خلق حقائق استيطانية بشكل مكثف في بعض المناطق العربية المحتلة، وتولت زرع ما يزيد على تسعين مستوطنة جديدة مختلفة من حيث الحجم والنوعية (مستوطنات زراعية، وقرى صناعية، ومراكز مدنية وبلدية، ومعسكرات ناحال)، وذلك لإزالة وتعديل حدود ما قبل ١٩٦٧م.

● الاستيطان الصهيوني والأبعاد الجيوسياسية:

١ ـ طمس المعالم العربية والإسلامية:

عمل العدو ومنذ اليوم الأول لاحتلال القدس على طمس المعالم العربية والإسلامية للمدينة القديمة وإعطائها الطابع اليهودي، حيث قام المحتلون بمصادرة أكثر من ٧٠٠ مبنى في البلدة القديمة، جزء كبير منها يعود للوقف الإسلامي، وقد تمَّ طرد ٦ آلاف فلسطيني لبناء الحي اليهودي، حيث تمَّ بناء أكثر من ٥٥٠ وحدة سكنية ليهود تمَّ إسكانهم في المدينة، وقد رافق ذلك بناء العديد من أماكن عبادتهم والمراكز التجارية والمرافق العامة. كما منعت السلطات المحتلة الفلسطينيين من امتلاك مساكن أو السكن في الحي اليهودي، وقامت بهدم منازل عربية بلغت حوالي ١٣٥ منزلاً هي مجموع حارة المغاربة، بهدف فتح مساحة كبيرة أمام حائط المبكى كمقدمة لإعطاء الحائط بُعْداً قومياً ودينياً، وجعله معلماً دينياً مركزياً للحياة اليهودية.

٢ ـ البعد الإقليمي:

أولى الخطوات التهويدية والاستيطانية للسيطرة والهيمنة على مدينة القدس قامت السلطات الصهيونية بضمِّ المدينة العربية للقدس الغربية، ومن ثم توسيعها لمدينة كبيرة ممتدة الأطراف باتجاه الشرق والشمال والجنوب داخل الضفة الغربية.

لقد هدفت هذه السياسة إلى جعل مدينة القدس مدينة مركزية مقابل (تل أبيب)، وضمن مشروع (متربوليان القدس)، وكان يهدف هذا إلى التوسع إلى الشرق والجنوب والشمال ومحاولة فصل شمال الضفة عن جنوبها، وخنق إمكانيات التوسع الإقليمي العربي في المدينة.

وفي مطلع السبعينيات من القرن الماضي تمَّ بناء أربع مستوطنات كبيرة؛ لإحكام الطوق حول المدينة العربية ومنع فصلها مستقبلاً. فتمَّ بناء مستوطنات النبي يعقوب (نيفي يعكوف) في الشمال، و (تالبيوت الشرقية) إلى الجنوب من البلدة القديمة، و (جيلو) في أقصى الجنوب، و (رمات ألون) إلى الشمال الغربي. استهدفت هذه الخطوة إلى جعل مفهوم الخط الأخضر قضية قديمة ومنتهية.

في المرحلة الثالثة التي بدأت منذ منتصف الثمانينيات من القرن الماضي أخذت الحكومة الصهيونية في تعزيز سيطرتها الإقليمية على القدس العربية وإحكام الطوق على الجزء العربي من القدس الشرقية، بهدف منع قيام تواصل عمراني بين هذا الجزء وبين القرى والبلدات والمدن الفلسطينية الواقعة خارج القدس، وفي هذه المرحلة تمَّ بناء مستوطنة (بسغات زئيف) بهدف إغلاق الفراغ الإقليمي بين جبل المشارف (سكوبس) ومستوطنة النبي يعقوب، ثم مستوطنة (هارحوماه) بهدف إغلاق الفراغ الإقليمي بين مستوطنة (جيلو) من جهة وبين مدينة (بيت لحم) والأحياء العربية في (أم طوبا) و (صور باهر) من جهة أخرى، فتحقق بذلك هدفان: خنق التمدد العمراني لـ (بيت صفافا) العربية، ومنع حدوث تمدد عمراني يربط بين (بيت لحم) و (أم طوبا) و (صور باهر). كما قامت السلطات الصهيونية بمصادرة ٢٤ كلم² من القدس العربية الشرقية بحدودها الموسعة (أي: من ٧٠ كلم²)؛ لبناء مستوطنات يهودية، فتمَّ بذلك الاستيلاء على ٣٣٪ من الأراضي العربية، إلى جانب الإعلان عن ٢٤ كلم² كمناطق مفتوحة لا يجوز فيها البناء العربي، ومن ثم يكون قد تبقى للسكان العرب ٢٢ كلم² فقط، منها ١٣ كلم² (١٩٪) هي مناطق المرافق العامة كالطرق والمدارس وغيرها، والبقية (٩ كلم² أو ١٤٪ من مساحة المدينة العربية) هي مناطق الأحياء العربية القابلة للتطوير.

٣ ـ البعد (السكاني):

عملت السياسة الاستيطانية الصهيونية على تفريغ المدينة من سكانها الفلسطينيين من خلال التضيق عليهم والتمييز ضدهم، في المقابل عملت الدولة اليهودية على نقل الآلاف من اليهود لشرقي المدينة لضمان بقاء أغلبية يهودية فيها، ففي عام ١٩٦٧م بلغ عدد سكان المدينة حوالي ٧٠ ألف نسمة، فيما بلغ عدد السكان اليهود ٢٦٦ ألف نسمة سكنوا جميعاً في مدينة القدس الغربية. أي: أن نسبة العرب بلغت آنذاك (٢٦٪). وقد أراد الصهاينة المحافظة على هذه النسبة منذ ذلك الحين. في الجانب الآخر لم يكن لليهود أي وجود في القدس العربية، أي: أن نسبة السكان العرب في المدينة بلغت (١٠٠٪) وقد أرادت «إسرائيل» أن تقلب هذا الوضع بحيث تصبح أغلبية سكان المدينة الشرقية يهودية. وفي العام ١٩٩٥م تعادلت نسبة السكان اليهود والعرب في القدس الشرقية، حيث بلغ التعداد السكاني فيها ٣٤٠ ألف نسمة، نصفهم يهود.

٤ ـ التطويق الإقليمي الخارجي:

بالإضافة إلى محاولات تطهير الوجود الفلسطيني داخل مدينة القدس كانت هناك محاولات تطويق الأحياء العربية داخل المدينة؛ لمنع حدوث زحف عمراني فلسطيني باتجاه المدينة، قامت الحكومات الصهيونية ببناء حزام إقليمي استيطاني داخل الضفة الغربية يتكون من ثلاثة تجمعات

رئيسية تحيط بالقدس العربية من ثلاث جهات: الشمال والشرق والجنوب. ففي الشمال تمَّ بناء (جفعات زئيف) كنقطة ارتكاز تمنع التمدد العمراني بين (رام الله) باتجاه القدس، وتسمح بتنفيذ مخططات توسيع الطرف الشمالي لما يسمى بـ (كريدور القدس)، وفي الجهة الشمالية نفسها قاموا بالربط بين مستوطنات (بيت إيل وعوفرة وبسغوت وكوخاف يعقوب)؛ لحصر إمكانات تمدد مدينة (رام الله) بشكل يسمح لها بمحاصرة القدس من الشمال، في الجنوب قاموا ببناء مجموعة مستوطنات (غوش عنصيون) بهدف منع أيّ تمدّد عربي من الخليل والجنوب باتجاه القدس، أما من الشرق فقد شكلت (معاليه أدوميم) ذات قيمة جيواستراتيجية عظيمة بالنسبة لمدينة القدس؛ لأنها تشرف على البوابة الشرقية للمدينة، ومنها يمكن التوجه إلى شمال الأرض المحتلة عبر غور الأردن أو جنوباً إلى البحر الميت وإيلات، وباستكمال مخطط القدس الكبرى تكون قد اكتملت الدائرة المحيطة بالقدس الشرقية العربية. ولتسهيل الربط مع مركز المدينة في القدس تقوم «إسرائيل» ببناء نفق يربط مستوطنة (معاليه أدوميم) بجبل المشارف (سكوبس) وهو ما يعرف بخطة التطوير (E1)؛ بهدف مصادرة وضمّ أكثر من ١٢ ألف دونم من الأراضي الفلسطينية لربط (معاليه أدوميم) ومحيطها بالقدس، وقطع كل تواصل جغرافي بين شمال الضفة وجنوبها إلا من خلال أريحا. وتريد السلطات الصهيونية من بناء الجدار الفاصل استكمال مخططها لتهويد المدينة والهيمنة عليها بشكل كامل وعزل التجمعات الفلسطينية في كنتونات ومعازل بشرية دون تواصل.

● جدار الفصل العنصري في القدس:

بدأ العمل على إقامة الجدار في جنوب وشمال المدينة وشرقها في إطار غلاف القدس، ويبلغ طول هذا الغلاف ٥٠ كم. والجدار يأخذ أشكالاً متعددة وفقاً لطبيعة الأرض التي يمر فيها، ففي المناطق المفتوحة يكون واسعاً جداً من ٥٠ - ١٠٠ متر، حيث يضم كل عناصر الجدار الأمني الحدودي من سور وطرق ترابية وقنوات وإلكترونيات. أما في المناطق السكنية - مثل: أبو ديس والعيزرية - فيكون سور ارتفاعه ٦ - ٨ أمتار. ويقسم البناء في غلاف القدس إلى ثلاثة أجزاء: الجدار الشمالي والشرقي والجنوبي.

وقد أجرت الحكومة الصهيونية عدداً من التعديلات على مسار الجدار ليتناسب مع التطبيق على أرض الواقع، وفي خطوة تعكس عزم رئيس الوزراء الإسرائيلي الجديد (إيهود أولمرت) استكمال جدار العزل في الضفة الغربية في أقرب وقت ممكن صوّت مجلس الوزراء الصهيوني المصغر على ضرورة الانتهاء من عملية البناء في أسرع وقت، وذلك بعد إجراء تعديلات جديدة على المسار المعدل بتاريخ ٢٠/٢/٢٠٠٥م، وتتركز التعديلات الجديدة في مسار الجدار في مناطق أثارت معضلات جغرافية لمسار الجدار، حيث ارتكزت التعديلات الجديدة على حل مشاكل اعتبرت حجر عثرة أمام سعي إسرائيل الاستمرار في بناء الجدار. أما فيما يتعلق بالتعديلات الرئيسية والتي يبلغ عددها أربعة فقد كانت في المناطق التالية[1]:

١ - قرية (الجبعة)، جنوب غرب (بيت لحم):

تشير التعديلات الجديدة لمسار الجدار الفاصل الذي أقرّه مجلس الوزراء الإسرائيلي المصغر إلى إجراء تغيير على مسار الجدار المحاذي لقرية (الجبعة) جنوب غرب محافظة (بيت لحم)، والتي ستصبح القرية بموجبه جزءاً من منطقة العزل غرب محافظة (بيت لحم).

٢ - قرية (الولجة)، شمال غرب (بيت لحم):

أظهرت التعديلات الإسرائيلية الجديدة على مسار الجدار غرب محافظة (بيت لحم) عن وضع قرية (الولجة) ضمن منطقة عزل خاصة بها، وذلك بتطويقها بجدار الفصل من جهاتها الشرقية، الشمالية، والغربية، مع تطويقها بشارع أمني تحت سيطرة الجيش الإسرائيلي من جهة القرية الجنوبية بمحاذاة شارع رقم (٤٣٦)، الذي يعتبر المَنْفَذ الوحيد المتاح لأهل القرية باتجاه (بيت لحم). وسيكون تحرك أهل قرية (الولجة) باتجاه قريتهم و (بيت لحم) من خلال معبر خاص بهم، الأمر الذي سيجعل منهم أسرى للحالة الأمنية المستجدة بحسب الجيش الصهيوني.

٣ - منطقة غلاف القدس:

أما فيما يتعلق بالقدس فقد تمَّ إقرار العمل على استكمال بناء الثغرات الموجودة في جدار العزل حول مدينة القدس والمعروف - أيضاً - بغلاف القدس في المنطقة الشمالية للمدينة، حيث رفضت المحكمة الإسرائيلية العليا مؤخراً الاعتراضات المقدمة من قِبَل القرى المحيطة بشمال القدس والتي سيتم عزلها عن مركز المدينة.

٤ - قرية (بيت اكسا)، شمال غرب القدس:

أما فيما يتعلق بقرية (بيت اكسا) فقد تمَّ إعادة رسم مقطع الجدار الخاص بها، وذلك بعد جولة تفقدية قام بها كل من رئيس الوزراء الإسرائيلي الجديد (إيهود أولمرت) ووزير الدفاع الإسرائيلي، حيث اطلع الأول على جغرافية المنطقة وقرب موقع القرية المذكورة من شارع (القدس - تل أبيب)، الأمر الذي استدعى إعادة دراسة وتخطيط مسار الجدار بحيث سيتم تسييره جنوب قرية (بيت اكسا) التي ستقع خارج نطاق الجدار.

٥ - (جيب أرائيل) تحول إلى (جيب أرائيل) و (جيب كدوميم):

يعتبر (جيب أرائيل) أحد أبرز المعضلات التي تواجه

(١) الموقع الإلكتروني لمعهد الأبحاث التطبيقية (أريج): www.arij.org

إسـرائيل، وقـد أقـرّ مـجلس الوزراء تعـديلات على مـسـار الجدار المحيط بتـجمـع مـسـتوطنات (أرائيل)، حـيث تقـرر تقسيم (جيب أرائيل) إلى قسمين: أرائيل وكدوميم.

وتجـدر الإشارة هنا بأن فـصل مـا كـان يعـرف بـ (جـيب أرائيل) إلى قـسـمـين قـد أدّى إلى وجـود ثلاث مناطق عـزل تضم تجـمّـعـات سكنيـة فلسطينيـة محـاطة بالأسوار والطرق الإسرائيلية، يقع أولها ما بين (جيب أرائيل) و (كدوميم)، ويضم ١٦ تجـمّـعـاً سكنيـاً فلسطينيـاً، يبلغ عـدد سكانهـا ٣٦٠٠٠ نسـمـة. أمـا منطقـة العـزل الثـانيـة والتي يبلغ عـدد سكانهـا ١١١٠٠ نسـمـة فـتـقع جنوب (جيب أرائيل) وتضم قـريـة (الزاوية، رافـات، ودير بلوط). أمـا منطقـة العـزل الأخيـرة فإنها تقع مـا بين الجدار القائم جنوب (قلقيلية) والخط الأخضر، وتضم قرية (عزون عتمة) والتي يبلغ عدد سكانها ١٧٢٠ نسمة.

● جدار الفصل العنصري والآثار المترتبة عليه:

يعـتـبـر القـرار الإسـرائيلي بإنشـاء جـدار الفـصـل في مـحـافظة القدس تتـويجـاً لسـيـاسـة عنصـريـة، مـهّـدت لهـا السلطات الصـهيونية منذ الاستيلاء على مدينة القدس في حزيران عام ١٩٦٧م، فقد تعرّضت المدينة إلى هجمة شرسة هدفـهـا تهـويد المدينة وطمس مـعـالمهـا العـربيـة والإسـلاميـة، والقـضـاء على التـواجـد الفلسطيني، فـالجـدار يقطع أيضـاً نسيج الحياة اليومية للمجتمع الفلسطيني، هذه الحياة التي لا تعني شـيـئـاً لمصـمّـمي الجـدار كـمـا يقـول «أفنيـري»: «فـالضـفـة الغـربيـة خـاليـة من غيـر اليـهـود»، وذلك تجـسيـداً للأسطورة التي روّجتـهـا الصـهيونية عن فلسطين في أواخـر القـرن التـاسع عشـر: «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»[1] فـفكرة الانسـحـاب من قطاع غـزة أو فكّ الارتبـاط عن الضـفـة الغـربيـة إنما تندرج في خطة وضـعـتـهـا حكومـة «شـارون» السابقة والتي تقضي بتحقيق الأهداف التالية[2]:

١ ـ التـخلّص من القنبلة الديمـغـرافـيـة الفلسطينيـة، ووضـعـهـا داخل قطاع جـغـرافي مـحـدود المسـاحـة (٣٦٥ كـيلومـتـر مربع) ضـمـن مـعـابر مُـحكمـة الإغـلاق، ومُـحكمـة الرقابة الأمنية، حيث يبقى للدولة الصهيونية حرية المراقبة والتدخل.

٢ ـ الشـروع بتوسـيـع الاسـتيطان في الضـفـة الغـربيـة، وخـاصـة في مـحيط مدينة القدس ضمن مخطط قديم بهدف تهـويدهـا، وفـصلهـا عن التـجـمّـعـات السكانيـة العـربيـة في (جنين ونـابلس وطولكرم والخليل وبيت لحم) وغـيــرهـا. وكشف المراقبون وجـود آلاف النقاط الاسـتيطانيـة الجديدة التي قـد تمـهّـد لإنشـاء تجـمّـعـات اسـتـيطانيـة في المناطق الزراعية والغنية بالمياه العذبة.

٣ ـ تجـسـيـد فكرة يهـودية الدولة وعـزل كل من هو غـيـر يهودي خارج الحدود التي تريد رسمها بعد الانتهاء من بناء الجدار، فلقد جاء قرار بناء الجدار الفاصل على طول الخط الأخضر للضفة الغربية من الجهة الغربية بما يشمل القدس والتجمعات الفلسطينية بها، فقد عمل الجدار على تقسيم محافظة القدس إلى ثلاثة مقاطع معزولة عن بعضها البعض من جهة، وعن باقي مدن ومحافظات الضفة الغربية من جهة أخرى، بحيث عزلت البلدة القديمة مع مجموعة من الأحياء المـحـيطة ـ بناء على المخطط الهـيـكلي لبلدية القـدس الإسـرائيليـة المعـدل في العـام ١٩٩٤م ـ عن أيٍّ امـتـداد وتواصل مع باقي الأراضي المحتلة، فـيـمـا فـصل الجـدار الأحياء والضواحي الشرقية للمحافظة عن المدينة، وأحيط بحواجز ونقاط تفتيش من كل الاتجاهات، وانقطع التـواصل مـع القـرى والبلدات في الشـمـال، والشـمـال الغـربي للمـحـافظة، وحال الجدار دون دخـول المواطنين إلى المدينة، مما زاد من معاناة المواطنين في المحافظة.

لم تقتصر التأثيرات السلبية لجدار الفصل العنصري في مـحـافظة القدس على تقطيع أوصـال المحـافظة، وحـرمـان الآلاف من الوصول إلى المستشفيات والمدارس وأماكن العمل والعـبـادة، ومـصـادرة الأراضي والممتلكات، بل طالت هذه التأثيرات العائلات والأسر الفلسطينية على جانبي الجدار، فلم يراعِ مسار الجدار ـ الذي أعدّته وصادقت عليه الحكومة الإسـرائيليـة في مطلع العـام ٢٠٠٢م ـ التـشـابك الجـغـرافي وعـلاقـة المجـتـمع الواحـد لسكان المحـافظة، بل تجـاوز هذا المسـار كل المواثيق والمبادئ الإنسـانيـة والقـرارات الدوليـة المتعلقة بالوضع السياسي لمدينة القدس، فقد توغل الجدار مسافة تزيد عن أربع كيلو مترات شرقي الخط الأخضر، مما أوقع قرابة ٢٠٠ ألف فلسطيني داخل نطاق حدود بلدية القدس الإسرائيلية، فيما حرم أكثر من ٢٠٠ ألف فلسطيني من سكان الضواحي من دخولها، وحصرت أحياء بكاملها على جانبي الجدار، لتشكل معازل منفصلة عن أيّ امتداد وتواصل فيما بينها، فقد كانت المناطق والضواحي الشرقية لمدينة القدس من أكثر المناطق تضرراً، حيث حصر الجدار ٦٠ ألف نسمة من سكان هذه الضواحي داخل قراهم، وقد برزت جراء هذا الواقع جملة من القضايا الهامة نحاول من خـلال هذا التـقـرير تسليط الضـوء على جـانب يُـعـدّ من أهم الانتـهـاكـات التي خلّفـهـا بناء الجـدار وهو واقـع العـائلات الفلسطينية التي فصلها الجدار.

وكان ذلك أكثر وضوحـاً في بلدة (السـواحـرة) بشـقـيـهـا الغـربي والشـرقي التي يبلغ عـدد سكانهـا ٢٥ ألف نسـمـة حـصـر منهم ١٠ آلاف شـرقي الجـدار وهـم من حـملة هوية الضـفة الغربية، ترتب على هذا التقسيم تفرقة عائلات كاملة عن بعـضـهـا، مـثل: عـائلة (عـبـيـدات) وعـائلة (شـقـيـرات

---

(١) أحمد بن راشد بن سعيّد، الفصل الأخير للجدار الذي تصرّ عليه إسرائيل، صحيفة الحياة اللندنية ٢٠٠٤/٢/٨م.

(٢) عدنان السيد حسين، الخطة الإسرائيلية بعد غزة، صحيفة الخليج الإماراتية ٢٠٠٥/٨/٣٠م.

والجعافرة)، في حين حرم السكان من حملة هوية الضفة الغربية من دفن موتاهم وزيارة القبور في الجهة الغربية من الجدار. في بلدات (العيزرية وأبو ديس) عزل الجدار أحياء بأكملها بسكانها عن هذه البلدات، ففي حي (أم الزرازير) غربي (أبو ديس) والذي تسكنه ١٠ أسر من عائلة (عياد) تضم ٥١ فرداً (وهم من حملة بطاقات مختلفة) تمَّ اقتطاع هذا الحي من بلدة (أبو ديس)، بحجة ضمِّه إلى المخطط الهيكلي لبلدية القدس في العام ١٩٩٤م، وقد فقد سكانه أيَّ اتصال مع البلدة، في حين تقوم سلطات الاحتلال منذ أكثر من سنة بممارسة الضغط على السكان لحملهم على ترك بيوتهم وأراضيهم، والتوجه إلى شرقي الجدار (أبو ديس)، وقد صدر قرار من وزارة الدفاع الصهيونية في شهر تموز من العام الماضي، يطالب ٢٣ فرداً من أفراد هذه الأسر بمغادرة المنطقة خلال مدة ١٠ أيام من تاريخه، بحجة أنهم يقيمون في بيوتهم وممتلكاتهم بشكل غير قانوني، بعد أن قامت سلطات الاحتلال بضمِّ المنطقة التي يسكنون فيها دون السكان إلى حدود بلدية القدس المصطنعة، فيما يعد ذلك انتهاكاً خطيراً لأبجديات حقوق الإنسان، حيث فرَّق هذا القرار بين الإخوة والأبناء والآباء. ولدى توجُّه عائلة (عياد) مجتمعة إلى القضاء الإسرائيلي للبحث عن حل لمشكلتهم، صدر قرار مؤقت من مكتب وزير الأمن الداخلي الصهيوني يوم ٢٣/٩/٢٠٠٤م بالسماح لهم بالبقاء في منازلهم حتى يتم النظر بالقضية في المحكمة[١].

ولم يكن حي (خلة عبد) في (أبو ديس) بأحسن حال، فقد تمَّ استهداف الحي منذ اليوم الأول من البدء ببناء الجدار، عندما استولى مجموعة من المستوطنين على بيتين في الحي، وتمَّ تأمين الحماية لهم من قوات الاحتلال الصهيوني، وذلك تمهيداً لإنشاء بؤرة استيطانية في الحي، كما تبع ذلك صدور قرار عن وزارة الدفاع الصهيونية بتاريخ ٢٣/٧/ ٢٠٠٣م بمصادرة ٤٣ دونماً من الأراضي الزراعية لنفس الحي لصالح استكمال بناء الجدار، ووجهت سلطات الاحتلال إنذاراً لعائلة القنبر المقيمة في الحي، تطالبهم فيه بإخلاء بيوتهم ومغادرة المنطقة بحجة الإقامة على أراضٍ أصبحت من أملاك الدولة. ويضم هذا الحي أكثر من ٣٠ فرداً من نفس العائلة يحملون بطاقات هوية مختلفة، وتنوي إسرائيل إنشاء مستوطنة إسرائيلية في الموقع، مما يشكل خطراً مباشراً على حياة المواطنين في الحي.

كذلك فإن الجدار الفاصل قام بشقِّ حي (صوانة صلاح) بالقرب من جامعة القدس في (أبو ديس) إلى قسمين، مما قسَّم عائلة (السرخي) على جانبي الجدار، فيما وقعت العديد من المنازل الأخرى - التي كانت تابعة لمدينة القدس والتي اعتاد سكانها على دفع الضرائب والأرنونا إلى بلدية القدس - في الجهة الشرقية للجدار.

استهدفت إسرائيل العائلات مختلفة الهوية بشكل ملحوظ بعد الانتفاضة الفلسطينية الأولى، من خلال إجراءات سحب هوية المقدسين والمقدسيات الذين يقيمون مع عائلاتهم خارج حدود بلدية القدس، وعدم السماح لأفراد عائلاتهم من حملة هوية الضفة أو قطاع غزة بالإقامة في القدس، وذلك استكمالاً لسياسة التهويد التي تمارسها إسرائيل ضد مدينة القدس. ظهرت انعكاسات هذه السياسة جلية وواضحة بعد أن تمَّ بناء جدار الفصل العنصري، حيث ترتب عليها تشتيت ٨٠٠ أسرة من حملة الهويات المختلفة على طرفي الجدار في منطقة (أبو ديس والعيزرية والسواحرة الشرقية)، هذه الأسر تواجه اليوم مستقبلاً غامضاً تحديداً بعد تجميد إجراءات لمِّ الشمل من قبل الحكومة الإسرائيلية في العام ٢٠٠٢م، بحيث لم يترك أمام هذه العائلات أيّ خيار للتواصل والعيش المستقر.

إن التعامل الإسرائيلي مع قضية لمِّ شمل العائلات الفلسطينية، ينطلق من مصلحة إسرائيل ورؤيتها في عدم تهديد الطابع اليهودي والأغلبية الصهيونية في مدينة القدس، مما يحرم هذه العائلات في الوقت الراهن من أن يعيشوا في بيت واحد وفي أسرة واحدة في المدينة، للحفاظ على انتمائهم للمدينة المقدسة، والحفاظ على تواصلهم مع أفراد أسرهم في الضفة، بعد الانتهاء من بناء جدار الفصل، وخاصة إذا طُبِّق بحق المقدسين القرار المعلن من قبل الحكومة الصهيونية بمنع أهالي القدس من التوجه إلى الضفة الغربية، ابتداء من شهر تموز المقبل، أسوةً بباقي الأهل من العرب في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م.

لقد التصقت هذه التبعيات والآثار السلبية بواقع بناء الجدار حول مدينة القدس، فهي تبرز وتتفاقم أينما وجد الجدار، ففي شمال المحافظة قسم الجدار ضاحية (السلام) غربي قرية (عناتا) شمال القدس إلى شطرين، في حين تسلمت ١٠٠ أسرة من سكان الضاحية من حملة هوية الضفة الغربية إشعارات بمغادرة منازلهم وأملاكهم، كذلك الأمر في ضاحية (البريد والرام وسميراميس والمطار وأم الشرايط) الواقعة في شمال القدس، والتي فصلها الجدار عن المدينة، حيث يحمل جزء كبير من هؤلاء السكان الهوية الزرقاء، وينطبق الأمر على الشمال الغربي من المحافظة، حيث أخرجت عشرات العائلات المقدسية من نطاق المدينة.

إن الحل الأمثل لقضايا ومتعلقات الجدار وما أنتجه وينتجه من معاناة إنسانية للمواطنين في المحافظة لا يتأتّى إلا من خلال إزالته، وإبطال كل الإجراءات والتدابير الناجمة عنه.

(١) عبد الوهاب صباح، الجدار في محافظة القدس، مركز القدس للديمقراطية وحقوق الإنسان.

- التغلغل الصهيوني في العراق بات حقيقة
د. أكرم المشهداني

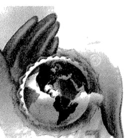
- الانتخابات النيابية والبلدية في موريتانيا
أحمد ولد محمد ذو النورين

- حسن الحكيم وعبد العزيز نصر الله
أحمد فهمي

- أين المفر؟
د. يوسف بن صالح الصغير

- مرصد الأحداث
أحمد فهمي







التغلغل الصهيوني في العـــراق بات حقيقة

د. أكرم المشهداني (*)

● الدور الصهيوني في الحرب الأمريكية على العراق:

ليس سراً أن حماية أمن كيان الدولة الصهيونية هو من أهمِّ أهداف غزو القوات الأنجلو أمريكية للعراق، إضافةً إلى السيطرة على منابع النفط العراقي، والهيمنة العسكرية والسياسية المباشرة على الممرات البحرية وطرق المواصلات العالمية. ويرى الباحثون الاستراتيجيون أن أمن العدو الصهيوني قد توفر وتعزز في الوقت الراهن بعد تدمير أمريكا القدرات العسكرية العراقية وبعد إنهاء أيِّ قدرة على تهديد ذلك العدو عقب قرار (بول بريمر) بحلِّ الجيش العراقي بكافة أسلحته: الجوية والصاروخية والبرية والبحرية، وهذا الأمر يؤكد أن حرب غزو العراق قامت بها القوتان الاستعماريتان أمريكا وبريطانيا نيابةً عن (الدولة الصهيونية)؛ لأن هذه الدولة ترى أن العراق يشكل خطاً مواجهة وليس قوة مساندة فقط لأي معركة عربية - صهيونية مستقبلاً، كما ترى أن ضرب وتفكيك وتقسيم وتجزئة العراق هو مصلحة صهيونية بالدرجة الاولى، كما أن (العراق) من الدول العربية القليلة التي شاركت في حرب ١٩٤٨م ولم توقع على الهدنة مع ذلك العدو، وتعتبر نفسها في حالة حرب معه.

ولقد رأى الصهاينة - كما أكّد أكثر من مسؤول منهم - بالحرب الأمريكية على العراق الفرصة الذهبية لتحقيق ما كانت تمنِّي الدولة الصهيونية نفسها به؛ من تفتيت العراق وإضعافه، وإثارة الفتن المذهبية والعرقية، وغرس الموساد في مختلف مناطق العراق.

وقد كشفت صحيفة (إيديعوت أحرونوت) في ٥/١٢/٢٠٠٤م عن وجود عشرات الخبراء العسكريين الصهاينة المرسلين من قِبَل شركات أمنية صهيونية لتدريب أطراف عراقية في قاعدة عسكرية شمال العراق، كما كشفت الجريدة في تقريرها أن الشركات الصهيونية انطلقت من بناء مطار دولي في منطقة أربيل. ولتأكيد هذه المعلومات نشرت الصحيفة صورةً ولافتة للمطار وأمامه وحدة أمنية متنقلة.

(*) باحث من العراق.

إضافة إلى ذلك كشفت الصحيفة معلومات سبق أن تردّدت كثيراً وحاول مسؤولون عراقيون إنكارها تفيد أن الشركات الصهيونية تغلغلت في العراق، وتعمل بصورة سرّية، وتحمل أسماء متعددة للتمويه، فيما أكدت معلومات أخرى أن شبكات الموساد الصهيونية عملت على إثارة الفتن الطائفية والمذهبية، ونفذت عمليات إرهابية ضد المدنيين، محاولةً تشويه صورة المقاومة ضد الاحتلال الأمريكي وتشويه صورة الإسلام والمسلمين على حدٍّ سواء، كل تلك دلائل على الدور الصهيوني في تخريب العراق، ناهيكَ عن الحقد التاريخي.

ومؤخراً ذكرت صحيفة (معاريف) الصهيونية أن ما يسمى حكومة كردستان العراق على استعداد تامّ لافتتاح قنصلية صهيونية في مدينة أربيل في المستقبل القريب، وكان (مسعود البارزاني) قد صرحّ في الكويت مؤخراً أن «إقامة علاقات مع الدولة الصهيونية ليست جريمة، فأنا مستعد لافتتاح قنصلية صهيونية في أربيل في حال قررت الحكومة العراقية افتتاح سفارة صهيونية في بغداد». وصرَّح أحد الشخصيات العراقية البارزة لصحيفة (الشروق) المصرية مؤخراً قائلاً: «إن الوجود الصهيوني معلن وسافر في الفنادق والمراكز السياحية بشمال العراق، ويظهر ذلك التواجد العلني حيث يحرص الصهاينة على ارتداء غطاء الرأس الخاص بهم؛ حتى يقدّموا رسالة لها معنى فيه تحدٍّ للشعب العراقي وكل العرب بأنهم موجودون في العراق وتحت رعاية وحماية الأكراد. ولا يقتصر ذلك الوجود على الشمال فقط، وأذكر أن أحد كبار الضباط السابقين في الجيش العراقي قال لي: أنه توجّه مؤخراً إلى مقرٍّ وزارة الدفاع للعمل بها بعد أن أصبح محتاجاً إلى العمل أو إلى مصدر للدَّخْل بعد تسريح الجيش عقب الاحتلال، وأخبرني أنه رأى أحد اليهود من الذين يرتدون القبعة اليهودية يروح ويجيء داخل مكاتب الوزارة، والمؤكد أن جهاز المخابرات الصهيونية (الموساد) موجود في أماكن كثيرة رسمية داخل العراق، مستغلاً العلاقة الوثيقة مع الاحتلال الأمريكي، وقد بثّت المقاومة أشرطة مسجلة لعمليات تصفية عملاء الموساد».

كما كشفت تقارير إعلامية عراقية عن (أن شركة صهيونية فازت بعقدين للاستثمار في مجال التنقيب عن النفط الخام في العراق. وذكرت الأنباء أن شركة سرسل الصهيونية - التي أدرجها النظام العراقي السابق على القائمة السوداء للشركات المحظور التعامل معها - حصلت من خلال شركة عراقية على عقدين نفطيين للاستثمار في مجال التنقيب عن النفط الخام. وأوضحت الصحيفة أن الشركة - ومقرّها تل أبيب ولديها فرع ثانٍ في فرنسا - حصلت على العقدين تحت عباءة شركة عراقية تدعى (أميرة بكس) يقودها ويشرف عليها فاسدون في شركة الاستكشافات النفطية التابعة لوزارة النفط، وهي تنتظر الفوز بعقد ثالث).

● الحقد اليهودي التاريخي للعراق:

ويبدو أن الأساطير اليهودية الصهيونية هي التي روّجت لضرورة سحق القوة العراقية مبكراً، حيث يجد اليهود في تلمودهم المزعوم أن خراب دولتهم الثانية سيكون على أيدي جندٍ أولي بأس شديد يخرجون من أرض بابل مثلما خرج (نبوخذ نصّر) الذي خرّب دولتهم الأولى قبل آلاف السنين، وسباهم رجالاً ونساءً أسرى وعبيداً من أورشليم إلى بابل. وكان الصهاينة وعلى رأسهم (الإرهابي شارون) هم أكثر الفرحين والشامتين بدخول القوات الأمريكية الغازية شوارع بغداد، وبينما كان العرب والمسلمون يعتصرهم الألم كان الصهاينة فرحين والابتسامات تعلو وجوههم، ويتبادلون التهاني، ويتعاقرون الخمر سعادةً وطَرَباً بالإنجاز العظيم الذي حقّقه لهم بوش وبلير.

● غزو العراق يمهّد لإقامة الدولة الصهيونية الكبرى من النيل إلى الفرات:

إذاً؛ فأمريكا غزت العراق من أجل تأمين الدولة الصهيونية كقوة عظمى وحيدة في المنطقة، وطَمْس هوية العراق العربية والإسلامية، وقطع كل صلاته بتاريخه الحضاري العريق، وتوتير علاقاته مع دول الجوار وخاصة مع العالم العربي. ولو تأملنا أساليب تعامل قوات الغزو الأمريكي مع العراقيين أفراداً ومُدناً وتأمّلنا صور التعذيب الأمريكية ولجوء قوات الاحتلال إلى دهم البيوت ونسف المنازل وجرف المزارع وقلع البساتين.. لوجدناها تتطابق تماماً في تفصيلاتها مع ما تمارسه القوات الصهيونية في فلسطين. وقد تبين فعلاً أن خبراء صهاينة في فنون التعذيب والاعتداءات الجنسية هم الذين درّبوا الجنود الأمريكيين على أساليب التحقيق الوحشية مع المعتقلين العراقيين والتعامل مع المدن الخارجة عن الطاعة! فعند بدء الاستعدادات العسكرية الأمريكية - البريطانية لغزو العراق، وضع الكيان الصهيوني نفسه في واجهة الأحداث الأمامية لهذا الغزو، باعتبار أن الحرب التي تشنّها أمريكا وبريطانيا على العراق هي (حرب صهيونية) بالدرجة الأولى، تأسيساً على الفكرة (الإسرائيلية) القائلة: بأن أيَّ حدث أو تغيير قد يتأتّى عن هذا الغزو سيغيّر الوضع في المنطقة وفي الكيان الصهيوني بالذات، لذا فإن نتائج الغزو الأمريكي - البريطاني للعراق

ستنصبّ في خدمة الأهداف الاستراتيجية الصهيونية، وتفتح الأبواب على مصراعيها أمام نشوء أوضاع جديدة ومختلفة، تُخرج الكيان الصهيوني من المستنقع الفلسطيني الذي بات يغوص فيه، وتخلّصه من الورطة الاستراتيجية التي تعيشها آلته العسكرية وانسداد أيّ أفق سياسي لحلّ الصراع حسب المقاس الشاروني الصهيوني، إلى جانب الأزمة الاقتصادية الخانقة التي تهدد بانهيار الاقتصاد الصهيوني والانقسامات السياسية والاجتماعية والإثنية والطائفية التي تنخر جسد الكيان الصهيوني.

● التغلغل الصهيوني في العراق إبّان الغزو وبعده:

أول ثمرة قطفها الصهاينة من وراء احتلال أمريكا وبريطانيا للعراق هي إنهاء العراق كقوة إقليمية لا يُستهان بها، هذا على الصعيد الاستراتيجي، أما الثمرة الأخرى فتمثلت في الاختراق الاستخباراتي للعراق أرضاً وإنساناً، فعلى هذا الصعيد أنشأت الدولة الصهيونية فرعاً للموساد في بغداد، وذلك حسب المصادر العراقية؛ لتنفيذ مهام خطيرة تتعلق في مطاردة العلماء العراقيين، والبحث عن أرشيف المخابرات العراقية، وتجنيد العملاء المحليين، بالإضافة إلى اختراق المجتمع العراقي، والتغلغل في أوساط النخبة السياسية والحركات والمنظمات السياسية الناشئة، والتقصّي والتفتيش عن برامج أسلحة الدمار الشامل، والبرنامج النووي العراقي الذي كانت هذه الدولة قد سدّدت له ضربة قاتلة بقصفها مفاعل (تموز) العراقي أوائل الثمانينيات من القرن الماضي.

ومن مظاهر التغلغل الصهيوني في العراق بعد الغزو افتتاحُ مركز صهيوني للدراسات الشرق أوسطية في العاصمة العراقية أول أغسطس ٢٠٠٣م، ويحتلّ المركز مبنى كبيراً في شارع (أبو نواس) المطلّ على نهر دجلة، ويُعدّ المركز أول مركز صهيوني يعمل علانية في بغداد بعد سقوطها، وقد تمكن من الحصول على التصريحات اللازمة من قوات الاحتلال الأمريكية، ومن وزارة الدفاع البنتاغون، كما أن حراسة أمريكية مشددة تُفرض حوله، وهذا المركز يتبع مؤسسة صهيونية تدعى «ميمري» (مركز الصحافة العربية) الذي أنشئ عام ١٩٩٩م ومقره الرئيس في العاصمة الأمريكية واشنطن، وله فروع منتشرة في لندن وبرلين والقدس الغربية، والمركز يتولى ظاهرياً متابعة الصحافة العربية الصادرة في الوطن العربي والدول الأوروبية ولا سيما بريطانيا، حيث يقوم بترجمة المقالات الهامة الصادرة في الصحف العربية إلى اللغات العبرية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية، وتوزيعها على المشتركين، كما يقوم بتزويد المؤسسات الصهيونية الرسمية بهذه الترجمات.

وتسرّبت معلومات عن أن وحدات أمنية صهيونية دخلت بغداد في اليوم الثاني لسقوطها، حيث تحركت تلك الوحدات من أربيل باتجاه كركوك، ثم استقرت في بغداد، وكانت برفقة قوات كردية. وقالت المصادر العراقية: إن الوحدات الصهيونية التابعة للجنرال الصهيوني (ديفيد تزور) - المعنيّ بتطوير التعاون الأمني مع الأمريكيين في العراق - دخلت بغداد مرتدية ملابس مدنية، وبسيارات مدنية - أيضاً - مكتوب على لوحاتها «السليمانية، وأربيل»، وبتنسيق كامل مع قنوات أمنية أمريكية. في هذا الأثناء كشفت المصادر الصحافية أن الوحدات الأمنية الصهيونية في بغداد وبالتنسيق مع حزب الجلبي كان هدفها اكتشاف مخبأ أرشيف المخابرات العراقية لأسباب ترتبط بعمليات «الموساد» الصهيوني خلال عقدي الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، وخاصة تلك المتعلقة بصلة المخابرات العراقية مع أجهزة الأمن الفلسطينية التي قادها صلاح خلف «أبو إياد» وخليل الوزير «أبو جهاد».

● الصهاينة يدرّبون الأمريكان على حرب المدن:

وتعود أخبار التسلّل الصهيوني إلى ما قبل الغزو الأمريكي البريطاني، حين نشرت صحيفة (هاآرتس) الصهيونية تقريراً يفيد أن القوات الأمريكية الغازية تستعين بخبرات صهيونية في فنون وأساليب حرب المدن وقمع المقاومة المسلحة إبّان الاحتلال، وفي هذا الإطار ألقى الكولونيل الصهيوني (موشيه تامير) قائد فرقة جولاني الصهيونية محاضرة على ضباط قوات المارينز الأمريكي تمحورت حول الدروس التي تعلّمها جيش الاحتلال الصهيوني من الصراع المسلّح مع حركات المقاومة الفلسطينية خلال انتفاضة الأقصى. وركزت محاضرة الكولونيل الصهيوني على عملية «السور الواقي» التي شنّتها قوات الاحتلال الصهيوني على الشعب الفلسطيني في إبريل ٢٠٠٢م، ومحاضرته كانت جزءاً من سلسلة محاضرات وتدريبات حول حرب المدن التي كانت تتوقعها القوات الأمريكية مع الجيش العراقي. وخلال أيام الحرب أعلنت القيادة العراقية أنها عثرت على بقايا صواريخ تخص الجيش الصهيوني، وهي إشارة واضحة تؤكد أن الدولة الصهيونية خاضت الحرب على العراق جنباً إلى جنب مع الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، فالعراق وإلى قبيل الغزو الأمريكي البريطاني كان يشكل تهديداً مباشراً للأمن الصهيوني الاستراتيجي، ويقف عقبة في وجه التفوق

العسكري للصهاينة، ويحول دون التوسع الجغرافي لدولة يهود الذين يحلمون بإقامة (إسرائيل الكبرى) التي حدودها من النيل غرباً إلى الفرات شرقاً، ومن جبال الأرز شمالاً في لبنان وحتى نخيل خيبر جنوباً في المملكة العربية السعودية، وهذا حلم إبليس في الجنة. ولا غرابة أن يسعى الصهاينة لقضم ما تيسر لهم من كعكة العراق حتى وإن تعثّر الأمريكان والبريطانيون في تثبيت أقدامهم على بلاد الرافدين جرّاء المقاومة المسلحة العراقية التي توالي تكبيدهم خسائر كبيرة وعلى رأسها حصد أرواح الجنود الأمريكان.

ونشرت صحيفة (جيروسالم بوست) في ١٥/٨/٢٠٠٣م تقريراً مفادُه أن جنوداً أمريكيين تلقّوا تدريباً في مدرسة مكافحة الإرهاب قرب «موديعين» في ضواحي القدس.

وتابعت «ذي تايمز» الموضوع وحصلت على تأكيد من الدكتور (تال توفي) - وهو خبير في حرب العصابات في كلية الأركان العسكرية في الدولة الصهيونية - بأن المارينز ووحدات جوالة في الجيش الأمريكي قامت بزيارات متكررة إلى الدولة الصهيونية للمشاركة في مناورات، وكان هناك تعاون وثيق على صعيد التكتيكات. وقال (تال توفي) في ١٩/٨/٢٠٠٣م: «لدينا خبرة كبيرة في حرب العصابات، وأظهر الأمريكيون اهتماماً خاصاً بثلاثة مجالات: استخدام مروحيات (أباتشي) لعمليات قتل مستهدفة، وحرب المدن، وكيفية القيام بعمليات عسكرية كبيرة في مناطق مكتظة بالسكان. نملك الكثير من الخبرة في هذا المجال».

● مسؤولون صهاينة يزورون العراق:

بتاريخ: ٢/٥/٢٠٠٥م أذاع راديو سوا (صوت أمريكا) خبراً مفادُه أن ثلاثة مسؤولين صهاينة دخلوا العراق بجوازات سفر تركية، وذلك للتحضير لوفود صهيونية أخرى للقاء رجال الدين اليهود هناك، وفحص حالة القبور والأماكن الأثرية اليهودية في كردستان والموصل.

● جريدة (هاآرتس) تكشف زيارة مساعد الجلبي للدولة الصهيونية واتصالات عراقية صهيونية:

وكان بعض المسؤولين العراقيين الجُدد مستعجلاً أكثر من اللازم في تنفيذ المخطط الصهيوني الأمريكي من احتلال العراق، فقد نشرت جريدة (هاآرتس) الصهيونية في عددها الصادر في ٤/٩/٢٠٠٤م تقريراً عن زيارة (مثال الآلوسي) مساعد أحمد الجلبي إلى الدولة الصهيونية لحضور ندوة عن (الإرهاب) أقامها مركز دراسات هرتزليا، وقد وصل (مثال) عن طريق تركيا، وكان يشغل وظيفة مدير ما يسمى بهيئة اجتثاث البعث التي شكّلها الحاكم الأمريكي السابق (بريمر) لفصل مئات الألوف من العراقيين من أجهزة الدولة ومحاربتهم في رزق عائلاتهم. وزعم (مثال) للجريدة أن الكثير من العراقيين يريدون إقامة علاقات دبلوماسية مع الدولة الصهيونية. وأضاف: «إن العديد من المثقفين العراقيين يدركون أن الدولة الصهيونية يجب أن تؤخذ بالاعتبار كحقيقة موجودة، وأن أجيالاً من الناس قد خُلقوا هنا، وأن من مصلحة العراق أن تكون له علاقات مع الكل وهو ما نريده».

● الحاكمون الجُدد في العراق راغبون في علاقات مع الكيان الصهيوني:

صحيفة (هاآرتس) الصهيونية نقلت في ٤/٩/٢٠٠٤م عن (صلاح الشيخلي) سفير بغداد في لندن قوله: «إن موضوع العلاقات الدبلوماسية مع الصهاينة سوف يبحث بعد الانتهاء من الانتخابات العامة في العراق». وأضاف (الشيخلي) في لقاء خصٍّ به مراسل الصحيفة الصهيونية في لندن (شارون ساديه): «إن مجموعة ضغط قوية من رجال الأعمال والمسؤولين السياسيين في العراق تعمل في بغداد من أجل إقامة علاقات دبلوماسية مع الدولة الصهيونية». وتابع (الشيخلي) حديثه قائلاً: «أنا لا أمانع شخصياً في إقامة علاقات دبلوماسية مع الدولة الصهيونية أو في قيام مواطنين صهاينة بزيارة العراق».

● الصهاينة يسيطرون على وثائق مخابرات النظام السابق:

بعد دخول القوات الأمريكية العراق بأيام، كان رجال الموساد ينامون في مقارّ خاصة بـ (حزب المؤتمر) في المنصور ببغداد، حيث كشف تقرير نشرته صحيفة عراقية تواطؤ المؤتمر مع الدولة الصهيونية في تنفيذ اغتيالات وسرقة وثائق حساسة جداً تخص النظام السابق من مبنى المخابرات، حيث كان نظام (صدام) يحتفظ فيها بوثائق حساسة جداً، وخصوصاً أرشيف جهاز المخابرات العراقية الذي جرى تخزينه على أسطوانات «سي . دي» خاصة. واتهم التقرير الجلبي بأنه ساعد الموساد على اقتحام متحف بغداد وسرقة مئات القطع الأثرية الثمينة والنادرة، وأن جزءاً من هذه الآثار موجود بالفعل في الدولة الصهيونية. وأفاد التقرير أن بين التاسع من أبريل سنة ٢٠٠٣م ويونيو من السنة ذاتها كان رجال الموساد ينامون في مقارّ خاصة بحزب المؤتمر. الأمر الخطير الآخر في التقرير المنشور كشف أن أرييل شارون وافق شخصياً على منح حزب المؤتمر مبلغ مليون ونصف المليون دولار شهرياً؛ دعماً لأنشطة الحزب

داخل العراق ضمن خطة معدّة لتجنيد سياسيين وقادة مجتمع لبناء ما يسمى النفوذ الصهيوني في هذا البلد العربي الكبير والحيوي. واتّهم التقرير الدولة الصهيونية بتقديم بعض الأسلحة إلى عناصر حزب المؤتمر وتدريب قسم منهم في معسكرات خاصة بالموساد في دول إفريقية، وأن البعض من هذه العناصر مجنّد في المخابرات الصهيونية بشكل مؤكد.

● كوماندوز صهاينة يقتلون علماء عراقيين:

وفي هذا السياق كشف جنرال فرنسي متقاعد عن وجود (١٥٠) من وحدات الكوماندوز الصهيونية داخل العراق؛ لاغتيال العلماء الذين وردت أسماؤهم في قوائم مفتّشي الأسلحة الدوليين! وقال الجنرال الفرنسي المتقاعد - في تصريحات لقناة التلفزة الفرنسية الخامسة يوم ٨ أبريل ٢٠٠٤م -: «إن أكثر من (١٥٠) جندياً صهيونياً من وحدات الكوماندوز دخلوا الأراضي العراقية في مهمة تستهدف اغتيال العلماء العراقيين، الذين كانوا وراء برامج التسلّح العراقية، وقُدّمت أسماؤهم إلى لجنة مفتشي الأسلحة الدولية برئاسة (هانز بليكس)». وقال الجنرال الفرنسي: «إن مخطط الاغتيال هذا تمّ وضعه من قِبَل مسؤولين أمريكيين وصهاينة، وأن لديه معلومات دقيقة بوجود الكوماندوز الصهاينة داخل العراق حالياً، بهدف اغتيال العلماء العراقيين الذين كانوا نواة برامج التسلّح الصاروخي والنووي والكيماوي، التي أرعبت الدولة الصهيونية، وعددهم - حسب الجنرال الفرنسي - قرابة ثلاثة آلاف و (٥٠٠) عالم عراقي عالي المستوى، من بينهم نخبة تتكون من (٥٠٠) عالم عملوا في تطوير مختلف الأسلحة، وهذه النخبة هي المستهدفة من العمليات الصهيونية بالدرجة الأولى».

● طالباني يدعو رجال أعمال الدولة الصهيونية للاستثمار في العراق:

ونشرت (القدس العربي) خبراً من مراسلها في فلسطين المحتلة، أن الرئيس العراقي جلال طالباني قال في مقابلة خاصة بثّتها القناة الثانية للتلفزيون الصهيوني أن التقدّم في العملية السلمية بين العدو الصهيوني والفلسطينيين سيفتح الباب على مصراعيه لإقامة علاقات بين تل أبيب والعراق. واعتبر طالباني أنه لا توجد عداوة بين العراق والدولة الصهيونية.

وأضاف أن العراقيين لا يريدون أن يكونوا فلسطينيين أكثر من الفلسطينيين أنفسهم. أما حول الاستثمار الصهيوني في العراق فقال طالباني: إن بلاده مفتوحة أمام رجال الأعمال الصهاينة، وأنه يرحب بكل مبادرة منهم لفتح باب التبادل التجاري مع العراق بصورة علنية، ووجّه لهم دعوة رسمية إلى استثمار أموالهم في العراق.

● (المصافحة) العراقية الصهيونية هل كانت مفاجأة عابرة حقاً؟!

من ناحية أخرى، تصافح وزير الخارجية العراقي (هوشيار زيباري) ووزير البنية التحتية الإسرائيلي (بنيامين بن أليعازر) على هامش المنتدى الاقتصادي للشرق الأوسط في الأردن. وقد تقدّم (بن أليعازر) من (زيباري) في أحد الممرات بين قاعات المنتدى، وقال لهوشيار بالعربية: «أنا عراقي.. شلونك؟». وردَّ عليه وزير الخارجية العراقي بالإنجليزية قائلاً: «أنا بخير»، ثم قال بالعربية: «الحمد لله». وفي تصريحات لاحقة لـ (الشرق الأوسط) نفى (زيباري) أن تكون المصافحة مرتبة، وأكّد أنها لا تمثل موقفاً سياسياً من قِبَل الحكومة العراقية، وشدّد على أنه لا توجد ترتيبات لأيّ لقاءات مستقبلاً.

● ضباط صهاينة يعملون بمعيّة الجيش الأمريكي في العراق:

كشفت إحدى الصحف الصهيونية أن الجنرال (أهارون زئيفي فاركاش) رئيس قسم المخابرات العسكرية الصهيونية يعمل مستشاراً لدى قائد القوات الأمريكية في العراق الجنرال (كيسي)، وأن هذا العمل طبيعي في أعقاب إرسال الرئيس بوش لعدد من الضباط الأمريكيين إلى الدولة الصهيونية لتبادل الخبرات والتدريب من أجل ضبط الحرب في العراق. وكانت «المؤسسة اليهودية للشؤون الاستراتيجية» في مقدّمة من عرض على بوش مقترحات تدعو إلى الاعتماد على الخبرة الصهيونية، وحددت له أسماء بعض الضباط المهمين لمساعدته في الحرب على العراق منذ بدايتها وحتى الآن.

واعتبر التحليل المنشور أن إدارة بوش والمحافظين الجُدد المتشددين داخلها وجدوا أن اليهود الأمريكيين أو الصهاينة لديهم دوافع أكثر من الأمريكيين في تحطيم الإرادة العراقية خصوصاً إذا ما كانوا قد اطلعوا على ما قالته التوراة حول سبي اليهود إلى بابل قبل ما يزيد عن ألفي عام، ولذلك يكشف التحليل أن (تومي فرانكس) القائد الأعلى السابق لقوات الإحتلال في العراق من أصل يهودي روسي، وهو من الجيل الثاني الذي نشأ صهيونياً متشدداً، وأن الجنرال الأمريكي (ريتشارد ناتونسكي) القائد العسكري الذي تولّى مهمة الهجوم المكثف على الفلوجة من الصهيونيين اليهود القادمين من أوكرانيا. ويذكر أن (ناتونسكي) قال: «إن الفلوجة سرطان،

فالمسلمون فيها يستخدمون المساجد والمدارس لنصب الكمائن لقوات المارينز، ولذلك وجدنا في كل مسجد مخزن سلاح ومصنع متفجرات ووسائل قتالية». وكشف - أيضاً - أن العقيد الصهيوني (نوعام تيفون) شارك في تدريب عدد من ضباط وجنود المارينز على اقتحام مداخل مخيم يضم بعض المساجد بعد مناورة مع الجيش الصهيوني انطلقت من نيتسانيم قرب قطاع غزة. وفي المعارك التي جرت في الفلوجة استعانت القوات الأمريكية - بموجب المصادر نفسها المذكورة - بعقيد من الجيش الصهيوني هو (إيغئال شارن) ومعه (٨٠٠) من قوات الكوماندوز الصهيوني. وذكرت المصادر أن العقيد (إيغئال شارن) قال: «إن الأمريكيين تبدو عليهم السذاجة تجاه حداثة المعركة ضد المقاتلين المسلمين، ولذلك شعروا بالامتنان لشركائهم الصهاينة».

● **أصابع الموساد في تعذيب العراقيين في أبو غريب:**

وفي سجن (أبو غريب) - الذي شهد أسوأ أنواع التعذيب الجسدي والنفسي التي مُورست على المعتقلين العراقيين بعد الاحتلال - فإن الأصابع الصهيونية ظهرت واضحة في الأساليب التي كشفت عنها الصحافة ولجان التحقيق الأمريكية نفسها حول ما جرى في ذلك السجن. ولا تستبعد مصادر الأنباء وجود أصابع لـ (الموساد) الصهيوني (جهاز التجسس والمهام الخاصة الصهيوني) في عدد من العمليات التفجيرية التي نسبتها الولايات المتحدة للمجموعات الأصولية الإسلامية المسلحة منذ التسعينيات من القرن الماضي حتى الآن.

● **العدو الصهيوني: (قواتنا في العراق):**

صحيفة (معاريف) الصهيونية كتبت تحت عنوان (قواتنا في العراق) بقلم الكاتب الصهيوني (بوعز غاوون) الذي قال فيه: «إن الدولة الصهيونية دخلت العراق لتأخذ حصتها»! واللافت أن أكثر الجهات التي تقوم بفضح وكشف مثل هذا التواجد هي الجهات الصهيونية وعلى مختلف مشاربها، وقد تكون الصحافة الصهيونية واحدة من هذه الجهات، وبدءاً من صحيفتي (معاريف) و (هاآرتس)، وانتهاء بصحيفة (إيديعوت أحرونوت) التي ذكرت في تقرير لها أن (٨) خبراء صهاينة يعملون الآن في العراق للمساعدة على إعادة بناء البنية التحتية للبلاد. ويشارك الخبراء الثمانية (حسب الصحيفة) - الذين توجهوا إلى العراق بدعوة من أمريكيين - في برنامج عام لإعادة إعمار أحد مجالات البنية التحتية، وقالت: إن وصولهم كان بالتنسيق مع الحكومة العراقية. كما يشارك في البرنامج عديد من الشركات والمؤسسات الصهيونية الخاصة التي تعمل في مجال تصنيع الأجهزة التقنية والنظم المتطورة. ونقلت الصحيفة عن أحد المسؤولين في الوفد الصهيوني قوله: «إن النشاط الحالي هو ثمرة جهود سرية، وإن أول اتصال بين السلطات الصهيونية والعراقية تمَّ من خلال وساطة دولة شرق أوسطية ولكنه لم يكشف عنها».

ولم تقتصر متابعة أخبار التواجد والتغلغل الصهيوني على الصحافة الصهيونية وحسب، وإنما اهتمت بذلك صحافة الدول الإقليمية، حيث ذكرت صحيفة (جمهوريت) التركية بتاريخ ١٨/١١/٢٠٠٤م من خلال تقرير لها في الموضوع نفسه، يؤكد على أن النشاطات والفعاليات الصهيونية مستمرة في شمال العراق منذ عام ١٩٩٣م، وتريد الدولة الصهيونية من ذلك تأمين خط أنابيب بترول من شمال العراق إلى حيفا في فلسطين المحتلة، وتشغيله بأسرع وقت ممكن؛ لزيادة القوة الاقتصادية للدولة الصهيونية، ولهذا قامت الدولة الصهيونية بشراء أراضٍ في مدينة كركوك بمساحة ستة آلاف دونم، إضافة إلى شراء خمسمائة منزل في مدينة الموصل، وألفي دونم وثلاثين مبنى في أربيل، ولقد حصلت الدولة الصهيونية على بعض المساعدات من اليهود الأتراك في منطقة شمال العراق حسب تقرير الصحيفة التركية.

وإذا كان العديد من الحقائق قد أكدت على الدور الصهيوني في العراق، الذي ارتدى لبوسات مختلفة، فإن معركة الفلّوجة قد كشفت الدور العسكري للكيان بعد أن اعترفت المصادر الصهيونية أن عدداً من الجنود اليهود من حملة الجنسيتين الصهيونية والأمريكية قُتلوا في الهجوم الأخير على مدينة الفلوجة، إذ قالت صحيفة (هاآرتس) في ٢١/١١/٢٠٠٤م على لسان أحد كبار الحاخامات اليهود في القوات الأمريكية في العراق: إن المقاومة العراقية تمكنت من قتل ضباط وجنود يهود أمريكيين في الفلوجة، وأكّد على ذلك مراسل الصحيفة المذكورة

في نيويورك وعلى لسان الحاخام (آرفننج آلسون) وهو برتبة رائد في الجيش الأمريكي حيث قال الأخير: «إن هناك العديد من اليهود قُتلوا في المعارك الأخيرة في الفلوجة، ومنهم: المقدَّم (آندي شتيرن) ويعمل في سلاح المدفعية، وجرى دفنه في المقبرة العسكرية الأمريكية في «آرلينغتون» في أمريكا، ومنهم - أيضاً - (ماك أفين) وهو قناص يهودي وحفيد أحد الحاخامات الكبار في أمريكا». وكشف الحاخام في كلمته التي نشرتها صحيفة (هاآرتس) عن وجود عدد كبير من الجنود اليهود في الجيش الأمريكي، معظمهم يعملون في القنص، وتتراوح أعمارهم بين (١٨ و١٩) عاماً، منهم مجندات يهوديات. ودعا الحاخام عائلات الشباب اليهودي الأمريكي إلى إرسال أبنائهم إلى العراق للحرب ضدّ من أسماهم أعداء الدين اليهودي، معتبراً أن القتال ومساعدة الأمريكان في العراق أفضل كثيراً من العمل الديني في المعابد اليهودية. وكشف الحاخام (آرفننج) عن عدد الجنود اليهود في العراق قائلاً: «إنهم حوالي (١٠٠٠) جندي، منهم بعض الضباط العاملين في الجيش الأمريكي».

● تحطم طائرة نقل عسكرية صهيونية أثناء هبوطها في مطار حرير:

في ١١/٩/٢٠٠٥م وفي إطار السعي الصهيوني المحموم لبناء جيش انفصالي كردي في شمال العراق، تحطمت طائرة شحن صهيونية محملة بمعدات عسكرية وأسلحة مرسلة من الدولة الصهيونية إلى الميليشيات الكردية أثناء هبوطها في مطار حرير الذي طوّره خبراء صهاينة ليكون بمقدوره استقبال الطائرات ذات الحمولة الثقيلة. المصادر الكردية المسؤولة عن هذه العملية تفرض تكتُّماً شديداً على مثل هذا النشاط خشيةَ ردة الفعل الغاضبة من العناصر الكردية الوطنية المغيبة من قيادات الأحزاب الكردية المتواطئة بالتنسيق المباشر مع الموساد الصهيوني.

إن معسكرات تدريب عديدة أقيمت في المنطقة الكردية بشمال العراق، بإدارة وإشراف خبراء صهاينة، الذين يقومون بتدريب الآلاف من الأكراد بشكل علني.

ونقلت مصادر خاصة أن وحدات عسكرية صهيونية قوامها ثلاثمائة عنصر وصلت بداية أغسطس الماضي إلى المنطقة الكردية، في إطار خطة لتشكيل جيش كردي بتدريب صهيوني، ووقّع قادة الأكراد على اتفاقيات مع الدولة الصهيونية تقوم تل أبيب بموجبها ببناء مطارات مدنية وعسكرية ومستودعات للأسلحة ومعسكرات للجيش الكردي الذي يقوم خبراء صهاينة بتدريبه والإشراف عليه وتشكيله. وذكرت المصادر أن النفوذ والتغلغل الصهيوني لم يعد يقتصر على إقامة مكاتب التجسس ومحطات التنصّت والتجنيد، بل امتدّ ليشمل كافة المرافق وبشكل خاص إنشاء جيش كردي. وقالت المصادر: إن شحنات من الأسلحة دفعت بها الدولة الصهيونية إلى المنطقة الكردية وهي بداية لعملية تسليح صهيونية للجيش الكردي، في حين حصلت شركات عسكرية ومدنية صهيونية على عقود استثمار متنوعة في كردستان العراق. وأكدت المصادر أن الزيارات المتبادلة بين القادة الأكراد والمسؤولين الصهاينة لم تتوقف، بل ازدادت وباتت الحركة نشطة بين أربيل وتل أبيب. وهناك ضباط من البشمركة (الميليشيا الكردية) يتلقون تدريبات عسكرية في مراكز تدريب داخل الدولة الصهيونية. وقالت المصادر: إن شحنات من الأسلحة دفعت بها الدولة الصهيونية إلى المنطقة الكردية وهي بداية لعملية تسليح صهيونية للجيش الكردي، في حين حصلت شركات عسكرية ومدنية صهيونية على عقود استثمار متنوعة في كردستان العراق، وأكدت المصادر أن الزيارات المتبادلة بين القادة الأكراد والمسؤولين الصهاينة لم تتوقف، بل ازدادت وباتت الحركة نشطة بين أربيل وتل أبيب. وهناك ضباط من البشمركة (الميليشيا الكردية) يتلقون تدريبات عسكرية في مراكز تدريب داخل الدولة الصهيونية.

لا شك أنه لا شيء يسير مصادفة فيما يتعلق بالمخطط الأمريكي - الصهيوني لإعادة فكّ وتركيب العالم العربي والإسلامي بما يخدم المصالح الصهيونية، ولا شك أن هدف الحرب الأمريكية على العراق ليس فقط امتصاص دم (بترول) العراقيين، ولكن - أيضاً - تأمين الجبهة الشرقية للدولة العبرية من الخطر العراقي الذي كان يقضّ مضاجع الصهاينة، وقلب العداء العراقي ضد الصهاينة إلى علاقات دبلوماسية بين البلدين رغماً عن أهل العراق. فقد كانت مفاجأة غريبة أن يعلن (جروسمان) - المسؤول عن وضع خطة سيناريو المستقبل بالنسبة للعراق - أن إقامة العراق علاقات دبلوماسية مع الدولة الصهيونية دليل على ديمقراطية هذه الدولة العراقية المستقبلية! والأغرب أنه رغم أن الكعكة العراقية لم تنضج، ولا تزال في فرن المحرقة العسكرية الأمريكية، إلا أن الصهاينة وأعوانهم في البيت الأبيض قد شرعوا في تحديد نصيبهم منها، خاصة نفط العراق.

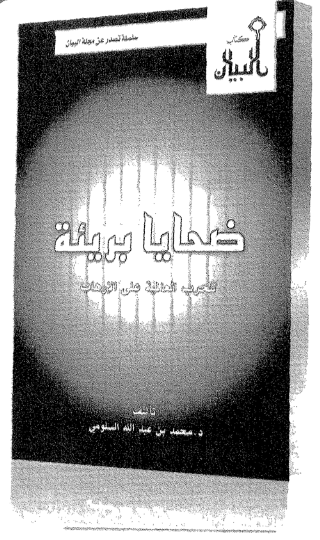
وفي الختام: أقول للمسلمين وخصوصاً الغافلين منهم عمّا يُحاك ضدهم: متى تكون الصحوة؟ ومتى يكون الانتباه؟!

مشروع النصـ٢ـرة

والـــذي نستهدف فيه نشر ما يزيد عن



على أكبر عدد من المفكرين وأصحاب الرأي في العالم العربي والإسلامي



الغـرب يظـهر الحقيقة حول الافتراءات على مؤسساتنا الخيرية

للمبيعات والتوزيع الخيري :

٤٥٤٦٨٦٨
تحويلة
٥٠٠ - ٥٠٣

الرياض ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢
٠٥٠٦٤٦١٠٦٥
٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥
٠٥٠٢٢١٠٩٢٠
٠٥٠٣٤٠٩٨١٦
الغربية ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧
٠٥٠٧٢٦٦١٢٠
الشرقية ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩
القصيم ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦
٠٥٠٤٩٦٨٣٣٦
الجنوبية ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨

أو الايداع في
حساب مجلة البيان
١٦٦٦٠٨٠١٠٠٨١٨٢٦
شركة الراجحي المصرفية للإستثمار



الانتخابات النيابية والبلدية في موريتانيا

أحمد ولد محمد ذو النورين

يصل عدد سكان موريتانيا (بلاد الشنقيط) قرابة ثلاثة ملايين نسمة، يسكنون في مساحة قدرها ٤١٩٢١٢ ميلاً مربعاً وهو ما يعادل (١٠٣٧٥٠٠ كلم²).

يتكون النسيج الاجتماعي الموريتاني في معظمه من القبائل العربية (٤/٥)، وبعض المجموعات العرقية (الزنوج)، وقد ظلت اللُّحمة قوية بين فئات هذا المجتمع المسلم رغم التعدد العرقي، وذلك للرباط الإسلامي الذي يدين به الجميع.

مع بداية القرن العشرين الميلادي تم احتلال موريتانيا من قِبَل الاستعمار الفرنسي الذي انتهج كافة السبل لقطع صلتها بالإسلام، وعمل على إذكاء جذوة الأعراق، والعزف على وتر القوميات... تجسيداً لسياسة السيادة على حساب التشتت.

لم يتمكن الفرنسيون من تحقيق مآربهم وإن أحرزوا بعض النقاط على الطريق.

بعد ثلثي قرن من السيطرة الاستعمارية رحل الاستعمار في الظاهر، وترك ممثلين مظهرهم المواطنة ومخبرهم العمالة، كما هو الشأن في جل البلاد الإسلامية التي رزحت تحت نير الاستعمار، ورغم أولئك فإن الهوية الحضارية للبلد ظلت راسخة أمام عواصف التغريب.

بعد ما يناهز العقدين من حكم المدنيين لموريتانيا كانا من أكثر فتراتها استقراراً دخلت البلاد سلسلة انقلابات كان أسوأها من حيث الخطر الفكري والأيديولوجي على المجتمع؛ ذلك الانقلاب الذي جاء بولد الطايع سنة ١٩٨٤م إلى سدة الحكم.

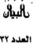
منذ وصول ولد الطايع إلى السلطة طفق يبذل قصارى جهده من أجل بتر أي صلة للمجتمع الموريتاني بالإسلام، وقد عمل ذلك بشكل مؤسَّس ومنظم تدعمه رياح العولمة المشؤومة.

فبادر بالعلاقة مع الكيان الصهيوني، وعمل على فرنسة التعليم، وغيَّر المناهج، وأغلق المعاهد الإسلامية، وغيَّب العلماء والدعاة في غياهب السجون، وسن قانوناً لتعطيل المساجد، واستخف بشعبه واستهزأ بالإسلام وحَمَلَته.. وعادت البلاد إلى أجواء الانقلابات من جديد حتى كادت بلاد شنقيط بعد أن كانت تعرف ببلاد المليون شاعر تتحول إلى بلاد المليون انقلاب (كناية عن كثرتها).

و في غمرة ذلك جاء انقلاب الثالث من أغسطس/ آب عام ٢٠٠٥م بزعامة أحد ركائز النظام السابق.. عاش الناس في اللحظات الأولى لهذا الانقلاب فرحة عارمة دون أن يهتموا بما ستؤول إليه الأمور؛ لأنهم يرون أن مجرد التخلص من ولد الطايع ونظامه يعد إنجازاً لا نظير له.

وفور مجيء المجلس العسكري أطلق وعوداً بإرساء الديمقراطية من خلال إجراء انتخابات نزيهة وشفافة.. وهو الأمر الذي دفع الفرقاء السياسيين إلى الدخول في حلبة سباق محموم مدفوع بجملة من القناعات والمصالح والآمال المشوبة بالحذر، يريد كل امرئ منهم أن يجد موطئاً في هرم السلم.

لقد خطا المجلس العسكري بعد الانقلاب خطوات جيدة على طريق الإصلاح، سوى أن تلك الخطوات ظلت تعاني من



ملحوظات خطيرة عدة، كان من أهمها:

■ الاحتفاظ بمجموعة من السجناء الإسلاميين لأسباب لا تمت إلى إقامة الحق والعدل بصلة.

■ تأكيد هذا المجلس العسكري على لسان رئيسه في كل مناسبة - من غير حياء - على أهمية العلاقة مع الكيان الصهيوني، ودفاعه المستميت عن تلك العلاقة معه، والتي تعد وصمة عار في جبين كل الوعود والإنجازات؛ وبخاصة أنها كانت قد اتخذت منعرجاً خطيراً في أيام ولد الطايع؛ حيث وصلت إلى توقيع بروتوكولات بين تجار موريتانيين والصهاينة كما وقع بين أحد البنوك الموريتانية والصهيونية.

رغم تلك المآخذ بدأت البلاد تستعد لاستقبال سلسلة من الاستحقاقات الانتخابية في سابقة لم تشهد مثلها؛ إذ تجاوزت اللوائح البلدية ٢٠٠ لائحة، وقاربت النيابية ٤٥٠ لائحة، في خطوة تكتسي أهمية كبيرة على مستوى التربية السياسية والتعاطي مع الجو الديمقراطي، في تحد للثقافة التقليدية وجفاء الصحراء والتمايز الطبقي وأمواج المعاناة العاتية.

إننا في هذا السياق - لا نزكي الديمقراطية أبداً - بل نراها إيديولوجية أرضية الابتكار، وثنية المنشأ، دنيوية الأمل، علمانية المحضن، غربية المنطقة، نصرانية الحماية، قائمة على الكيل بمكاييل متعددة، وهي قبل هذا وذاك من تشريع البشر وتجسيد لحاكمية غير الله.

إلا أننا نرى أن ترك الحرية للناس في مسؤولياتهم عن شؤونهم ومشاركتهم في واقعهم يعتبر أقل شيء في حقهم.

ظل الموريتانيون يتوقون إلى أي شيء يجدون من خلاله متنفساً بعد عقدين من حبس الحريات ومصادرة الآراء وفشوّ الاستبداد وانتشار الظلم وقتامة الظروف وسوء الأحوال.

بدأ المجلس العسكري مساراً إصلاحياً حامت حوله شُبَهٌ كثيرة، لما اعتوره من انتقادات حادة، ظلت تصدر بين الفينة والأخرى من مختلف الفرقاء السياسيين فساءت الظنون... ورغم ذلك وُجدت إصلاحات سياسية تمثلت أهم محطاتها فيما يلي:

■ تعديل الدستور بشكل يسمح بتحديد الفترة الرئاسية مرة واحدة.

■ إصلاح الإعلام وإلغاء المواد المقيدة لحرية الصحافة.

■ سن رزمة من القوانين تجسد أهمها في القانون الانتخابي ونظام الترشح.

وكان أغرب النظم تلك: تخصيص (٢٠٪) من المقاعد البرلمانية للنساء، ذلك النظام الذي هو تحقيق لنبوة المصطفى ﷺ كما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم...».

إن نظام (الكوتا) النسوية هذا موغل في التقليد الأعمى للديمقراطيات المصطنعة في البلدان المتخلفة، وهو في واقع الأمر ليس إلا قراراً ارتجالياً استباقياً سينتج بتطبيقه في الغالب انتخاب نوعية من النساء، ضاربة أطنابها في الأمية الدينية، قاصرة عن تدبير شؤونها الخاصة وبالأحرى القضايا العامة، وقد عُد هذا القرار مأخذاً على هذه الانتخابات، وأثار حفيظة الأحزاب السياسية التي لم تجد بداً من التسليم به.

فالمتابع للواقع الموريتاني له أن يتساءل - نظراً لتواضع التجربة الدستورية وبساطتها - عن حقيقة إمكانية الانتقال إلى نظام تسوِّقه نخبة تمتلك القدرة على إنجاز برامج إصلاحية من شأنها النهوض بالمجتمع على كافة الأصعدة.

ذلك التساؤل المستشرف لحقيقة تلك الوعود التي ظلت تحوم حول الوفاء بها شكوك جمة، زادت من تلهف الناس إلى خطوة إقامة انتخابات بلدية وتشريعية حرة ونزيهة، وضاعفت من تَوَقانهم إلى تلك الانتخابات بقدر كبير من الاهتمام والترقب، فغدا كثيرون يتطلعون بشغف بالغ إلى ما ستؤول إليه هذه الانتخابات، باعتبارها المحك الحقيقي والمسار الرئيس الذي يتيح فرصة الحكم على أهم وعود المجلس العسكري، الذي أنشأ هيئة مستقلة تم اختيارها بالتشاور مع مختلف الشركاء السياسيين، وظيفتها الإشراف على الانتخابات المذكورة، كما التزم بفتح المجال أمام مراقبين محليين ودوليين. وقد وفَّى المجلس بما وعد، فتم الاقتراع في موعده المحدد (١٩ نوفمبر ٢٠٠٦م)، وجاء أهم ما تميزت به على النحو التالي:

■ فجاء الحياد التام من قِبَل الإدارة والعسكر في عمليات الاقتراع كافة من في الميدان، وأجمعت ألوان الطيف السياسي أن العملية جرت بنزاهة وشفافية، ولم يسجل تدخل مؤثر من قِبَل الجهات الحكومية في سير الانتخابات التي لم تترشح فيها أي شخصية رسمية، وإن سعت فلول من بقايا النظام السابق إلى إشاعة مسلكيات غير متحضرة كالخروقات التزويرية واللعب على عقول الناخبين من خلال الإشاعات المغرضة والضغوط المادية والمعنوية، وهو الأمر الذي كان مبرراً آخر للتخوفات السابقة والتي سبقت الإشارة إلى أنها نشأت لدى الأحزاب بعد ترشحات بعض المستقلين، الذين كانوا قد أذهلوا المشهد السياسي بتسارع استقالاتهم من الأحزاب وخاصة الحزب الحاكم سابقاً، وسابقوا إلى الترشح كمستقلين.

■ لقد انجلى واقع كثير من الأحزاب التي بلغت (٢٥ حزباً)، واتضح أن بعضها ليس سوى حوانيت تجارية تفتقر إلى القواعد الشعبية، ذلك ما أبرزته نتائج الاقتراع، مما يعطي انطباعاً بأن الجدير بالبقاء من هذه الأحزاب أقل من النصف.. تلك الأحزاب التي تبوأت من النتائج صدارتها وهي:

- حزب التكتل: بقيادة أحمد ولد داده، ويعد من أهم وأعرق

أحزاب المعارضة ـ التحالف الشعبي ويرأسه (مسعود بن بلخير) هذا الحزب الذي يقال إنه قام على زواج بين الشرعية الناصرية (القوميين) وشعبية الحراطين (الزنوج)!.

ـ **الإصلاحيون الوسطيون:** وهم كتلة سياسية تمثل تيار الإسلاميين، الذي لم يسمح له بإنشاء حزب، فعمل تحت مظلة مستقلة شبيهة بالحزب السياسي.. هذه الجماعة التي تتهمها جهات متنافسة معها في الميدان السياسي باستغلال الدين لمصلحة السياسة، وتنبزها جهات سلفية بالخضوع للعمل الاستبدادي، والتشنيع على المجاهدين والرضى بتحكيم شرائع من عمل البشر، سوى أن بعضهم يردُّ بأن الإسلام سياسة، وأن الجهاد يحتاج إلى دعوة بالحسنى تصاحبه، وحوار مرن يتم في ظله إبرام معاهدات مع العدو.

ـ **الحزب الجمهوري:** وهو الممثل لكتلة السياسيين من بقايا نظام ولد الطايع، والمزوَّرين خلف النهج الليبرالي المتربص بالإسلام، هذه الكتلة مدعومة من قِبَل رجال أعمال ومتنفذين ووزراء سابقين.

ـ **حزب حاتم:** الذي يعتبر امتداداً لحركة فرسان التغيير، وأغلب قادته من العسكريين الذين حاكمهم ولد الطايع إثر محاولاتهم المتكررة للإطاحة بنظامه، وهو برئاسة صالح ولد حننّ، وقد حقق هذا الحزب رغم حداثة نشأته مساحة من الثقة لا يستهان بها، خاصة لدى الشباب والطبقات الفقيرة في مناطق من البلاد.. وهناك أحزاب أخرى.

ومن الملاحظ أن نطاق الترشحات في هذه الانتخابات قد اتسع بشكل لافت للنظر؛ حيث فاق عدد المترشحين كل التوقعات، فتم إيداع (٤٤١) قائمة انتخابية للتنافس على مقاعد الجمعية الوطنية البالغ عددها (٩٥) مقعداً، موزعة بين لوائح حزبية وصلت (٢٦٠)، و (١٢٤) قائمة مستقلة، و (٣٢) وطنية. أما عدد الترشحات للمجالس البلدية فقد وصل (١٢٦٤) لائحة حزبية ومستقلة أو متحالفة للتنافس على (٢١٦) بلدية.

رغم حياد الإدارة وشفافية الانتخابات فإن التحالف القبلي والحضور النسبي لأصحاب النفوذ التقليدي كان له بعض الأثر خاصة في المناطق النائية.

لقد وصلت نسبة المشاركة في هذه الانتخابات زهاء (٧٥٪)، وهو أمر مثير للانتباه، والراجح أنه يعود ولو جزئياً إلى كثرة المتنافسين، كما اتسمت أجواؤها بالهدوء، ولم تسجل فيها حوادث أمنية، ولم تستغل فيها وسائل الدولة كما كان يحدث أيام ولد الطايع.

■ جاءت نتائج هذه الانتخابات قلباً للمعادلة السياسية، حيث تبوأت أطراف معارضة هرم الاستحقاقات بعد أن ظلت تعاني من التهميش والإبعاد، في حين تقهقر الحزب الجمهوري الذي جثم على زمام السلطة قرابة العشرين سنة استأثر خلالها بكل مقدرات البلاد، ودأب على نشر الظلم والفساد.

■ تميزت هذه الانتخابات بالمشاركة المعتبرة للإصلاحيين الوسطيين (الإسلاميين) خاصة في العاصمة نواكشوط التي فازوا في ثلاث من أكبر مقاطعاتها التسع، وأخذوا مقعداً من مقاعد نوابها الأحد عشر، واحتلوا المرتبة الثالثة فيها بعد أكبر حزبين معارضين هما حزب التكتل والجمهوريين.

لقد تميزت هذه الانتخابات بغياب أغلبية لأي حزب، نظراً لتشرذم الأصوات بين الطوائف المتعددة والأطياف المختلفة، مما ينذر بوجود صعوبة بالغة في تشكيل حكومة منسجمة، واستحالة قيام حكومة ذات قرار مركزي.

إن مرور هذه الانتخابات بشكل نزيه وشفاف فتح آفاقاً واعدة، وأعطى انطباعاً جيداً عن وفاء المجلس العسكري بالتزامه، كما نزع جزءاً من الغشاوة التي دارت حول وعوده، بعد الشُّبَه التي أثيرت تجاه تصرفات رأى فيها بعضهم تحيزاً وتملصاً من الضمانات.

وجاءت هذه الانتخابات تعبيراً عن مستوى نضج النخبة السياسية الموريتانية، كما أنها بعثت آمالاً وأومضت إشارات اطمئنان لما سيكون عليه النزال الرئاسي بعد أربعة شهور.

إن الأمل كبير في ظل ما تم من إنجازات لحلحلة بعض النقاط التي لا تزال محتاجة إلى التسوية من قِبَل المجلس العسكري، كما هو الشأن بالنسبة لملف الإسلاميين المعتقلين دون تقديمهم للمحاكمة، وكذلك الإصرار الفج على العلاقة المقيتة مع الكيان الصهيوني.

لكن السؤال الذي يبقى عالقاً مفاده: هل الديمقراطية بقضها وقضيضها وأيديولوجيتها في مصلحة هذا الشعب المسلم المسالم ذي النسيج الاجتماعي المتنوع؟

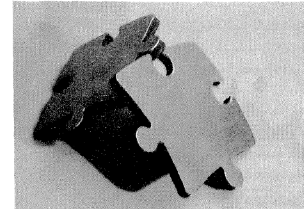
أم أن العودة إلى الإسلام الصحيح في شوريته وتطبيقاته السبيل الأمثل والمنهج الأكمل الذي ضمن خلال قرون آصرة هذا المجتمع في أبهى صورها ونقائها، وفي أكثر عصوره رفاهاً وازدهاراً؟

وهو الوحيد (الإسلام) القادر على منحه تلك الصورة في حركته الحضارية الحديثة.

إن في الإسلام حرية مؤطرة بالعبودية لله وحده، ومساواة لا نظير لها، وعدالة لا يشوبها ظلم، وإنصافاً لا يخالطه حيف.

فبه تمام النعمة وكمال السعادة، وهو هداية وبشرى. قال ـ تعالى ـ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وقال جل شأنه: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.
[المائدة: ١٥ ـ ١٦]





حسن الحكيم



وعبد العزيز نصر الله!

أحمد فهمي

المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، وحزب الله في لبنان، ظاهرتان جديرتان بالدراسة والاعتبار، فكلٌّ منهما يمثِّل بحاله نهجاً مستقلاً في الخطاب والأداء والأثر، ورغم اختلافهما في ذلك إلا أنهما يتكاملان على نحو مدهش، وربما تزول الدهشة لو تناولنا ما يتفقان فيه قبل المختلف.

حزب الله والمجلس الأعلى هما أبرز منظمتين شيعيتين عربيتين تعتنقان مبدأ ولاية الفقيه على الطريقة الإيرانية، وكلاهما يعتبر مُرْشد إيران مرجعهم في التقليد.

وقد تأسس الحزبان في نفس العام ١٩٨٢م، وأشرف على تأسيسهما الحرس الثوري الإيراني برعاية الخميني، ولكل منهما جناح سياسي وآخر عسكري.

أما ما يختلفان فيه أو بالأحرى يتكاملان، فهو الخطاب والأداء، فالمجلس الأعلى - الذي يرأسه حالياً عبد العزيز الحكيم - يتم إبرازه على أنه زعامة سياسية عراقية مقبولة دولياً، فهو بالأساس مبرمج دولياً، وبالأخص فيما يتعلق بالولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، ومرفوض شعبياً لدى الرأي العام العربي، ولذلك ليس غريباً أن يتم استقباله في البيت الأبيض وكأنه زعيم دولة.

بينما سبقه هادي العامري قائد فيلق بدر وسفاح العراق الأكبر إلى زيارة بريطانيا، حيث التقى مسؤولين في حكومة طوني بلير، وعقد ندوة في البرلمان البريطاني.

أما حزب الله فقد تمت برمجته شعبياً، أي: اختراق الرأي العام العربي، ولذلك أصبح مقبولاً من فئات عربية كثيرة، لكنه مرفوض دولياً، ولنتأمل الموقف الأمريكي المتناقض من كلا الحزبين رغم معرفة الأمريكيين أنهما وجهان لعُمْلة واحدة تصدر في طهران.. الا يُعدّ ذلك نجاحاً لافتاً للمخطط الإيراني؟!

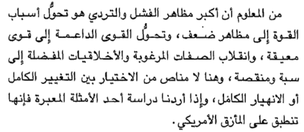
ومن علامات التناقض الأمريكي في المستنقع الإيراني - أيضاً - أن الحكيم يطالب بوش صراحة بعدم سحب القوات الأمريكية من العراق، بينما يقيم نصر الله لبنان ولا يقعدها ضد حكومة يعتبرها مواليةً للبيت الأبيض، وفي العراق يرفض الحكيم تماماً مناقشة اقتراح السنَّة إقامة حكومة وطنية، في حين يعتبر نصر الله هدفه الأول في معركته السياسية الأخيرة: إقامة حكومة وحدة وطنية، بينما لا يزال العرب يراوحون ويريحون أنفسهم بالتحذير من الهلال الشيعي الذي أوشك أن يصبح بدراً مكتملاً.

وفيما يتعلق بالخطاب، فإنه يجب أن نثبت تفوق نصر الله في هذا المضمار بمراحل على عبد العزيز الحكيم، فرغم ازدواجية الخطاب لدى كليهما، إلا أن الأول يبدو أكثر احترافاً من الثاني، وربما يكون سبب ذلك اختلاف التخصص، فأحدهما شعبي والآخر دولي.

يتبادل قادة الأحزاب الشيعية هذه التقاسيم والتنويعات انسجاماً مع (المايسترو الإيراني)، بينما تمارس أحزاب السنَّة أداءً نشازاً، فلا زعماء مؤثرين للسنَّة في لبنان، وفي العراق يبدو أكبر زعيمين للسنَّة على طرفي نقيض، فالحزب الإسلامي أصدر بياناً مقتضباً تعليقاً على قرار توقيف الشيخ حارث الضاري، بينما شارك الأستاذ طارق الهاشمي في البيان المشترك مع الرئيس العراقي وعبد العزيز الحكيم؛ لاستنكار تفجيرات مدينة الصدر، وهو ما شجَّع نوري المالكي - رئيس الوزراء العراقي - أن يحتجَّ على زيارة الشيخ الضاري للأردن، وكأنه أصبح مطلوباً دولياً، وفي نفس الوقت بدأت المؤامرات على هيئة العلماء، وتناقلت فضائيات الشيعة إشاعات عن انقسامها ورغبة علماء سنَّة في تشكيل هيئة جديدة.

ولنتأمّل جيداً هذه التراتبية العجيبة، أولاً: مؤامرة ضد الشيخ حارث الضاري لتحويله إلى زعيم للمعارضة العراقية السنِّية من الخارج، وتهميش دوره في الداخل، ثانياً: بوش يعلن عن استقبال الحكيم في واشنطن، ثالثاً: بعد ذلك بشهر بوش سيستقبل الهاشمي - أيضاً - في البيت الأبيض، هل أصبحنا في حاجة للبحث عن طهران سنِّية؟!!





د. يوسف بن صالح الصغير (*)

salehh70@hotmail.com

من المعلوم أن أكبر مظاهر الفشل والتردي هو تحوُّل أسباب القوة إلى مظاهر ضعف، وتحوُّل القوى الداعمة إلى قوى معيقة، وانقلاب الصفات المرغوبة والأخلاقيات المفضلة إلى سبة ومنقصة، وهنا لا مناص من الاختيار بين التغيير الكامل أو الانهيار الكامل، وإذا أردنا دراسة أحد الأمثلة المعبرة فإنها تنطبق على المأزق الأمريكي.

فقد أدى سقوط الاتحاد السوفييتي السريع إلى فقدان الولايات المتحدة لتوازنها، حيث فوجئت بأنها أصبحت سيدة العالم بلا منازع، ودخلت في مشاريع كثيرة اعتُني فيها بالعناوين والبدايات وأهملت التفاصيل والاحتمالات؛ لأن النجاح مضمون ومؤكد؛ وبدأت موجة من التغيير في أوروبا الشرقية، وتحت رايات الحرية والوعود بالرفاه، وصل إلى الحكم من يحمل الجنسية الأمريكية، وبعد سنوات قليلة اكتشف الناس أن الذي انتقل إليهم من الغرب هو مستوى الأسعار، بدل مستوى المعيشة، وأن النظام الاقتصادي الجديد نجح في تصدير سلعة منافسة وحيدة، إنها اللحم الأبيض؛ فقد اهتم الغرب بالسيطرة وأهمل التنمية؛ لأنها تفاصيل لا داعي لها، خاصة عندما يكون الربح مضموناً، ولذا بدأ الناس رحلة العودة إلى الماضي القاسي هرباً من الحاضر الأقسى؛ وفي هذه الحالة فلا شك أن الروس قادمون من جديد.

أما في أصقاع العالم الإسلامي فقد رفع الغرب شعارات الحرب الاستباقية على الإرهاب ومواجهة محاور الشر ونشر الديمقراطية والإعمار؛ وأخيراً حماية إسرائيل. واستغلت أمريكا دخول صدَّام للكويت وأحداث الحادي عشر من سبتمبر في تكثيف الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة واحتلال أفغانستان والعراق واستكمال السيطرة على منابع النفط.

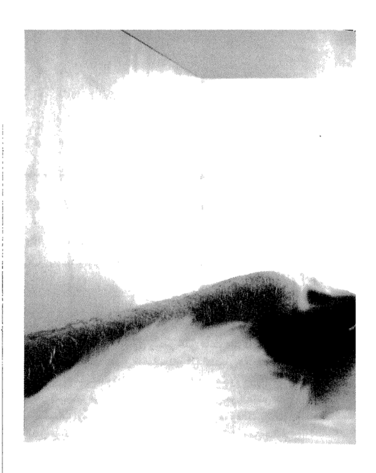
إنها إنجازات هائلة في زمن وجيز وبدون خسائر تذكر؛ ففي بداية الحرب على أفغانستان أحس الغرب بأهمية الاستعانة بقوى محلية وإقليمية؛ ومع إجبار باكستان على المشاركة تم الاتفاق مع إيران على مشاركة فعالة حتى إن أحد المسؤولين الإيرانيين صرح أنه ما كان لأمريكا دخول كابل بدون المساعدة الإيرانية، وبقدر ما كان عنوان النجاح مبهراً في تنصيب الأفغاني المقيم في أمريكا رئيساً وإقامة حكومة أفغانية تابعة لهم، وإقناع حلف الناتو بالمشاركة، وإقامة مؤتمرات الدول المانحة لما يسمى (إعمار أفغانستان) فإن المشكلة تكمن في التفاصيل؛ فطالبان نجحت في الاحتفاظ بقوتها وتأجيل المواجهة والذوبان في المجتمع، وتحالف الشمال يحس أنه يتعرض للتهميش والإبعاد حتى إن (رباني) صرح باحتمال العودة لحمل السلاح ضد الاحتلال في الوقت المناسب.

إنها تفاصيل مهمة خاصةً إذا علمنا أن طالبان التي تحتفظ بكامل قواها تسخِّن الوضع إلى الحد الذي يدفع الغرب إلى إرسال مزيد من القوات والتورط التدريجي بحيث يصبح وجودهم كبيراً مما يعني أن هزيمته تعني القضاء على الحلف وتفكيكه، وهذا هدف تسعى إليه أيضاً كل من الصين وروسيا؛ ولذا فإنه عندما يصرح رئيس الأركان البريطاني بأن الوضع في أفغانستان أكثر سوءاً من العراق فإنه يعني أن الأمور تسير إلى وضع عسكري أصعب من العراق؛ لأن سياسة طالبان قائمة على أساس أن إغراق الضحية يجب أن يكون في وسط المستنقع.

وإذا كانت خطط احتلال أفغانستان قد أعدت على عجل؛ فإن غزو العراق دُرِس بعناية بقدر ما تسمح به قدراتهم الذهنية، واتخذ القرار قبل أكثر من خمس سنوات من الغزو، ومع ذلك فقد كثرت العناوين والشعارات وغابت التفاصيل. لقد اعتمد

(*) أستاذ مساعد في كلية الهندسة، جامعة الملك سعود، الرياض.





الغزو على قوة امريكية مفرطة وقوى محلية عراقية اجتمعت على هدف إسقاط النظام أساسها الزعامات الكردية في الشمال والقوى الشيعية المرتبطة بإيران التي كان لها حضور قوي في الاجتماعات التمهيدية لهذه القوى مع الجانب الأمريكي الذي اهتم بالعنوان ولم يُلْقِ بالاً لأطروحات الآخرين وتصوراتهم لعراق المستقبل.

لقد تبخر شعار تحرير العراق غداة سقوط بغداد السريع، وتحولت القوات الأمريكية رسمياً إلى قوات احتلال، ولا يتصور أن أياً من القوى المشاركة سيكون له دور مؤثر، حيث تم تعيين حاكم عسكري. وصرحت كونداليزا رايس من بغداد بأن النجاح في العراق مقدمة لنجاحات أخرى في المنطقة، وتم التصريح باسم سورية؛ حيث إن احتلالها يجعل سورية الكبرى تحت النفوذ الأمريكي المباشر.

وبدأ التحرش بإيران؛ لأن سكرة النصر السريع جعلتهم يحسون بعدم الحاجة لأي خدمات جديدة من إيران، وحيث إن دور العملاء يتعاظم مع تعاظم الحاجة لخدماتهم فقد حرصت إيران وسورية على إثبات الحاجة إليهما؛ وهنا تاهت أمريكا في التفاصيل التي تكرهها فلم يقبل السنّة التهميش والاحتلال، ولم تمانع الدولتان في تنامي المقاومة السنية في أفغانستان والعراق؛ بحيث أصبحت إيران وسورية ممراً آمناً لمن يريد الانضمام للمقاومة السنية، وكان تصاعد المقاومة في العراق دافعاً لبناء جيش وأمن عراقي جديدين، وكلما نمت المقاومة السنية تضطر أمريكا لزيادة حجم وتسليح القوى العراقية الجديدة المكونة أساساً من الشيعة، وارتفع العدد من عشرات الآلاف إلى مئات الآلاف، ومع انشغال أمريكا بمواجهة السنّة تم نسيان التعمير؛ بل تم نسيان نفط العراق وتسلّم الشيعة القادمون من إيران التابعون لحزب الدعوة والثورة الإسلامية مقاليد السلطة.

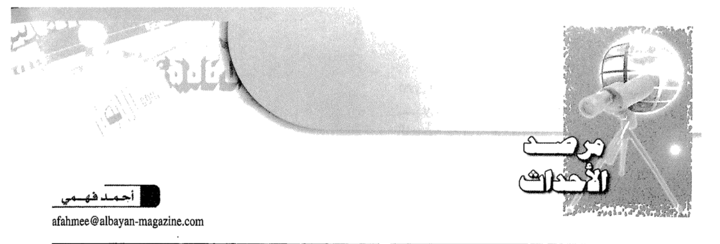
وتحت شعار مواجهة الإرهاب دخلت الميليشيا الشيعية التابعة لإيران على الخط، وبدأت تحت حماية قوات الاحتلال والحكومة بتنفيذ عمليات فرز طائفي تمهيداً لقيام كيان شيعي خالص في جنوب ووسط العراق، وكان الرد الأمريكي مزيداً من التخبط العسكري والاستمرار في محاولة كسر شوكة السنّة مع إطلاق التهديدات لإيران وسورية.

وكانت حرب لبنان الأخيرة وسقوط الحزب الجمهوري في انتخابات الكونجرس من الأمور الحاسمة في دفع الإدارة الأمريكية إلى محاولة أخيرة للتخلص من المصيدة العراقية، وبدأ أقطاب الإدارة في القدوم إلى المنطقة طلباً للمعونة بدلاً من إصدار التوجيهات، وكان اجتماع عمّان الأخير علامة فارقة يمثل فيه الملك الشاب عبد الله بن الحسين دور الوسيط والمشير.

ولأنه لا يوجد حل مريح لأمريكا فلم يجد بوش بداً من تكرار ما كان يقوله سابقاً أنه لن ينسحب من العراق قبل إتمام المهمة، ولم ولن يسأله أحد ما هي المهمة؛ لأن الحقيقة أن المهمة قد سُلِّمت لإيران وسورية، وإذا كان يحس أن المالكي ممثل حزب الدعوة لا يستطيع القيام بالمهمة جيداً، فلم يجد بداً من دعوة عبد العزيز الحكيم لواشنطن للتباحث معه حول العراق، ولم يزد الرئيس بوش على أنه نفض يده من يد إيران اليسرى ليمسك بيدها اليمنى؛ فأمريكا تمر الآن بمرحلة حساب للمخاطر المحتملة على مصالحها في المنطقة وإنقاذ ما يمكن إنقاذه، ولذا فإنها على استعداد لتسليم العراق لإيران، وعودة سورية للبنان. ومن هنا نفهم زيارة الرئيس العراقي لطهران واستضافة وزير الخارجية السوري في بغداد وترك حكومة السنيورة لمصيرها أمام معارضة مرتبطة بوضوح بالمحور السوري الإيراني، اجتمع فيها حزب الله ومنظمة أمل.

لقد ادعت أمريكا أن العميل المزدوج (أحمد الجلبي) هو الذي أقنع الإدارة الأمريكية بسهولة غزو العراق وإسقاط نظامه، ولا نستبعد أن أمريكا سترد الجميل لإيران وتدخلها في العراق، ومن ثم يتحول الصراع في المنطقة من مقاومة النفوذ الأمريكي إلى مواجهة السيطرة الباطنية، وستخوض دول المنطقة صراع وجود جديداً تترحم فيه على أيام التهديد الصدّامي.

ولا أدري: هل تكون أمريكا في وضع يمكّنها من تطبيق نظرية الاحتواء المزدوج للشيعة والسنة، أم أنها ستضطر للتفرج من بعيد وتكتفي بمحاولة حماية مصالحها المهددة في حديقتها الخلفية؟



أحمد فهمي
afahmee@albayan-magazine.com

من هنا وهناك

– توقع مصرف الكويت الوطني أن يبلغ فائض الموازنة العامة لهذا العام في الكويت ٤,٥ مليار دينار، أي أكثر من ١٥ مليار دولار، مع بلوغ عائد النفط ١٤,١ مليار دينار، بافتراض سعر برميل البترول ٥٦,١ دولاراً، وهذا الفائض هو ثاني أكبر فائض على الإطلاق، وكان فائض العام الماضي ٦,٧ مليار دينار هو الأكبر، وتستثمر الهيئة العامة للاستثمار في الكويت أصولاً تبلغ قيمتها ١٠٠ مليار دولار.

[صحيفة المستقبل ٢٨/١١/٢٠٠٦م]

– ذكر الصحفي الإيراني أمير طاهري أن عدد رجال الدين في إيران يقدر بـ ٣٩٩ ألف.

[الشرق الأوسط ١٣/١٠/٢٠٠٦م]

– قال ديتليف ميليس رئيس لجنة التحقيق السابق في قضية مقتل رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري في حديث أجرته معه قناة «الحرة» ١٢/١١/٢٠٠٦م عبر برنامج «ساعة حرة»: «نحن واللجنة ذكرنا في تقريرنا إلى مجلس الأمن أننا لمسنا أن هناك أدلة قاطعة على انخراط الاستخبارات السورية في عمليات الاغتيال».

– قدمت القناة الرابعة البريطانية برنامجاً وثائقياً عن فرق الموت في العراق، والتي تختص بقتل السنة العرب، وصور البرنامج عشرات الجثث لعراقيين مغدورين وأيديهم مقيدة من الخلف بقيود معدنية تستخدمها الشرطة، وصرحت سيدة بريطانية من أصل عراقي كانت تعمل في منظمة لحقوق الإنسان في عهد وزير الداخلية السابق بيان جبر صولاغ، أن هذا الأخير يكذب عندما ينكر ما حصل في وزارته، وذكرت المراسلة أن المستشار الأمريكي لصولاغ، مايك كاريم قال: أن صولاغ عندما كان وزيراً للإسكان جرد الوزارة من السنّة والأكراد وكل الطوائف الأخرى، ووظف شيعة مكانهم، وكان له المئات من الحراس الذين يلبسون السواد. وكان شرطي بريطاني أشرف على تدريب الشرطة العراقية ذكر لمراسلة التلفزيون البريطاني أن الميليشيات كانت تدخل سلك الشرطة بأعداد غفيرة وعندما قدم شكوى لرامسفيلد لم يكترث بها، وحاولت المراسلة لقاء مقتدى الصدر لكنه رفض؛ لأنه يرفض الحديث مع أجانب حسب زعمها، فتحدثت مع رئيس الكتلة الصدرية في البرلمان بهاء الأعرجي الذي ضحك وقال لها: هناك من يلبس ملابس جيش المهدي ويقتل العراقيين.

[مجلة الشراع، نوفمبر ٢٠٠٦م]

علامة تعجب

فضل طالبان:

الصحفية البريطانية إيفون ريدلي التي كانت حركة «طالبان» اعتقلتها أثناء محاولتها دخول أفغانستان في أكتوبر ٢٠٠١م قبل أن تطلق سراحها فيما بعد وتعلن إسلامها، انتقدت هجوم وزير الثقافة المصري على الحجاب في محاضرة ضمن فعاليات المؤتمر العاشر للندوة العالمية للشباب الإسلامي الذي تستضيفه القاهرة، وقالت إن: هؤلاء العرب الذين يريدون أن يكونوا غربيين في سلوكهم أكثر من الغربيين أنفسهم يثيرون السخرية أمام الآخرين «ومن غرائب ما ذكرته قولها: آخر مرة زرت فيها القاهرة تم تلقيبي بالمتطرفة، الاتهام جاءني من شيخ الأزهر الدكتور (محمد سيد طنطاوي) لأني عندما مد إليَّ يده لمصافحتي رفضت المصافحة ـ التزاماً بحكم شرعي ـ فقال لي: أنت متطرفة».

[موقع المصريون ٢٣/١١/٢٠٠٦م]

أحمدي نجاد وشراء السجاد:

«ونحن صغار، في المدينة المنورة، كنا ننتظر قبل موعد صلاة الظهر والعصر بدقائق لعرض ما لدينا من سجاجيد الصلاة لبيعها للحجاج؛ فمع جو المدينة الحار، واستعجال الحجاج للحاق بمواعيد الصلاة لا يتسنى لهم المفاصلة حول السعر، فيشترون فوراً السجاد وفق السعر المعروض، ويلحقون بالصلاة قبل أذان الإقامة إلا الحجاج الإيرانيين، كانوا الأكثر دهاء، حيث يشترون منا السجاد بعد الصلاة، فلا هم مستعجلون، ولا نحن قادرون على اللعب على عامل الوقت».

[طارق الحميد، الشرق الأوسط ١٨/١١/٢٠٠٦م]

إعمار لبنان وإفقار إيران:

في كلمة وجهها لمؤيدين لحزب الله قال (حسن نصر الله) زعيم الحزب: نحن لن نترك الناس، وكما قلنا لكم منذ اليوم الأول للنصر فإننا ملتزمون معكم بإعمار منازلكم ومؤسساتكم وبالمال النظيف، وعسى أن تنطلق ورشة إعمار الضاحية خلال ثلاثة أشهر. ونقلت صحيفة الأخبار عن نصر الله قوله للحشود: إن حزب الله دفع ٣٠٠ مليون دولار نقداً بدل إيواء وتعويضات لأولئك الذين خسروا منازلهم في الحرب التي أدت إلى تدمير نحو ١٥ ألف وحدة سكنية وإلحاق أضرار بثلاثين ألفاً أخرى، وقال (نصر الله): إن الأموال التي دفعت للمتضررين كلها أموال شرعية من السيد (علي الخامنئي).

[صحيفة السفير ١٣/١١/٢٠٠٦م]

... أين أنا؟

أصبح الحديث عن أي أمر – مهما كان تافهاً – عملية محفوفة بالمخاطر في سورية، ويتندر السوريون المغتربون برواية طرفة مشهورة عن شابين واقفين في (طابور) طويل لجمعية استهلاكية تعاني نقصاً في المواد الغذائية، فأخذ أحدهما يصيح قائلاً: كيف لا توجد لديكم هذه المواد؟ أين السكر؟ أين الرز؟ أين صاحبي؟ أين تأخذونني؟

[موقع صفحات سورية]

المنار: بيت من زجاج

اتهمت قناة «المنار» التلفزيونية التابعة لحزب الله في إحدى نشرتها الإخبارية ما زعمت أنه «ميليشيا تيار المستقبل» بإطلاق النار في الحادثة التي وقعت في منطقة قصقص في بيروت وأدت إلى مقتل أحد المواطنين وإصابة عدد آخر بجروح، وذكرت القناة اسم الشخص الذي يتهمه عناصر حزب الله بانه أطلق النار من سلاح حربي بصفته «مسؤولاً» في «ميليشيا تيار المستقبل»، وأصدر تيار المستقبل بياناً جاء فيه: إن تيار المستقبل يلتزم حتى الآن بالتهدئة وضبط النفس ومنع الفتنة، وإنه قام خلال الأيام الأخيرة بمنع وسائل إعلامه من تغطية أعمال الخطف التي تعرض لها مواطنون لبنانيون عزل على يد عناصر مسلحة في بشامون، وأعمال التخريب والاعتداء المتكرر التي تعرضت لها أعماق أحياء بيروتية والتي وقع فيها عشرات الجرحى من سكان هذه الأحياء وأحدثت أضراراً جسيمة في العديد من الممتلكات، وذكر البيان: الجميع في لبنان والعالم العربي والإسلامي يعلم من هي الجهة اللبنانية الوحيدة التي تملك ميليشيا وهي الجهة الوحيدة التي تملك تنظيماً مسلحاً، وهي الجهة الوحيدة التي تفاخر قيادتها بامتلاكها أسلحة، وعلى رأسها عشرون ألف صاروخ، ومن هي الجهة اللبنانية الوحيدة التي ياتي كل تمويلها من الخارج وكل أسلحتها من الخارج، ومن هي الجهة الوحيدة التي تقيم مربعات أمنية تمنع أجهزة الدولة الشرعية من دخولها، ومن هي الجهة الوحيدة التي تشارك الدولة وأجهزتها الأمنية في صلاحياتها وأدوارها عن طريق اللجان الأمنية الخاصة.

[صحيفة المستقبل]

النزاهة السنية و «النباهة» الشيعية

أكد نائب رئيس الجمهورية العراقية طارق الهاشمي رئيس الحزب الإسلامي العراقي أن «الحزب الإسلامي وجبهة التوافق السنية التزمت مبكراً أن تكون شريكاً نزيهاً مخلصاً في العملية السياسية ولحكومة نوري المالكي» مشيراً إلى أن هذه «الشركة ما تزال قائمة رغم ما واجهته الحكومة من عقبات كثيرة». وكان الهاشمي يرد على سؤال حول دعوة أمين عام هيئة علماء المسلمين العراقية الشيخ الدكتور (حارث الضاري) الدول العربية إلى سحب اعترافها بالحكومة العراقية، وأوضح الهاشمي قائلاً: «أنا مسؤول عن تصريحاتي ومواقفي، ولا يمكن أن أعلق على تصريحات ومواقف الآخرين». وتابع نائب الرئيس: «لا تزال هناك الكثير من المسائل التي اتُّفق عليها ولم تنفذ كما نتمنى، لا نريد أن نعلق مشكلات العراق على شخصية واحدة؛ فالكل شركاء في تحمل المسؤولية في هذا الظرف الصعب» وطالب (الهاشمي) في ختام اجتماع للمجلس السياسي للأمن الوطني بإعادة النظر في اداء الحكومة؛ فالفرصة لا تزال مواتية. ويذكر أن المجلس الوطني يضم الرؤساء الثلاثة للجمهورية والحكومة والبرلمان ونوابهم بالإضافة إلى رؤساء الكتل البرلمانية. ويذكر أيضاً أن نوري المالكي تسلم منصبه بعد أن تلقى دعماً أساسياً من تيار الصدر في البرلمان العراقي، ومن المعروف أن جيش المهدي المتسبب في معظم المذابح التي يتعرض لها أهل السنة في العراق، هو الجناح العسكري للتيار الصدري.

[بتصرف عن السياسة الكويتية ٢٧/١١/٢٠٠٦م]

البهارات السورية على الطبخة اللبنانية

أوقفت قوى الجيش اللبناني ثلاثة سوريين تبين أنهم يقومون باستفزاز مفتعل لمواكب التظاهرات الخاصة بتيار حزب الله وميشيل عون، وكانت هذه القوات قد أوقفت من قبل السوري (حمزة محمد صادق إسماعيل)، على أثر مطاردته بسبب إقدامه في وسط بيروت على توجيه شتائم إلى الأمين العام لـ «حزب الله» (حسن نصرالله).

ونقل أن السوريين الثلاثة الذين باشرت الوحدات المختصة في الجيش التحقيق معهم، ضُبطوا على سطح بناء قريب من جامع الخاشقجي في بيروت يرمون الحجارة على القوى الأمنية وعلى سكان المحلة، بينما كان يمرّ موكب لـ «حزب الله»، وهو الأمر الذي تسبّب بإشكال وقع فيه اربعة جرحى وإحراق عدد من المحال.

[المستقبل ٤/١٢/٢٠٠٦م]

الشرطي الإيراني يتحفز لممارسة مهامه

قدمت إيران احتجاجاً رسمياً إلى الإمارات بدعوى قيام الأخيرة بأنشطة مناهضة للأولى مرتبطة بالأمريكيين، وقال (محمد علي حسين) المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية: «ننتظر من حكومة الإمارات أن تمنع استخدام أراضيها لشن أنشطة ضد الجمهورية الإسلامية وستتقدم سفارتنا باحتجاج رسمي للحكومة الإماراتية» وكانت الخارجية الأمريكية أنشأت في مارس الماضي مكتباً للشؤون الإيرانية في دبي يهدف إلى الاتصال بمواطنين إيرانيين، وذلك في محاولة لتكوين صورة أوضح عن الداخل الإيراني، حسب المعلن من أهداف المكتب.

ويوجد في دبي عدد كبير من رجال الأعمال الإيرانيين الذين تربطهم صلات وثيقة ببلدهم، كما يتوجه العديد من مواطني الإمارات إلى إيران بغرض السياحة.

وكانت صحف إيرانية قد نشرت مؤخراً تقارير حول تعرض السياح ورجال الأعمال الإيرانيين لمعاملة سيئة في مطار دبي، ودعا نواب إيرانيون إلى اتخاذ إجراءات ضد الإمارات.

ويذكر أن الإمارات هي الشريك التجاري الأول لإيران؛ فقد وصل حجم الواردات الإيرانية من الإمارات السنة الماضية حسب التقويم الفارسي الإيراني والتي تنتهي في ٢٠/٣/٢٠٠٦م إلى ٧,٥ مليار دولار، بينما بلغ حجم صادراتها إلى الإمارات ٢,٥ مليار دولار وفقاً للأرقام الإيرانية.

[السياسة الكويتية ٢٧/١١/٢٠٠٦م]

السلفيون هم الأكثر تعليماً بين الإسلاميين

كشفت دراسة أمريكية اعدتها مؤسسة (غالوب) العالمية للاستطلاعات في واشنطن أن من تزعم كونهم متطرفين في البلدان الإسلامية هم أكثر ثراء وأعلى تعليماً وثقافة من الأشخاص المعتدلين، وشملت الدراسة مقابلات مع ٩ آلاف شخص من تسع دول أعضاء في المؤتمر الإسلامي، هي: مصر والأردن والمغرب والسعودية واندونيسيا وتركيا وإيران وبنغلاديش ولبنان بواقع ١٠٠٠ مشارك في كل دولة، واستمرت المقابلات فترة عامي ٢٠٠٥ ـ ٢٠٠٦م.

وحسب (غالوب) فإن (وحدة بحوث العالم الإسلامي) في المؤسسة قاست درجة التطرف والاعتدال بناء على موقف المشاركين من هجمات ١١ سبتمبر، حيث اعتُبر المشارك ميّالاً للتطرف إذا قال إن الهجمات مبررة جزئياً أو كلياً، وادرج في خانة المعتدلين كل من وصفها بغير المبررة.

واظهرت الدراسة أن «المتطرفين» لم تتجاوز نسبتهم ٧ ٪ في (العينة الكلية) واتضح أن لهم مصادر دخل أعلى من المعتدلين، كما أن فترة بقائهم في الجامعات والمدارس كانت أطول.

ووفقاً للباحثة في (غالوب) في الشؤون الإسلامية (داليا مجاهد) فإن نتائج الدراسة في هذا الجانب تتناقض مع الاعتقاد السائد بأن «المتطرفين» ينتمون لأوساط فقيرة ولم يتلقوا تعليماً كافياً؛ إذ تبين أن ٤٤٪ ممن اعتبرتهم الدراسة من «المتطرفين» تلقوا تعليماً جامعياً أو أنهوا الثانوية على الأقل، مقابل نسبة من المعتدلين تصل إلى ٣٨٪، فيما لم تتجاوز نسبة من تلقوا تعليماً ابتدائياً فقط بين المتطرفين ٢٣٪، وأن ٣٤٪ من المعتدلين لم يتلقوا تعليماً ابتدائياً أو كانوا أميين.

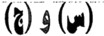
وفي الجانب الاقتصادي في الدراسة ظهر أن ربع «المتطرفين» كان لديهم دخل عال أو فوق المتوسط في حين أن ٢٢٪ منهم كانوا فقراء أو أصحاب دخل أقل في المتوسط.

وارتفعت نسبة الفقراء بين المعتدلين إلى ٣١٪ وتراجعت نسبة ذوي الدخل العالي أو فوق المتوسط بينهم إلى ٢١٪.

وكشفت الدراسة ان ٥٦٪ فقط من «المتطرفين» يؤدون الشعائر الدينية بانتظام في حين أن ٥٩٪ من المعتدلين ملتزمون باداء الشعائر والتردد على المساجد.

وأعرب ٥٣٪ من «المتطرفين» عن آمال كبيرة في تحسن أوضاعهم الاقتصادية والمعيشية في غضون خمس سنوات، بينما اظهر المعتدلون نسبة كبيرة من مشاعر الإحباط واليأس وصلت إلى ٤٤٪. ويذكر أن التيارات السلفية في التقويم الأمريكي تعد في غالبها متطرفة أو تشكل الجانب الأكبر من التيارات «المتطرفة» حسب قياساتهم المتحيزة.

[بتصرف عن صحيفة الوطن الكويتية ١٥/١١/١٤٢٧هـ]



(س) و (ج)

س: لماذا سارع اليهود بالموافقة على إعلان تهدئة مع الفصائل الفلسطينية وحماس تحديداً؟

ج: بخلاف الأسباب السياسية؛ فإن التطوير الذي دخل على صواريخ القسام تحديداً كان له دور كبير في مسارعة حكومة أولمرت على إعلان التهدئة التي رفضتها كثيراً من قبل.

فقد أصابت صواريخ القسام في الأسابيع الأخيرة دولة الكيان في مقتل؛ فالذعر من القسام أصبح حقيقة لا يمكن لسكان مستعمرة سديروت إنكارها، والفشل في وضع حد لإطلاق هذه الصواريخ أصبح في عرف قادة جيش الاحتلال ضرباً من الخيال، لا يمكن لأي من قادة الأجهزة الأمنية أو العسكرية الإسرائيلية إخفاؤه.

الأجهزة الأمنية الإسرائيلة أقرت بعجزها وفشلها في وقف المقاومة ومنعها من تطوير قدراتها القتالية، وذكر أحد التقارير أن نجاح حماس في الشهر الماضي في التسبب باضرار وإسقاط ضحايا يدل على التطور المتواصل للصاروخ البدائي «القسام».

وتحدثت بعض التقارير الإسرائيلية أن مدى صاروخ القسام الجديد يصل إلى ١٠ - ١١ كيلو متراً، بالمقارنة مع ٧ - ٨ كيلو مترات في النماذج السابقة، كما أن زيادة دقة هذه الصواريخ يعود إلى تطوير آلية الإطلاق، واستخدام مواد متفجرة نوعية؛ حيث إن رأس الصاروخ من النموذج الجديد يعتبر فتاكاً بالمقارنة مع النماذج القديمة.

وتقول الأجهزة الأمنية الإسرائيلية: إن حركة حماس تعمل على إنتاج صواريخ يصل مداها إلى ضعفي مدى صواريخ القسام، وتحمل من المتفجرات خمسة أضعاف ما يحمله القسام؛ فقد تناولت التقارير الإسرائيلية معلومات مصدرها الأجهزة الأمنية الإسرائيلية أن الصناعة العسكرية لحماس في قطاع غزة تستعد لإنتاج صواريخ مشابهة لصواريخ الكاتيوشا، بقطر ١٢٢ ميلي متراً، ويصل مداها إلى ٢٠ كيلو متراً؛ وهو الأمر الذي يعني أن إطلاق هذه الصواريخ من بيت حانون يجعلها قادرة على قصف «كريات غات» ومنطقة عسقلان بأكملها.

وجاء أن المعلومات الموجودة لدى الأجهزة الأمنية تشير إلى أن مهندسي حماس يعكفون بشكل مكثف على دراسة إنتاج هذه الصواريخ في قطاع غزة. ويستخدم مهندسو حماس صواريخ «غراد» التي تم تهريبها إلى قطاع غزة، حيث جرى تفكيكها من أجل دراستها، واستنساخ المنظومة التي تعمل بواسطتها.

وأضافت التقارير أن مهندسي حماس بات لديهم إلمام بإنتاج صواريخ تعمل بنظام الكاتيوشا. وأنه يجري التخطيط لاستبدال صواريخ القسام بهذه الصواريخ الجديدة.

كما تشير التقديرات إلى أن هذه الصواريخ، المماثلة للكاتيوشا، من المتوقع أن تظهر في قطاع غزة خلال أشهر معدودة. والإشارة هنا إلى صواريخ يصل مداها إلى ضعفي مدى القسام، وتحمل رؤوسها المتفجرة ٤ - ٥ كيلو غرامات من المواد المتفجرة، بالمقارنة مع كيلو غرام واحد في صاروخ القسام.

إسرائيل الآن تحاول أن تضع كل إمكانياتها العسكرية والسياسية والاستخبارية على الطاولة بغية الوصول إلى وقف القسام؛ ففي جلسة أمنية انعقدت قبل شهر قال أولمرت: إن وقف إطلاق صواريخ القسام هو الهدف الرئيس والوحيد للجيش. كما أشار أولمرت إلى أن الجيش وجهاز الأمن العام يعتقدون أن وقف إطلاق صواريخ القسام ليس هدفاً قابلاً للتحقيق.

وبرأي جهات في الجيش فإنه: «يجب أن تدرك التنظيمات أن هناك ثمناً لاستمرار إطلاق الصواريخ، ولكن ليس هذا هو واقع الحال، والجيش الذي يعمل في غزة أثبت أن العمليات المركزة والمحسوبة فعالة فقط حينما تنفذ لفترة طويلة»..

وكان بيرتس قد عقد جلسة تقييم مع قادة الأجهزة الأمنية من أجل «دراسة السبل للسيطرة على مناطق إطلاق الصواريخ، لإبعاد نقاط الإطلاق ومنع تهريب الأسلحة إلى قطاع غزة، وفي الوقت نفسه الامتناع عن البقاء لفترة طويلة في غزة». وأوكل بيرتس الجيش بـ «إيجاد حلول إبداعية».

إلا أن هناك قيادات إسرائيلية بدأت تدرك أن الحلول العسكرية وحدها باتت شبه مستحيلة، وانه يجب أن يكون هناك حلول أخرى؛ وهذا ما دفع (إيتان كابل) من حزب العمل إلى حث الحكومة على دراسة الهدنة التي أعلنت عنها المقاومة الفلسطينية بجدية، وأن لا تتعجل في رفضها.

مصدر سياسي إسرائيلي رفيع المستوى قال: إنه يجدر دراسة إمكانية نشر قوات دولية في غزة، وإنه من الجدير دراسة اقتراح الوزير يتسحاك كوهين (شاس) الذي اقترح في جلسة للحكومة نشر قوات دولية في غزة على غرار تسوية وقف إطلاق النار التي طبقت في لبنان، وحسب أقوال المصدر «تسوية سياسية، هي فقط التي أوقفت إطلاق الصواريخ من لبنان وليس عمليات الجيش».

وقد رفض أولمرت قبل شهر في محادثة مع نظيره الإيطالي، رومانو برودي، فكرة تطبيق الحل اللبناني في غزة. وقال: «إنه من المبكر أن نحكم على الصيغة اللبنانية بأنها ناجحة، ولا جدوى من إدخال قوات لا يمكنها أن توقف إطلاق الصواريخ، وفي الوقت نفسه تمنع إسرائيل من الرد».

[بتصرف، باسم أبو العطايا، التجديد العربي، موقع انتخابات السعودي ٢٠٠٦/١١/٢٧م]



خالد عبد الله
Kaled_1979_00@hotmail.com

جماعات تنصيرية بتركيا تعمل من خلال الدعارة والجنس

كشفت سلطات البوليس التركي (الجاندرما) عن أسلوب جديد في التنصير حيث ثبت تورط المنصرين في توظيف فتيات نصرانيات يقمن باستدراج الشباب التركي المسلم من خلال العلاقات الجنسية المحرمة.

وذكر موقع «haber7» أن السلطات التركية ألقت القبض على عشرات المنصرين وشرعت في استجواب تسعة وخمسين شخصاً، بالإضافة إلى كشف أسماء خمسة آلاف شخص لهم علاقة بالجماعات التنصيرية.

وحصلت السلطات على معلومات هامة عن هذه الجماعات بعد أن تمكنت من كسر شفرات الملفات المخزنة على أجهزة الحاسوب لدى هذه الجماعات. [نقلاً من موقع «haber7" 20» نوفمبر ٢٠٠٦م]

الفاتيكان يتمسك (بحقه) في التنصير بين المسلمين

أبدى المساعد الأول لبابا الفاتيكان تخوف الفاتيكان من أوضاع ما يسمى بالأقليات المسيحية في الدول الإسلامية بأنها تعيش في خطر، وأن من حق الكنيسة مواصلة «التبشير بين المسلمين».

وزعم الكاردينال «تارسيسيو بيرتوني» وزير خارجية الفاتيكان في مقال له في مجلة «٣٠ يوماً» الإيطالية الكاثوليكية «أن الكنيسة الكاثوليكية لا تستطيع أن تتخلى عن «الحق في التبشير بالإنجيل حتى بين المسلمين» ما دام ذلك يتم بأسلوب يحترم حرية الأديان، مشيراً إلى أن الفاتيكان سيستغل بعثاته الدبلوماسية في الدول ذات الأغلبية المسلمة للمساعدة في زيادة التفاهم والتوافق بين الأديان». [جريدة اللواء الأردنية ٢٨ تشرين ثاني ٢٠٠٦م]

إنجيل موجه للمسلمين

تسببت ترجمة حديثة لكتاب العهد الجديد «الإنجيل» في جدل واسع بين الأوساط الثقافية والدينية في مصر؛ إذ حملت الترجمة التي صدرت مؤخراً اسم «الإنجيل الشريف» ولأن هذا الإنجيل موجه للمسلمين تم تغيير الأسماء بما يتفق مع الإسلام، فتحول يسوع إلى عيسى، ويوحنا إلى يحيى بن زكريا، فضلاً عن اعتماده على اللهجة المصرية.

وتضاربت الأقوال داخل الكنيسة ما بين معارض لهذه الترجمة ومؤيد؛ فمن ناحية اعترض الأنبا مرقص المتحدث الرسمي باسم الكنيسة الأرثوذكسية على ما يسمى بـ «الإنجيل الشريف»، أيد القس «سامح منير» راعي الكنيسة الإنجيلية بالقاهرة هذه الترجمة ووصفها بأنها تبسط المعلومات وتقربها للدين الإسلامي.

ومن جانبه أكد الدكتور محمد عمارة، أن طبع وترجمة الإنجيل بهذه الصورة التي تجعله قريباً من الثقافة الإسلامية هو هدف منصوص عليه في مؤتمر «كلورادو» الذي عقد في أمريكا عام ١٩٧٨م، حيث ناقشوا فيه التنصير بالثقافة الإسلامية، وطبع الكتاب المقدس بالحرف المطبوع به القرآن وتغليفه مثل المصحف، وإنشاء إذاعة في قبرص يتلى فيها الإنجيل مثلما يرتل القرآن، وذلك لكسر عزلة المتنصرين في المجتمعات الإسلامية، ووضح أن هذه الترجمة الجديدة تعتبر تنفيذاً لهذا المخطط.

وعلى موقعها الإلكتروني أعلنت دار النشر الصادر عنها ما يسمى بـ «الإنجيل الشريف» أنها توجهه للعالم الإسلامي ليكون بالنسبة لهم صلاة عام ٢٠٠٦م، وأن تغيير أسماء الأشخاص يهدف إلى مساعدة المسلمين على الفهم الواضح لمعنى كلمة «الله» بزعمهم.

[جريدة المصري اليوم ٢ ديسمبر ٢٠٠٦م]

ترجمات عبرية خاصة بالبيان

محمد زيادة
mozeada@yahoo.com

- «هناك حالة من عدم الرضا في أوساط قيادة الجيش بعد أن اتخذت الحكومة الإسرائيلية قراراً بوقف إطلاق النار مع الفلسطينيين في قطاع غزة».
[الخبير السياسي عكيفا ألدار لهآرتس ٢٠٠٦/١١/١٥م]

- «إن الفلسطينيين يحاولون إيجاد معادلة جديدة على الأرض مع الإسرائيليين والذين يعتبرون أن أي عملية عسكرية في الضفة الغربية ستدفعهم للرد عليها من قطاع غزة بإطلاق الصواريخ نحو إسرائيل».
[عضو الكنيست داني ياتوم ليديعوت أحرنوت ٢٠٠٦/١١/٢٨م]

- كشف تقرير رُفع أمام لجنة الهجرة والاستيعاب في الكنيست الإسرائيلي أن نسبة المغادرين من بين اليهود القادمين حديثاً تبلغ خمسة أضعاف المغادرين من اليهود القدامى من كبار السن، وتبين من المعلومات الواردة في التقرير عن العام الحالي ٢٠٠٦، أن مئات الطلبة الذين أنهوا دراستهم الثانوية في «إسرائيل» يغادرونها لاستكمال دراستهم في روسيا وأوكرانيا، مما يزيد من صعوبة اندماجهم في المجتمع «الإسرائيلي».
[هآرتس ٢٠٠٦/١١/١٤م]

- «إسرائيل تقوم بصورة منهجية وخبيثة بقضم حقوق الفلسطينيين وتتصنع النوايا الحسنة عندما تفتضح هذه السياسة». [هآرتس ٢٠٠٦/١١/١٣م]

- «شيء مخجل لليهود أن يكون عمير بيرتس هو المسؤول عن الأمن. وإذا لم يكن في الحكومة؛ فماذا ينبغي أن يكون؟ على الأكثر سائق سيارة أجرة».
[الملياردير اليهودي من أصل روسي - أركادي غيداماك ٢٠٠٦/١١/١٩م]

- «اتحاد مراكز الدعم الاجتماعي والنفسي تلقى من شهر يناير وحتى شهر أكتوبر، أكثر من ٢٨ ألف شكوى حول الاغتصاب والتحرش الجنسي، منها ٦٢٧٠ جديدة، مقابل ٥٢٣٠ شكوى جرت أحداثها في الفترة الزمنية نفسها من العام ٢٠٠٥». [معاريف - ٢٠٠٦/١١/٢٢م]

- «سورية استخلصت العبر من حرب لبنان الأخيرة والتي تقضي بأن منظومة الصواريخ والمقذوفات الصاروخية هي المنظومة الأهم في المواجهة مع إسرائيل».
[هآرتس ٢٠٠٦/١١/٢٦]



هموم الأمة

((... إلى الذي لم يتمعّر وجهه مرة واحدة لما يصيب المسلمين))

يحيى بشير حاج يحيى

هُمومُ المسلمينَ أسىً دَفوقُ فما لكَ لا تُحِسُّ ولا تُفيقُ؟!
وَمَا لَكَ لَسْتَ تَعْبَأُ بالمآسي تُحاصِرُهم! فما هذا المُروقُ؟!
لَيالِيهِمْ ظَلامٌ في ظَلامٍ فلا بَدْرٌ يَلوحُ، ولا بُروقُ!
وقد أمْسى حِماهُم دونَ حامٍ وبينَ حَصادِهِمْ شَبَّ الحَريقُ
فَبُوذِيٌّ يُذَبِّحُهم جِهاراً وهِنْدوسِي، وسِيخِيٌّ صَفِيقُ
وكم ذاقُوا الأذى في دارِ غَرْبٍ وكم ضاعَتْ لهم فيها حُقوقُ؟!
وكم أجْرَى الشيوعيونَ دَمْعاً لهم ودَمَاً، وكم غُصَّتْ حُلوقُ؟!
إذا غَضِبَ النَّصارَى أنْصَفُوهم وحاوَرَهم بإحسانٍ «رَفيقُ»!
وإنْ غَضِبَ اليهودُ فَإنَّ ألْفاً مِنَ الأعذارِ يَبْذُلُها «شَفوقُ»!
وما لِلْمسلمينَ إذا تَنَادَوْا لِنَيْلِ حُقوقِهم إلاَّ العُقوقُ
تُحيقُ بِهم هُمومٌ قاتِلاتٌ ولولا العَجْزُ ما كانت تَحيقُ
فكُلُّ مصائبِ الدنيا توالَتْ فَتَهْجيرٌ وتَجويعٌ وضِيقُ
ولنْ تَجِدَنَّ أرْخَصَ منْ دمانا تُراقُ! وأنتَ دَمْعَكَ لا تُريقُ
أتَلْهو؟! ما خُلِقْتَ لِمثْلِ هذا فَشَعْبُكَ في مآسيه غَريقُ
أأنتَ وَرِيثُ مَنْ فَتَحوا بِرِفْقٍ قلوبَ الناسِ؟ حَاشا لا يَليقُ
فَوَجْهُكَ منْ صَفاقَتِهِ مَرايا لِظُلْمِ الظالمينَ، وأنْتَ بُوقُ
تُرَدِّدُ ما يُقالُ بغيرِ فَهْمٍ كَضِفْدَعَةٍ يَطيبُ لها النَّقيقُ
فليتَكَ - والرَّزايا كالحِاتٌ - تُحسُّ بِهِنَّ يوماً، أو تَضيقُ
إذا لم تَسْتَفِقْ عند البَلايا فَلَسْتُ إخالُ أنَّكَ تَسْتَفيقُ



منظور لغوي للواقع السياسي

د. جمال الحسيني أبو فرحة (*)

لا شك أن اللغة مرآة للفكر، فنحن بمجرد سماعنا لشخص يتكلم يمكننا أن نحدد ـ بدرجة كبيرة ـ بلده، ونتعرف على خلفيته الثقافية والعقدية؛ بل وأحواله الصحية والنفسية إلى حدٍّ كبير، ومن هنا قال سقراط قولته الشهيرة: «يا هذا! تكلم حتى أرى مَنْ أنت».

وإذا كان هذا الأمر مشاهداً منا جميعاً، ولا يمكننا إنكاره؛ فإني أزعم أن الأمر لا يقف عند هذا الحدِّ، بل يتعدَّاه إلى أن كل لغة إنما تعبِّر عن خلفيات كثيرة لكل أبنائها، خلفيات اجتماعية وثقافية ودينية.. إلخ، أي: أنها تعبِّر عن العقل الجمعي لأربابها.

وعليه؛ فإذا أردنا أن نفهم الغرب جيداً، وخاصة في هذه المرحلة ـ التي كُشف لنا فيها عن وجهه القبيح ـ فلا بدّ أن نتوقف أمام لغته؛ لنكتشف حقيقة ما يقبع تحت هذا الستار اللفظي من أفكار وتصورات وخصائص لا بدّ لنا من معرفتها.

وأكتفي في هذا المقام بالتمثيل لما قصدتُ بكلمتين وبقاعدة لغوية في الإنجليزية. أما الكلمتان فهما: كلمة (يهودي jew)، وكلمة (فلسطيني Philistine). وأما القاعدة فهي: تقديم الصفة على الموصوف.

وأول ما نلاحظه على هذه الكلمة (jew) أنها لا تدل في اللغة الإنجليزية على اليهودي وحسب، بل لها معان أخرى.

يقول معجم (الياس): jew: يهودي، إسرائيلي، غشَّ، ضحك على.

ويجعل معجم (OXFORD) من معاني كلمة: (jew): offensive، cheat، grasping person.. إلخ.

وكلمة (offensive) تعني: مهاجم، مزعج، مسيء، مؤذٍ للشعور، ناب، منفر، خبيث، كريه، سمج، يحدث اشمئزازاً.

وكلمة (grasping) تعني: جشع، طماع.

وكلمة (cheat) تعني: مخادع، غشاش، محتال.

وهذا الربط اللغوي بين كلمة (يهودي) وهذه المعاني لا شك يعبِّر عن صورة ذهنية لليهودي في الفكر الإنجليزي مرتبطة بهذه المعاني، وهي صورة لا شك سيئة، وهي لا تعبِّر عن رأي فرد بل رأي أمة، ولا تعبِّر عن رأي عصر محدود، بل تاريخ طويل لا بدّ منه لتكتسب الكلمات معانيها المعجمية الجديدة.

على أن هذا الذي تضع اللغة يدنا عليه في دقيقة يؤكده تاريخ الأدب الإنجليزي: شعر، مسرح، رواية.. إلخ، وليس أشهر في الدلالة على هذه المعاني من مسرحية (تاجر البندقية) لشكسبير، ومسرحية (يهودي مالطة) لكريستوفر مارلو.. إلخ.

ولكن لنا أن نتساءل: إذا كانت هذه هي صورة اليهودي في الفكر الإنجليزي؛ فبماذا نفسِّر مساعدات أمريكا وإنكلترا على وجه الخصوص للدولة اليهودية؟!

وهنا نجد الإجابة من تأمّلنا لبعض التراكيب اللغوية في الإنجليزية، وأكتفي في ذلك بمثال واحد لضيق المقام، وهو تقدُّم الصفة على الموصوف، وهذا التقديم في رأيي يعبِّر عن خلفية فكرية مهمة لأرباب هذه اللغة، فهو يعبِّر عن أن نظر أصحاب هذه اللغة إلى الصفات يسبق نظرها إلى الذات المتجردة عن الصفات.

وذلك ـ في تصوّري ـ يعني أن أهمية المرء تُقدَّر بالنظر إلى صفاته لا بالنظر إلى ذاته كآدمي وكإنسان بصرف النظر عن أيِّ صفة له ككونه ذا عرق، وذا دين، وذا لغة، وذا ثقافة وحضارة، وذا مال وقوة.. إلخ.

بمعنى: أن صورة اليهودي في الفكر الإنجليزي ـ كما توضحها دلالات كلمة (jew) ـ وإن كانت مدعاة لكراهيته، إلا أنها في الوقت نفسه بالنظر إلى القاعدة اللغوية (تقديم الصفة على الموصوف) مدعاةٌ لمساعدته في إقامة وطن قومي في فلسطين؛ تخلّصاً منه ومن صفاته القبيحة بإبعاده عن الغرب، واستغلالاً لصفاته القبيحة في تحقيق أطماع الغرب الاستعمارية، حتى وإن كان ذلك على حساب إنسانية الإنسان الفلسطيني وسلبه كل حقوقه الإنسانية.

وخاصة بعد أن نجح الإعلام اليهودي في تشويه صورة الفلسطيني أمام الفكر الإنجليزي، حتى غدا من معاني كلمة (فلسطيني Philistine) في اللغة الإنجليزية كما يقول معجم (WEBSTER):

an individual guided by material rather than intellectual or artistic values.

أي: شخص تتحكم فيه المادة أكثر من العقل أو القيم الأدبية.

أو كما يقول معجم (OXFORD): «Unecultured person»

أي: شخص غير مثقف.

فتعامل الغرب مع القضية الفلسطينية من منطلق نظرته إلى صفات اليهودي القبيحة، وصفات الفلسطيني المزعومة، لا من منطلق إنسانية كل منهما وحقوقه الإنسانية التي منها محاولة الأخذ بيده لا التخلّص منه ولا سحقه.

أما اللغة العربية (لغة القرآن)، فتنظر إلى إنسانية الإنسان قبل أن تنظر إلى صفاته، فتقدم الموصوف على الصفة، فتراعي إنسانية الإنسان قبل أن تراعي أي صفة أخرى لهذا الإنسان؛ من انتمائه إلى عرق أو ثقافة أو دين مغاير، وهو ما يؤكده تاريخ العرب وواقعهم.

قد يقال: إن دلالة التركيب اللغوي على سِمَات خلقية معينة لأرباب اللغة التي تستخدمه ليست قطعية في دلالتها على هذه السِّمات، فقد نجد أرباب لغات تقدمت الصفة على الموصوف في لغتهم ولم تتقدم في نظرتهم ومعاملاتهم مع غيرهم.

وهذا في رأيي أمر صحيح، ولكنه لا يعني بحال الغضّ من شأن هذه الدلالة رغم أنها قد تختلف في بعض اللغات؛ لأنها ـ أيضاً ـ قد تتأكد في لغات أخرى إذا انضمت إليها قرائن من تاريخ طويل، وفلسفات معلنة، وأحداث معاصرة مشاهدة صباح مساء. نعم؛ إن القرينة لا تدل بمفردها وقد تتخلف أحياناً، إلا أنها أيضاً تتقوى إذا اجتمعت مع قرائن أخرى، حتى إنها قد توصلنا إلى علم يقيني ـ ما أحوجنا إليه ـ إذا كثرت واستفاضت.

وختاماً أقول: صدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ [الحشر: ١٤].

(*) أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد في جامعة طيبة ـ المدينة المنورة.



تاريخ الأندلس

والدراسات الاستشراقية الإسبانية

محمد السروتي*

يشكل تاريخ المغرب والأندلس حلقة متميزة من حلقات التاريخ العربي الإسلامي، وقد حظيت بعض محطاته بعناية كثير من المؤرخين شرقاً وغرباً. فمن المشارقة أذكر على سبيل المثال: عبد الله عنان، إحسان عباس، محمود علي مكي، حسين مؤنس... ومن المغاربة الذين اهتموا بذلك: المقري، عبد الله كنون، محمد حجي، إبراهيم حركات، محمد بن شريفة... ومن الغربيين أذكر: كوندي، دوزي، سكوت، لاين بول...

كل هؤلاء كتبوا عن تاريخ المغرب والأندلس، وهي بالطبع كتابات تختلف من كاتب لآخر منهجاً وتحليلاً، لكنها تتحد في الحديث عن أنها حضارة، وعقيدة، وعن فكرة إنسانية، وعن تجربة عمرت زمناً، واختلفت اختلافاً جذرياً عمًا كان سائداً.

والسؤال المطروح في بداية هذا المقال: ما الغاية التي نتغياها من وراء دراسة تاريخ الأندلس؟ وما الفائدة التي نرجوها من ذلك؟ وما هي نظرة المستشرقين الإسبان لتاريخ الأندلس؟

الحقيقة أن مثل هذه التساؤلات هي التي رسمت ووجهت المسار العلمي للمؤرخ (حسين مؤنس) وكان لها أكبر الأثر في اختياره التخصص في تاريخ الأندلس.

فهل دراستنا لهذا التاريخ هي من أجل البكاء على ضياع الأندلس؟ أو كما قال المؤرخ الإسباني (بول برودل): «أنا أعرف أنكم - والكلام موجه هنا للعرب عامة، و لحسين مؤنس خاصة - تحبون القراءة عن الأندلس؛ لأنكم تحبون البكاء عليه، وأنا معكم في أنكم أسديتم إلى إسبانيا خدمات كبرى وقلوبكم كلها حزن عليه، ولكن الحزن لا مكان له في العلم؛ فإذا كنت سترضى بالتخصص في الأندلس فأرجوك ألا يكون ذلك تخصصاً في البكاء».

لذا وجبت دراسة تاريخ الأندلس بروح المؤرخ المتجردة عن العواطف الإيجابية أو السلبية لضمان دراسة موضوعية وعلمية نزيهة؛ فالمؤرخ يجب أن يكون كالطبيب الجراح في عمله؛ لأن الطبيب الناجح لا بد أن يجد لذة في الجراحات، ولا بد أن يستمتع بالقطع والدخول في الجراح، ولكنه كإنسان لا يمكن أن يحب هذا العمل.

وتبقى الغاية الأساسية من دراسة هذا التاريخ بالإضافة إلى توخي الموضوعية والعلمية المذكور آنفاً، أنها عبرة مهمة للاتعاظ؛ فهي تقدم لنا قصة طويلة مُشْجِيَة من تقلُّب المصائر والحظوظ، تتناوبها صور متباينة من القوة والعظمة، والضعف والانحلال، والاتحاد والتفرق، والنعماء والضراء، ولكن يميزها دائماً ذلك الطابع الحضاري المؤثر، الذي جعل من الأندلس المسلمة، أمة نموذجية عبقرية، تتفوق على سائر أمم العصر بعلومها وفنونها، والتي استطاعت بها تحويل القفار الإسبانية الموحشة إلى حدائق مزهرة وحقول غناء، بهرت بها الجيران في

(*) باحث (دكتوراه) في تاريخ الإسلام وحضارته. جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة - المملكة المغربية.

شبه الجزيرة من الممالك النصرانية، كما بهرت أمم الفرنج الأوروبية، التي كانت تتخبط في موجات من الجهالة والتأخر.

● الاستشراق في اللغة والاصطلاح:

أ- الاستشراق لغة:

الاستشراق لفظة لم ترد في المعاجم العربية المختلفة، (أتحدث هنا عن المصادر) مثل لسان العرب لابن منظور أو القاموس المحيط للفيروز آبادي(١).

ولكن يمكن تفكيك اللفظة؛ فهي مشتقة من الشرق، وهي تعني مشرق الشمس وترمز إلى هذا الحيز المكاني من الكون.. أما إذا أضيف إليها الألف والسين والتاء (أي الاستشراق) فهي تعني طلب الشرق، أي علوم الشرق وآدابه وأديانه بصورة شاملة؛ هذا في معاجم اللغة العربية. أما في اللغات الغربية فهناك من يرى أن المقصود بالشرق ليس الشرق الجغرافي، وإنما الشرق المقترن بمعنى الشروق والضياء والنور(٢).

ب - أما في الاصطلاح، فأود الإشارة في البداية إلى أنني سأتوقف عند نماذج لتعريفات معينة، ولن أدخل في تفاصيل ما قدم من تعريفات وخلافات حول المفهوم، تكاد تتعدد باختلاف الباحثين في هذا المجال، ويمكن للباحث تصفح الدراسات التي كتبت حول الموضوع ليتبين له كثرتها وتعددها، ولذا آثرت ذكر تعريفين هما:

■ الأول: أكاديمي صرف، وهو التعريف الذي قدمه (أحمد سمايلوفتش) حيث قال: «علم الشرق أو علم العالم الشرقي. ويشمل كل ما يتعلق بمعارف الشرق من لغة وآداب وتاريخ وآثار وفن وفلسفة».

■ الثاني: تعريف رحب واسع، أطلقه إدوارد سعيد: «الاستشراق هو أسلوب في التفكير قوامه التمييز الوجودي والمعرفي بين غرب قادر على معرفة نفسه، وشرق عاجز عن معرفة ذاته، وقابل لمعرفة الغرب لها»(٣).

وأوضح أنور عبد الملك في دراسته الرائدة «الاستشراق في أزمة» (١٩٦٣) أن المشكلة في التخصص الاستشراقي مزدوجة: هناك أولاً: النقد الاستعماري الذي يعتبر الاستشراق بطرائقه الفيلولوجية والتاريخانية من مواريث عصر الاستعمار. وهناك ثانياً: النقد العلمي الذي يعتبر أن الاستشراق لم يفد من الثورة الحاصلة في العلوم الاجتماعية والتاريخية. وجاءت دراسة إدوارد سعيد عام ١٩٧٨ التي أثبتت (أو أقنعت بذلك) أن الاستشراق تخصص استعماري، أي انه نشأ في حضن الاستعمار، ونقل أطروحاته، أو أنه حشر الإسلام والشرق في صورة أشبعت وتُشبع طموحات الغرب ومطامعه في استعمار واستمرار امتلاك الإسلام والعالم الإسلامي(٤).

لا بد من الإشارة في البداية ولو في عجالة للدوافع الأساسية لهذه الظاهرة، ويمكن إجمالها في ثلاثة أمور أساسية وهي:

١ - دوافع دينية تنصيرية.

٢ - دوافع سياسية استعمارية.

٣ - دوافع علمية صرفة.

● المدرسة الاستشراقية الإسبانية:

إن غياب الأندلس عن ذاكرة الإنسان العربي، بعد سقوطها في أيدي الإسبان صاحَبَهُ حضور قوي للأندلس والأندلسيين في واقع الأمة الإسبانية، التي تشكّلت في شبه الجزيرة الأيبيرية عقب سقوط غرناطة.

وهكذا نشط الاستشراق الإسباني، منذ مطالع القرن التاسع عشر، وظهر التراث الأندلسي لأوائل المستشرقين الإسبان «كنزاً» ثميناً، فأقبلوا عليه جيلاً بعد جيل، يدرسونه ويقوِّمونه، مقدرين ما ينطوي عليه من الإبداع والمعارف والعلوم. فعدُّوا المخطوطات الأندلسية تراثاً لهم، ولذا أخذوا في ترجمة بعضها إلى الإسبانية ودراستها، والاستفادة من مادّتها الغزيرة، الأدبية والعلمية، مثل تآليف (ابن الفرضي) و (ابن بشكوال) و (الضبّي) و (ابن الأبّار).



(١) محمد عبد الواحد العسري: الفكر الإسلامي بالأندلس في تصورات الاستشراق الاسباني - أعمال المؤتمر الدولي حول الأندلس، قرون من التقلبات والعطاءات - ق: ٢- ص ٢٥٣.

(٢) عبد الله علي العليان: الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف. المركز الثقافي العربي، ط: ١- ١٩٩٦م. ص: (٩) وما بعدها.

(٣) إدوارد سعيد: الاستشراق المعرفة السلطة الإنشاء. ترجمة كمال أبو ديب، ط: ١ ١٩٨١م.

(٤) http://forum.nadyelfikr.net/viewthread.php?fid=5&tid=11806&page=1&pid=67240
رضوان السيد الحياة ٢٠٠٣/٠٤/٢٧م.

وقد نشأ الاستشراق الإسباني في أحضان حركة عدائية لكل ما هو عربي ومسلم، وكان هدفها التحقير والانتقام والتشويه، وقد وصف المستعرب الإسباني (خوان غويتسولو) في كتابه (في الاستشراق الإسباني)[1] نماذج من هذا النوع حين يكتبون عن الإسلام والمسلمين بقوله: «إنهم إنما يكتبون ويتصرفون وينطقون باسم المسيحية في مواجهة حضارة متدنية، وفي أفضل الأحوال فإن استحضار الماضي المجيد الذي عرفه العالم الإسلامي يدفعهم إلى التفجُّع على نحوٍ متحذلق على الانحطاط الحالي (الذي كان في رأيهم محتماً ولا مناص منه) وعلى عجزه الطبيعي عن هضم التقدم الأوروبي».

ووصف (غويتسولو) دراسات المستشرقين الأسبان للغات الإسلامية بأنهم يدرسونها كما لو كانت «لغات حضارات منقرضة، ومقطوعة عن اللغات الحالية التي هي وريثها الشرعي، حاكمين عليها بذلك أنها تشكل عدماً أو ما هو أقل من العدم».

واختلط الدافع الديني الحاقد بدافع استعماري سياسي حينما بدأت حركات الاحتلال الأوروبي للعالم الإسلامي وطمعت إسبانيا في المناطق المجاورة لها، فجندت مستشرقيها لإعداد الدراسات لمعرفة مواصفات السكان وطبائعهم وتجارتهم وزراعتهم، وكذلك معرفة اللغات واللهجات المحلية، وقد أنشأت الحكومة الأسبانية العديد من المراكز لتعليم العربية والعامية المغربية، وقد تجاوزت الخمسين مدرسة. وما تزال إسبانيا تحتفظ بالكثير من المخطوطات العربية في مكتباتها الكبرى كمكتبة الاسكوريال، ومكتبة مدريد الوطنية، ومكتبة جمعية الأبحاث الوطنية.

أياً كانت ميول المستشرقين الإسبان وفئاتهم، فإنها تنطلق من موقف ديني نصراني موحد هو عدم الاعتراف الكامل بمساهمة الحضارة الإسلامية الأندلسية في النهضة الأوروبية. والمستشرقون الإسبان اعتزّوا بالتراث الأندلسي الباقي في بلادهم، وجعلوه (إسبانيّاً دماً)، مُغْفِلين، أو متجاهلين أنه (إسلاميُّ الروح)[2].

● منطلقات الدراسات الاستشراقية الإسبانية:

١- التحليل العرقي:

عندما انطلقت الأيديولوجيات التي كانت سائدة في أوروبا لتناول مجموعة من المواضيع، ومن بينها: العمارة، المدينة... كان دائماً المعتمد أو السند هو البحث عن الأصل الإغريقي الروماني؛ فنجد على سبيل المثال (كلوديو سانشيز) يحلل المجتمع الأندلسي بتحليل عرقي منطلقاً من دعوى مفادها أن التركيبة السكانية في الفتوحات الإسلامية الأولى كانت قليلة من حيث العدد، وهذه القلة العددية لم تستطع أن تؤثر الأثر الكبير في السلالة الإسبانية التي كانت كبيرة وواسعة الانتشار، وقد قاد هذا التعصب إلى حد اعتبارهم عمالقةَ الفكر الأندلسي كـ (ابن حزم) وغيره إسبانيين؛ لأن الإسلام - في نظرهم - دين شبقي عاجز عن إنتاج مثل أولئك العمالقة، وحتى (ابن الحاج القرطبي) واضع أكبر ناعورة في فاس أرجعوا ذكاءه وألمعيته إلى تكوينه في وسط أسرة مسيحية، رغم أنه كان من الفقهاء الذين خلَّفوا ثروة علمية هامة.

٢ - الدراسات الاستشراقية الإسبانية تتحدث بالأساس حول استبداد الشرق وعدم استقلاله وهذا النمط من التحليل ساد في معظم الدراسات.

٣ - قضية إلغاء الفرد أو الفردية، وهي ظاهرة موجودة في جل الدراسات الاستشراقية، ومفاد هذه النظرة التركيز على بعض القبائل التي كان لها القدرة على التسيير الذاتي، وهو أمر استعمل في تحليل جل المجتمعات، ومثال ذلك التركيز على المجتمع المغربي من خلال إبراز الفسيفساء الاجتماعية التي كانت عائقاً أمام الوحدة السياسية، في بعض الفترات التاريخية.

وجدير بالذكر أن هذه المنطلقات التي تحكمت في الدراسات الاستشراقية الإسبانية، هدفت بالأساس إلى ترسيخ مجموعة من المفاهيم في ذهن المتلقي، من بينها:

■ أن الوجود الإسلامي في الأندلس كان بمنزلة وجودٍ كارثي، لكن سرعان ما امَّحى مع حروب الاسترداد بالأندلس.

■ أن قيم الجدة والنبوغ في العطاءات الأندلسية لا يمكن فهمها إلا بالدم الإسباني؛ فـ (ابن القوطية) مثلاً في نظرهم كان مرتبطاً بالفكر الهلّيني. و (ابن حزم) في كتابه (طوق الحمامة) كان من المتأثرين بالروح المسيحية أكثر من تأثره بالروح الإسلامية؛ لأن الروح الإسلامية في نظرهم روح عاجزة عن إبداع مثل تلك الأحاسيس الجياشة.

● تميز المسلمين باللاعقلانية، وبعقيدة جبرية، وبشبقية حيوانية:

للمدرسة الاستشراقية الإسبانية خصوصيات، منها أن المستشرق الأسباني (ميكال بارسو) يرى أنه لا يمكن إدراج

(١) خوان غويتسولو: في الاستشراق الإسباني، ترجمة كاضم جهاد (بيروت، ١٩٨٧م) ص: (١٦٥).

(٢) أحمد عبد الرحمن الكامون: التراث الإسلامي الأندلسي في ميزان الاستشراق - أستاذ اللغة والحضارة الإسبانية، بوجدة.

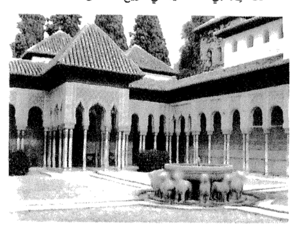
الدراسات الإسبانية ضمن الكم الهائل من الدراسات الاستشراقية؛ فقد تم تقدير حوالي ٦٢ ألف عنوان أنجز ما بين ١٨٠٠م –١٩٥٠م، كان فقط حول الإسلام والمسلمين.

لكن لا يمكن الوقوف على خصوصيات الدراسات الاستشراقية الإسبانية إلا من خلال معرفة المحيط السياسي المؤثر فيها، ومنه تقسيم هذا الخطاب إلى ما يلي:

١ – هناك خطاب رجعي عدمي تعود جذوره إلى مرحلة طرد (الموريسكيين)، ويهدف هذا الخطاب إلى محاولة محو الوجود الثقافي للعرب والمسلمين في الأندلس.

٢ – وفي المقابل هناك خطاب ليبرالي متعاطف مع (الموريسكيين) من قِبَل طبقة تقليدية محافظة ومن أمثالها (كوندي) و(سافيدرا).

٣ – وهناك أيضاً خطاب مدافع ومنافح عن الثقافة العربية الإسلامية في الأندلس، ومن هؤلاء أذكر على سبيل المثال: (أمريكو كاسترو) الذي أكد في غير ما مرة على الخصوصية الثقافية الإسلامية ومساهمتها في تاريخ الأندلس، ودافع عن الحضور الإيجابي للمسلمين في تاريخ الأندلس.



الإسبانية إلى ثلاثة أقسام:

١ – **مغرضين:** ونموذج هذه الفئة المستشرق (كلاوديو سانشيث البرنوث) وله كتابان: (إسبانيا الإسلامية)، (إسبانيا الإسلامية والغرب).

٢ – **معتدلين... ولكن:** ونموذج هذه الفئة المستشرق (إميليو جاريا جومث).

٣ – **منصفين:** وتتكون من مجموعة من الشبان الذين تخلصوا من كابوس محاكم التفتيش ومن عقدة نقاوة الدم. ففي المجال الأدبي نذكر: (خوان غويتسولو)، (أنطونيو غالا)، (أنطونيو مونيوز مولينا)، (رامون مايراتا) في روايته: (علي باي العباسي)[٢].

لكن رغم اتصاف هؤلاء بالإنصاف (ونموذج ذلك غالا) نجد الصورة التي رُسمت بها الشخصية الإسلامية في روايته (المخطوط القرمزي)[٣] كانت صورة سلبية جداً؛ فهي تمثل أخلاقيات ومعايير مجد زائل؛ وذلك في مقابل الشخصيات المسيحية التي تمثل إرهاصات مُلك في طريقه إلى الوقوف على قدميه، وإن كان ذلك يستند إلى دعائم واهية[٤]. و«الوله التركي» لا يقل سلبية في وصفه للمرأة المسلمة، (والصورتان السابقتان لغلاف الروايتين).

● خاتمة:

إن جل الدراسات التي درست الظاهرة الاستشراقية، كانت ذات رؤية قاصرة لم تتجاوز عتبة الوصف والتجميع المعجمي ذي الطابع المدرسي، ولم تَرْقَ إلى مجال التحليل والنقد العلميين، فبقيت سجينة رؤية تقريظية تسجل للمستشرقين ما لهم وما عليهم[٥].

ومنها دراسات انخرطت في بلورة استنساخ ردود فعل انفعالية ومتشنجة، اكتفت برد مجموع الجهد الاستشراقي إلى أهواء ورغبات المستشرقين وميولهم المتربصة بالإسلام والعرب، انطلاقاً من مواقف وميول واضحة[٦].

وعليه؛ فإن معالجة إشكالية الاستشراق في مختلف دراساته، يجب أن تتم بعيداً عن تناول أغراض ونوايا وميول المستشرقين، والابتعاد في الوقت نفسه عن الانزواء داخل منهجية الانتماء الملي العقدي؛ لأن الهدف الأساس هو النفاذ إلى إشكالية الاستشراق والحفر في مكوناتها، وآلياتها التي تسمح بوجودها؛ وبهذا يستطيع الباحث الوصول إلى الخيط الناظم، ويقف على المنطلقات الأساسية لهذه الدراسات. وجدير بالذكر أن هذه العملية دشنها (سالم يفوت) في كتابه: (حفريات الاستشراق: في نقد العقل الاستشراقي).

---

(١) أحمد عبد الرحمن الكامون: التراث الإسلامي الأندلسي في ميزان الاستشراق – أعمال المؤتمر الدولي حول الأندلس، قرون من التقلبات والعطاءات... م س.

(٢) رامون مايراتا. علي باي العباسي: مسيحي في مكة، ترجمة: رفعت عطفة، منشورات ورد– ط: ١–١٩٩٩م. والمعروف أن (رامون) كان من الجنود الذين خدموا إسبانيا في الصحراء المغربية إبان حكم (فرانكو) وهي تجربة مكنته من معرفة الشخصية الإسلامية عن قرب.

(٣) أنطونيو غالا: المخطوط القرمزي: مذكرات أبي عبد الله الصغير آخر ملوك الأندلس، منشورات ورد– ط: ٢٠٠٢م.

(٤) محمد أبو العطا: نافذة على الغرب: المخطوط القرمزي، لأنطونيو غالا – مجلة الفيصل العدد: ١٨٧– سنة: ١٩٩٢– ص: (٩٩–١٠٤).

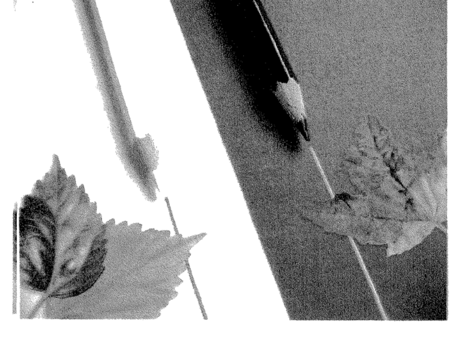
(٥) عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، بيروت: ط: ١٩٨١م

(٦) سالم حميش: الاستشراق في أفق انسداده. ط: ١٩٩١م.





الفساد والصلاح الإداريان وأثرهما في ازدهار التنمية



حامد محمد ادريس (أريتيري)

إن حركة التنمية في كل بلد تتوقف على الأخلاق الإيجابية التي يتحلى بها الراعي والرعية، ومتى اعوجت أخلاقهما فقد أثر ذلك الاعوجاج على التنمية الوطنية سلبا. وهذا الموضوع يعالج هذه القضية من الناحية الشرعية في زمن كثر فيه الفساد الإداري في كثير من البلدان في التعامل بين الطرفين (السلطة والشعب).

● أولاً: الفساد الإداري وأثره السلبي في التنمية:

● تعريف الفساد الإداري:

كثيراً ما نسمع عن مصطلح الفساد الإداري، وهو وصف تتهم به المؤسسات الحاكمة كثيراً من البلدان، ويطلق على **تركيبة من الصفات السيئة يتحلى بها كثير من الموظفين، تؤدي إلى نمو المصلحة الخاصة بطرق غير مشروعة وباستغلال المناصب الوظيفية على حساب المصلحة العامة للوطن.**

فإذا اهتم موظفو الدولة بأنفسهم واستغلوا مناصبهم لتحقيق مصالحهم الخاصة فهذا مؤشر لوجود فساد إداري عام في أجهزة الدولة التي تبلى بهذا الفساد؛ مما ينذر بكارثة تنموية بسبب الكارثة الأخلاقية التي أصيب بها الجهاز الحاكم. والناس يراقبون سلطتهم السياسية أكثر مما تراقب هي الأمة؛ فإن وجدوها تعد بمشروعات ولا تفي بها، وتعلن عن إنجازات لم تحققها، ويرون موظفها لا يقبل معاملات الجمهور إلا بدفع الرُشا (جمع رشوة)، ويعانون من ضياع حقوقهم لانتفاء العدل تحت ظل استشراء المحسوبية والجهوية والفئوية؛ فإنهم يقطعون بأن أخلاق نظامهم قد أوشكت على الانهيار، فتبدأ المسافة تتباعد بين الشعب والسلطة الحاكمة، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى الانحطاط التنموي؛ وذلك لعدم وجود تعاون بنَّاء بين السلطة والشعب وبين أجهزة الدولة نفسها، وإن هذا ناتج عن مجموعة من الأخلاق السيئة التي يتسم بها الإداريون في تلك الدولة.

الأصل أن من واجبات الدولة حماية أخلاق الناس من الانحراف، ليس فقط حماية أخلاق من يعمل تحت جهازها الإداري؛ وإنما من واجبها أن تطوف في الأسواق لمعرفة أخلاق الناس وحمايتها وإرشادها وتقويمها على النحو الذي وضحه الحديث الآتي:

مر رسول الله ﷺ على صُبْرة طعام، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟» فقال: أصابته السماء يا رسول الله! قال: «أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟! من غشنا فليس منا» رواه مسلم.

ومراقبة سلوك العاملين بالدولة مثل مراقبة أخلاق عامة الناس، حتى لا تنتشر العدوى الأخلاقية السلبية من أعلى السلطة إلى أدنى الأمة، وهي أضبط كذلك وأيسر؛ لمحدودية

(✽) دكتوراه في الدراسات الإسلامية (قيد التحضير في جامعة النيلين - السودان).

العدد، ولوجود إمكانية المراقبة الدائمة. وأفضل المراقبة أن يتلقى موظفو الدولة دورات تربوية مستمرة في الأخلاق السامية التي تتعلق بعملهم؛ من أجل أن تؤسس رقابة ذاتية داخلية للموظف كما أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ، فقد كان يتخول صحابته بالموعظة بين فترة وأخرى.

الغش خلق ذميم وجده رسول الله ﷺ في السوق فأخذ يوجه مرتكبه توجيهاً يحمل تعنيفاً شديداً «من غشنا فليس منا» أي إن صفة الغش إذا اتصلت بإنسان أصبح غير صالح ليكون عضواً في المجتمع المعافى؛ لأنه سيكون عامل هدم للتنمية الوطنية، وهو أمر غير مرضي عنه. ولهذا يلزم إبعاد الغاشين عن الوظيفة العامة؛ لأنهم عناصر غير منتجة وغير مؤدية لواجبها المطلوب منها.

◎ من الأخلاق السالبة:

إن الفساد الإداري في أجهزة الحكم تعبير عن وجود مجموعة من الأخلاق السيئة التي يتحلى بها بعض الموظفين، وبموجبها قد انصرفت رسالتهم الأساسية من أداء الأمانة والقيام بواجب الوظيفة التي يتلقون الأجر مقابلها إلى مآرب أخرى خاصة بهم، وهي تنهك التنمية في أي بلد؛ لكنهم لا يبالون بمصلحة العامة ولا يهمهم تحقيق هدف رقي الوطن وتنميته.

يأتي على رأس الأخلاق السلبية التي تؤدي إلى الفساد الإداري الكذب والخيانة والغدر والفجور في الخصومة كما يوضحه الحديث النبوي الشريف:

«أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» متفق عليه.

إن الموظف الذي يتسم بهذه الأخلاق يعمل في إعاقة تنمية وطنه، فهو يكذب مع مسئوليه ومع الناس، ويخون الأمانة التي فرضت عليه إن لم يقمْ بواجبه الوظيفي حق القيام، وهو يغدر بالعهد الذي أُخذ عليه يوم تقلد الوظيفة، وربما يظهر منه الفجور في الخصومة مع مخالفيه مستغلاً موقعه الوظيفي. وأي تنمية تأتي على يد من تتجمع في أخلاقه صفات الشر والنفاق من الكذب والخيانة والغدر والفجور؟!

◎ صور من الفساد الإداري:

إن الأخلاق الذميمة التي سبق ذكرها إذا سادت في الجهاز الحاكم فسوف تجد مظاهرها وصورها في كل مرافق الدولة؛ فتحت تأثير هذه الأخلاق السيئة سيكون كل موظف يبحث عن مصلحته الخاصة ولا يهتم بواجبه المطلوب منه فمثلاً: شرطي المرور يظل همه الأكبر إيقاف السيارات المخالفة ليس لتأديب أصحابها على مخالفة ارتكبوها؛ وإنما يتم إيقافها سروراً بما يرجى من رزق حرام يأخذه من سائقها، وقد يتعين مقداره باتفاق بين السائق وبين الشرطي؛ الذي يصبح موقعه الوظيفي عامل تهديد يزيد الضغط على السائق حتى يدفع، ويُفَضِّل الطرف الضعيف تسوية الأمر بتكلفة أخف مما لو مشى إلى مركز الشرطة لسداد الفاتورة لصالح خزينة الدولة.

وضابط الجوازات والجنسية قد يتخذ لنفسه مجموعة من الوسائط والسماسرة الذين يسعون بينه وبين المستفيدين لعقد صفقات تتيسر بموجبها المعاملة، ولو لا هذه الصفقات لتعقدت الأمور؛ لأن المستفيد كلما وفّى بشرط ابتكروا له شرطاً آخر إلى ما لا نهاية.

وفي ظل سيادة الفساد الإداري يصبح موظفو المطارات والموانئ بوابة دخول وخروج المحظورات تحت مظلة (الظرف المغلق، أي الرشوة) التي تتم بينهم وبين الفئات التي تحيا في الأجواء الفاسدة ولا ترضى بالقانون ليضبط حركتها. وعبر هذه البوابات يمكن أن يخرج من البلد مجرمون ويأتي إليها مجرمون، ويمكن أن تباع الثروات العامة بثمن بخس، ويمكن كذلك أن تسرب إلى البلاد عبر بواباتها بضائع وسلع خارجية تحارب الاقتصاد العام وتعيق حركة النمو الاقتصادي.

وفي ظل الفساد الإداري أيضاً يصبح الحصول على الوظيفة في الدولة أو فقدانها مبنياً على المحسوبية، فيقال الموظف الصالح، ويعين الموظف الطالح، ويوسد الأمر إلى غير أهله. في كل ذلك لا يبالى بالمعيار الأخلاقي الذي وضعه رسول الله ﷺ لتقليد الولايات والوظائف: «من استعمل في عصابة رجلاً، وفي تلك العصابة من هو أرضى لله منه، فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين» وقوله: «إنا لا نعطي هذا الأمر من طلبه، ولا من حرص عليه».

ومن صور الفساد الإداري في بعض البلدان التلاعب بالأراضي، واستغلال المناصب لسلب حق الناس فيها. ولمواجهة هذا الخلق السلبي جاءت النصوص الشرعية تحرم الظلم:

«من أخذ شبراً من الأرض ظلماً طوقه إلى سبع أراضين» متفق عليه.

«من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين» متفق عليه.

فإن كان الوعيد السابق يخص ما يتعلق من فساد إداري في الأراضي الذي بموجبه يُحرم من حقهم قوم لصالح قوم آخرين لا يستحقونه؛ فإن هناك نصوصاً أخرى تحرم على كل الإدارات الفاسدة أن تمتد يدها وبطشها إلى العباد فقد قال ﷺ:

«من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة. فقال رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ فقال: وإنْ قضيباً من أراك» رواه مسلم. وردعاً لهؤلاء الذين يستغلون مناصبهم ويسعون في الأرض فساداً ويبنون مصالحهم بظلم الآخرين قال ﷺ لصحابته:

«أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار» رواه مسلم. فهذا الموظف الذي يستخدم سلطته لسلب أموال الناس والتعرض

لأعراضهم والاعتداء على دمائهم البريئة جزء من منظومة إدارية فاسدة أخلاقياً، لا يستحقون ما هم عليه من مناصب، وذلك لأن المنصب أمانة، وهؤلاء خانوها، وإن هدف المنصب بناء ونماء الوطن، وهؤلاء لا ينمّون إلا مصلحتهم الشخصية بمضرة الآخرين، ولا يشيِّدون إلا ما يخصهم على حساب نمو وتقدم الوطن. ولهذا فهم يستحقون ما قال في حقهم رسول الله ﷺ: «إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة». رواه البخاري. وهذا يشمل كثيراً من الأجهزة الحكومية التي تشرف على المال العام وتشرف على الإدارة العامة ائتُمنت على خزينة الدولة صرفاً وإيراداً وكلفت بواجب تنمية الوطن، فبأخلاقها المنحرفة خانت الأمانة وأعاقت مسيرة الأمة وتقدم الوطن وتنميته.

فأي وطن هذا الذي ينمو وقد ذهبت إيراداته على يد جباتها من موظفي الشرطة ورجال الجمارك وموظفي مصادر ميزانية الدولة؟! وأي وطن هذا الذي ينمو وقد ذهب ما جمع في خزانته اختلاساً بيد حماتها؟!

ومما يدخل في الفساد الإداري غياب الموظف عن محل عمله بلا عذر شرعي، أو جلوس الموظفين متحلقين في أحاديث فراغ خلال ساعات الدوام، أو قعود الموظف على كرسيه نائماً مُعطِّلَ الفكر والذهن، مجمد العمل والإنتاج، يهتم فقط بتسجيل الحضور والانصراف حفاظاً على وظيفته، دون أن ينظر ما الذي أضافه لتنمية الوطن، ومقابل أي شيء يتلقى الراتب الشهري من خزينة الدولة، ولا يفكر في المراجعين من الأمة الذين يزورون مكتبه راغبين في إنجاز معاملاتهم، وهو يردهم خاسرين بترحيل أجل المعاملة من تاريخ إلى تاريخ وأحياناً كثيرة يغيب عن موقع عمله، فيظل المراجع مرابطاً أمام المكتب من بداية دوام إلى نهاية دوام... وهكذا دواليك. إن مجمل هذه الخلطة السيئة من الأخلاق هي التي توصف بالفساد الإداري الذي يعمل في إعاقة مسيرة التنمية في أي بلد، ويضر بمصالح الأمة.

● ثانياً: الصلاح الإداري وأثره الإيجابي في التنمية:

● تعريف الصلاح الإداري:

إذا كان الفساد الإداري عامل هدم لتنمية أي بلد فإن الصلاح الإداري يأتي ليحل محله، فإذا تجمعت في الجهاز الموظف في خدمة الدولة بمختلف فروعها مجموعة من الأخلاق الحميدة من الصدق والوفاء والأمانة والعفو والإخلاص فإن العافية تسود، الأمر الذي يبشر بالنمو والتقدم والتطور. ويترتب على عدم الوفاء بالعقود ما دلت عليه كثير من النصوص الشرعية ومنها قول الله - تعالى -: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٤]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ② كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ - ٣].

هذه نصوص شرعية توجب على كل موظف مراعاة العقد المبرم بين الأمة وبينه، وبينه وبين ربه، ولهذا كان من المفروض عليه أن يتصف بكل خلق حميد يساعد في أداء واجبه المناط به.

● صور من الصلاح الإداري:

وإذا أردنا أن نضرب أمثلة للصلاح الإداري الذي يعمل على ازدهار التنمية نجد أنه لا بد أن يكون الفرد الموظف في الدولة صالحاً، والمراد بصلاح الموظف اتصافه بالأخلاق الحميدة التي تثمر مراعاته حق الدولة في عمله وحق الأمة، فهذان ميدانان تظهر فيهما صلاح أخلاق الموظف، ومن صلاح الأفراد الموظفين يتكون الجهاز الإداري الصالح، ومنه يأتي الأداء الإداري الصالح.

يدخل العمل الوظيفي في الدولة في باب الأمانات العامة التي يلزم أن يؤديها موظفوها، فمنذ أن يتم تعيين الموظف وجب عليه القيام بأداء عمله وفاءً بالأمانة التي أمر الله بأدائها. قال - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]. ولأن الوظيفة العامة خدمة للأمة؛ فإن شاغلها يلزمه أن ينظر إليها بهذا المعنى، فمن اتخذها مطيةً لخدمة فئة دون فئة دون عموم الأمة فقد خان ولم يقم بواجبه المطلوب منه.

الحرص على جودة العمل وإتقانه:

ومما يدخل في الأخلاق الحميدة أن يجتهد الموظف في جودة عمله وإتقانه. وهذه درجة زائدة على الأداء العادي للواجب الوظيفي، وقد جاء الحديث الشريف مرشداً على مثل هذه الدرجة من العمل: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»، وحديث: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء»، وحديث: «اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

التعامل الطيب مع الناس:

ومما يأتي ضمن الأخلاق الحميدة أن يتعامل الموظف مع الناس رؤساء ومرؤوسين بالأخلاق الطيبة معاملة وتخاطباً فـ «الكلمة الطيبة صدقة» «وتبسمك في وجه أخيك صدقة» «ولا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق...»، وأن يتحلى بالسماحة امتثالاً لقول النبي ﷺ: «رحم الله امرأً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى». وبعد أن يتحلى موظف الدولة بكل الصفات الحميدة من الإخلاص والسماحة والطيبة وحسن التعامل وإجادة العمل يلزمه من خلال الوظيفة القيام بمراعاة حقين اثنين: حق الدولة، وحق المواطن، حتى يكون لبنة في بناء الجهاز الإداري الصالح، فهو يتحرك أحياناً في ميدانين متقابلين: قوي مسلط

(الحكومة)، وضعيف مسلط عليه (المواطن)، وعليه أن يعطي كل ذي حق حقه.

أ - مراعاة الحق العام (حق الدولة):

مع ضرورة الامتثال بالخلق الطيب في تعامله تقع على عاتق الموظف مراعاة حق الدولة، فلا يجوز أن يفرط فيه إرضاءً لأهله وعشيرته أو معارفه وأصدقائه أو مصالحه ومنافعه. فإنْ صَرْفُ حق الدولة، من وقت ومال وأمانة، إلى غير الدولة خيانة كبيرة تستحق المؤاخذة الدنيوية والمؤاخذة الأخروية، وقد جاءت عدد من النصوص الشرعية تعد خيانة الدولة ضمن الجرائم الكبيرة، حتى وإن كانت الخيانة صغيرة في نظر مرتكبها أو بالنظر إلى حجمها، مصداق ذلك قوله ﷺ في حق عامله (ابن اللتبية): «أما بعد: فإني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله، فيأتي فيقول: هذا لكم وهذا هدية أهديت إلي. أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً؟! والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله - تعالى - يحمله يوم القيامة» متفق عليه. وفي حديث آخر: «كان على ثَقَل (أي العيال، وما يثقل حمله من الأمتعة) النبي ﷺ رجل يقال له: كِركِرة فمات؛ فقال رسول الله ﷺ: هو في النار. فذهبوا ينظرون إليه، فوجدوا عباءة قد غلها» رواه البخاري. والأصل في الغلول السرقة من الغنيمة قبل قسمتها، ولأن حرمة الغنيمة أتت من كونها مالاً للدولة - وليس من كونها أخذت في حرب -؛ جاز القياس عليها لتضم كل مال تابع للدولة سواء دخل في خزينتها، أو تمت إعاقة وصوله إلى الخزينة العامة بواسطة الجباة الخونة، فيصدق الغلول المحرم - إذاً - في أي قدر من المال العام يوجه إلى المصلحة الخاصة دون إجازة من السلطة بل ودون علمها. ومن صلاح الجهاز الإداري في الدولة أن يقوم موظفوها العاملون في الموارد المالية بتوريد ما يتحصلون عليه من مال إلى الخزينة العامة دون أن يخفوا منه شيئاً ولو كان صغيراً ويسيراً في نظرهم؛ كما دل عليه قوله ﷺ: «من استعملناه منكم على عمل فكَتَمَنَا مِخْيَطاً فما فوقه كان غلولاً يأتي به يوم القيامة». رواه مسلم. وبمثل هذه الأخلاق يقاس صلاح الجهاز الإداري في الدولة ويعد قائماً بواجبه.

إن من امتثل بهذه الأخلاق الحميدة هو الجهاز الإداري المعافى الذي يعمل في تنمية الوطن، ومن دلائل عافيته أن كل موظف يزيد خزينة الدولة وارداً من المال خاصاً دون اختلاس أو خيانة، ودون غش أو خداع أو كذب. ومن درهم إلى درهم يأتي به الجباة المخلصون الأمناء في مختلف وزارات الدولة ومصالحها وأجهزتها تُملأ خزينة المال العام، وبه تؤسس المشروعات التنموية التي يقوم برعايتها الأمناء المخلصون، المجتهدون، الحريصون على تنمية الوطن، المجيدون لعملهم، المتقنون له والمبتكرون فيه.

ب - مراعاة حق المواطن:

سبق أن ذكرنا إجمالاً أن موظف الدولة عليه واجبان يقوم بهما؛ أحدهما تجاه الدولة كما سبق بيانه، والآخر تجاه المواطن. وإن أي تقصير في أحد هذين الواجبين يعد خيانة للأمانة. وإذا كانت الدولة تطالب الموظف أن يستوفي حقها من المواطن سواء تعلق هذا الحق بضريبة لازمة، أو غرامة على مخالفة، أو زكاة واجبة، أو رسوم معاملة، أو فواتير خدمة، أو تعلقت بتحصيل مالي خاص مقرر بوجه شرعي لمصلحة عامة؛ فإن من حق هذا المواطن، بعد أن يقوم بما عليه من واجب، أن يَسلَمَ من أذى الموظف الحكومي في دمه وماله وعرضه كما يدل عليه قوله ﷺ: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، وفي بلدكم هذا» متفق عليه. وقوله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وعرضه، وماله» رواه مسلم.

فإذا تعدى الموظف على حقوق المواطن وحرماته بعد استيفاء حق الدولة منه فقد ظلمه. وهذا مؤشر سلبي خطير ينذر بحلول عقاب على فاعله عاجلاً أو آجلاً كما يفيده قوله ﷺ: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» رواه مسلم.

ولا يجوز للموظف الحكومي أن يضيف شيئاً من عنده على ما تقرره الحكومة وتلزم المواطن به مصداقاً للحديث الشريف:

قال ﷺ لمعاذ حين وجهه والياً إلى اليمن: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلِمهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم! واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» متفق عليه. والإضافة السلبية من الموظف قد تكون صريحة؛ كأن يطالب لنفسه قدراً من المصلحة معيناً، مادية كانت أو معنوية، وقد يجبرُ - بسوء أخلاقه - المتعاملين معه من الشعب على الدفع الظالم، وذلك حل يلجأ إليه المواطن اتقاء لشر الموظف أو تخليصاً للمعاملة المحبوسة بالمماطلة. فإن هذا الخلق من صاحبه يدخل ضمن قائمة الفساد الإداري، وقد دعا رسول الله ﷺ على كل إنسان سبب مشقة للناس حيث قال: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم؛ فاشقق عليه، ومن ولي من أمرهم شيئاً فرفق بهم؛ فارفق به».

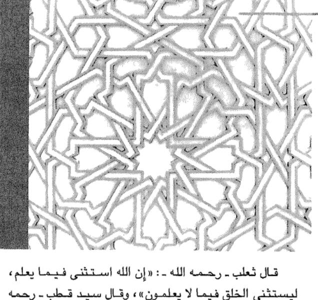
إن صلاح الموظف معناه تحلِّيه بالأخلاق الحميدة التي بموجبها يقوم بحق الدولة على وجهه ويراعي حق الأمة على وجهه كذلك، موفقاً بين واجبيه، أداءً للأمانة ووفاءً بالعهد، ويفعل ذلك بكل إخلاص وحرص واجتهاد وإجادة وإتقان. ومن بين مجموعة موظفي الدولة المتحلين بهذه الأخلاق الحميدة يتكون الجهاز الإداري الصالح الذي يثمر الصلاح الإداري، وبه تتم التنمية الوطنية.



إن شاء الله

أدب مع الله

متعب العصيمي



إن الأدب أياً كان نوعه ـ قولاً أو فعلاً ـ خُلُق عظيم، ووصف نبيل، يعلو كلما علا شأن المتأدب معه، ويزداد علواً وعزاً وشرفاً إذا كان مع الله ـ عزّ وجل ـ وهو أحق من يُتَأدَّبُ معه. والحديث عن «الأدب مع الله» حديث يشرح الصدر، ويهذب النفس ويزكيها، ويسمو بها إلى معالي الأمور؛ فلقد كان أكثر الناس وأكملهم أدباً مع ربهم هم الأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كيف لا، وهم أكرم الخلق وأتقاهم لله؟!

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

بل حثّنا ـ سبحانه وتعالى ـ على الاقتداء به ﷺ في هذا الخلق العظيم، في أقواله وأعماله وعبادته لربه، فقال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

فمن الأدب مع الله ـ عزّ وجل ـ قولك: (إن شاء الله) عندما تخبر عن أمر تنوي فعله مستقبلاً؛ عملاً بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ...﴾ [الكهف: ٢٣ ـ ٢٤].

يقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ: «فنهى الله أن يقول العبد في الأمور المستقبلية: (إني فاعل ذلك غداً) من دون أن يقرنه بمشيئة الله، وذلك لما فيه من المحذور وهو الكلام على الغيوب المستقبلية، التي لا يدري العبد هل يفعلها أم لا؟ وفيه رد الفعل إلى مشيئة العبد استقلالاً وذلك محذور ومحظور؛ لأن المشيئة كلها لله، ولما في ذكر مشيئة الله من تيسير الأمور وحصول البركة فيها».

ومما يدل على أهمية هذا الأدب وعلو شأنه هو أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد استثنى في كلامه فقال: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ﴾ [الفتح: ٢٧].

قال ثعلب ـ رحمه الله ـ: «إن الله استثنى فيما يعلم، ليستثني الخلق فيما لا يعلمون»، وقال سيد قطب ـ رحمه الله ـ: «ولكن الله ـ سبحانه ـ يؤدِّب المؤمنين بأدب الإيمان؛ فالدخول واقع حتم؛ لأن الله أخبر به... إنه أدب يلقيه الله في رُوع المؤمنين ليستقر منهم في أعماق الضمير والشعور»[1].

وقيل: إن الحكمة من استثناء الله ـ عزّ وجل ـ هو أنه ـ سبحانه ـ علم أنه يموت بعض الذين كانوا مع النبي ﷺ في الحديبية.

ومما يدل على أهمية الاستثناء في تيسير الأمور وحصول مراد العبد منها ما ذكره الله لنا حكايةً عن بني إسرائيل لما طلب منهم موسى ـ عليه السلام ـ أن يذبحوا بقرة امتثالاً لأمر الله ـ عزّ وجل ـ فإنهم لو لم يستثنوا لم يهتدوا إليها.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٧٠].

ومن نماذج الأدب مع الله في الاستثناء في أقوال أنبيائه وعباده الصالحين، قول إسماعيل ـ عليه السلام ـ لأبيه عندما عرض عليه أمر ذبحه: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

قال سيد قطب ـ رحمه الله ـ: «ثم الأدب مع الله ومعرفة حدود قدرته، وطاقته في الاحتمال، والاستعانة بربه على

(١) «في ظلال القرآن» لسيد قطب، (٦، ٣٣٣٠).

ضعفه، ونسبة الفضل إليه في إعانته على التضحية ومساعدته على الطاعة، ولم يأخذها شجاعة ولم يأخذها بطولة، ولم يأخذها اندفاعاً إلى الخطر دون مبالاة، ولم يُظهر لنفسه ظلاً ولا حجماً، وإنما أرجع الفضل كله لله إن هو أعانه على ما يطلب إليه، وأصبره على ما يراد به؛ فيا للأدب مع الله! ويا لروعة الإيمان! ويا لنبل الطاعة! ويا لعظمة التسليم!»[1].

وقال أهل العلم: «إن إسماعيل - عليه السلام - لما استثنى وفّقه الله للصبر». ومن أمثلة الأدب في الاستثناء قول موسى - عليه السلام - للخضر: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩].

فموسى - عليه السلام - عزم على الصبر مع الخضر، وعلّق ذلك بمشية الله قبل أن يرى المتحَن به، والعزم على فعل الشيء ليس بمنزلة فعله ولا حصوله، فهو لم يدّعِ حصوله في نفسه قبل أن يرى ما الذي سيمتحن به، ولذا فإن موسى لما رأى ذلك الممتحَن العظيم لم يصبر على ذلك، فهو لم يخرج على مشيئة الله له.

ومن نماذج الأدب مع الله في الاستثناء أيضاً قول يوسف - عليه السلام -: ﴿إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩]، وذلك لما رأى أبويه وإخوته قد دخلوا عليه في ملكه آمنين بأمن الله. قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩].

ومن النماذج التي تأدّب فيها الصالحون مع ربهم في الاستثناء قول صاحب مدين (الشيخ الكبير)[2] لموسى - عليه السلام - بعدما عرض عليه أن يكون أجيراً عنده كما في قوله - تعالى -: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧].

قال سيد قطب - رحمه الله -: «وهو أدب جميل في التحدث عن النفس وفي جانب الله، فهو لا يزكّي نفسه، ولا يجزم بأنه من الصالحين، ولكن يرجو أن يكون كذلك، ويَكِلُ الأمر في هذا لمشيئة الله»[3].

إن مشيئة الله نافذة مطلقة ومثبتة، ومشيئة العبد تابعة تحت مشيئة الله، ولن تنفذ مشيئة العبد إلا بمشيئة الله. قال - تعالى -: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

قال السعدي - رحمه الله -: «فإن مشيئة الله نافذة عامة لا يخرج عنها حادث قليل ولا كثير؛ ففيها رد على القدرية الذين لا يُدخِلون أفعال العبد تحت مشيئة الله، والجبرية الذين يزعمون أنه ليس للعبد مشيئة ولا فعل حقيقة، وإنما مجبور على أفعاله، فأثبت الله للعبد مشيئة حقيقةً وفعلاً، وجعل ذلك تابعاً لمشيئته»[4].

فلما كان هذا الأدب مع الله يجلب الخير للعبد من تيسير أموره، وعدم تأخرها، وحصول البركة فيها، فإنّ تَرْكَه[5] نسياناً قد يتسبب في تأخير ما تنوي فعله مستقبلاً، وهذا ما حصل للنبي ﷺ حينما سأله اليهود عن خبر الفتية، فقال: أخبركم غداً. ولم يقل: إن شاء الله، فاحتبس الوحي عنه حتى شق عليه، فأنزل الله هذه الآية يأمره بالاستثناء في مثل هذا، ولو نسيه فإنه يستثني عندما يذكره.

قال الله - تعالى -: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ...﴾ [الكهف: ٢٣ - ٢٤].

قال الشوكاني - رحمه الله -: «أي إذا نسيت الاستثناء فقل: إن شاء الله. سواء كانت المدة قليلة أو كثيرة»[6].

وقد يكون في تركه نسياناً عدم تحقيق الفعل، أو لا يتم له حصول الفائدة منه، ومثل هذا حدث لنبي الله سليمان - عليه السلام - عندما ترك الاستثناء ومضى في فعله.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «قال سليمان بن داود: لأطوفنّ الليلة على سبعين امرأة - وفي رواية: تسعين - تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله، فقال الملك: قل: إن شاء الله. فلم يقل: إن شاء الله. فطاف عليهنّ فلم يلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان، قال ﷺ: والذي نفسي بيده لو قال: إن شاء الله لم يحنث، وكان دركاً لحاجته» رواه البخاري ومسلم.

فالواجب على من عزم أن يفعل أمراً مستقبلاً أن يقول: إن شاء الله، قبل أن يُقدِم على ذلك، تأدباً مع الله، وامتثالاً لأمره، واقتداء بأنبيائه وعباده الصالحين.

سدّد الله الخطى، وبارك في الجهود، وهدى إلى الصواب من القول والعلم والعمل.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) «في ظلال القرآن» لسيد قطب، (٦، ٢٩٩٥).

(٢) اشتهر عند كثير من الناس ان المقصود بهذا الرجل هو النبي شعيب - عليه السلام - والصواب ما اثبته العلامة المحقق الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره لهذه الآية أنه ليس بشعيب النبي، فليرجع للفائدة.

(٣) «في ظلال القرآن» لسيد قطب، (٥/ ٢٦٨٨).

(٤) «تيسير الرحمن» لعبد الرحمن السعدي، (٨٣١).

(٥) هناك موطن يجب ترك الاستثناء فيه وهو الدعاء، فيجب على المسلم أن يعزم المسألة ولا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت. ومن أسرار (إن شاء الله) أنك إذا أقسمت على فعل شيء فقلت: إن شاء الله، ولم تفعل فلا كفارة عليك، وأما قول ابن تيمية: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً، فهذا ليس منافياً للاستثناء؛ لأنه من باب الإقسام على الله، وسؤاله أن يحقق له النصر على الأعداء.

(٦) «فتح القدير» للشوكاني، (٣/٣٤٥).



الإفـراط فـي النشـيد

د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف(*)

ـ يُحكى أن مغنياً عزم على التوبة، فقيل له: عليك بصحبة الصوفية! فإنهم يعملون على إرادة الآخرة، والزهد في الدنيا، فصحبهم، فصاروا يستعملونه في السماع والإنشاد، ولا تكاد التوبة تنتهي إليه لتزاحمهم عليه، فترك ذاك المغني صحبتهم، وقال: أنا كنتُ تائباً ولا أدري[1].

هذه واقعة سطّرها يراع ابن القيم ـ رحمه الله ـ، وهي تذكّرنا بالإغراق والمبالغة في النشيد هذه الأيام، والذي استحوذ على فئام من أهل النشيد، حتى أفضى الأمر عند بعضهم إلى محاكاة الغناء الماجن.

فصاحَب بعض الإنشاد التكسّرُ والتأوه في الإلقاء، ومشابهة لحون الغناء المتهتك، واعتناء بعض المنشدين بجمال الصورة، وتنميق المظهر، وحلق شعر الوجه؛ بل أفضى الأمر إلى استعمال المعازف في ذاك النشيد المتفلت، ويضاف إلى ذلك تقنيات الصوت ومؤثراته، والتي جعلت الأسماع لا تكاد تميّز بين غناء المجون وهذا النشيد.

وقد ألمح ابن الجوزي إلى ذلك وحذّر من مغبة هذا الصنيع فقال: «ولما يئس إبليس، أن يسمع من المتعبدين شيئاً من الأصوات المحرمة كالعود، نظر إلى المعنى الحاصل بالعود، فدرجه في ضمن الغناء بغير العود وحسّنه لهم، وإنما مراده التدريج من شيء إلى شيء. والفقيه من نظر في الأسباب والنتائج، وتأمّل المقاصد»[2].

ـ والانهماك في كثير من هذه الأناشيد يورث عاطفة وانفعالاً عند بعض الناس، لكن دون بصيرة أو فقه، فهو يحرّك المشاعر، ويؤجج العواطف. وقد استحوذ على الصوفية سماع القصائد فقلّ علمهم وعزّ فقههم، حتى قال سفيان الثوري: «أعزّ الخلق خمسة أنفس ـ وذكر منهم ـ: فقيه صوفي»[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا غلب على منحرفة المتصوفة الاعتياض بسماع القصائد عن سماع القرآن، فإنه يعطيهم حركة حبٍّ من غير أن يكون ذلك تابعاً لعلم وتصديق.. وله تأثير من جهة التحريك والإزعاج لا من جهة العلم»[4].

(*) أستاذ مشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض.

(١) انظر: الكلام على مسألة السماع، ص (٣٤٢).

(٢) تلبيس إبليس، ص (٢٤٩).

(٣) مدارج السالكين (٢/٣٣٠).

(٤) مجموع الفتاوى (٢/٤٢).

فالأجيال العاكفة على سماع النشيد لا تنال بذلك فقهاً، ولا تحقق علماً بدين الله - تعالى -، وإنما هو ترنّم وتواجد، وانفعال عاطفي.

- والولع بسماع النشيد يزهّد في سماع القرآن العظيم، «ولذا تجد مَنْ أكثر مِنْ سماع القصائد لطلب صلاح قلبه تنقص رغبته في سماع القرآن، حتى ربما كرهه»[1].

وقد قال الإمام الشافعي: «خلّفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير[2]، يصدون به الناس عن القرآن»[3].

قال ابن تيمية - معلقاً على كلام الشافعي -: «وهذا من كمال معرفة الشافعي وعلمه بالدين، فإن القلب إذا تعوّد سماع القصائد والأبيات والتذّ بها، حصل له نفور عن سماع القرآن والآيات، فيستغني بسماع الشيطان عن سماع الرحمن»[4].

ويقول - في موطن آخر -: « فإن السكر بالأصوات المطربة قد يصير من جنس السكر بالأشربة المسكرة، فيصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة، ويمنع قلوبهم حلاوة القرآن، وفهم معانيه، واتباعه، فيصيرون مضارعين للذين يشترون لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله...»[5].

فالقلوب أوعية، فإن كان الوعاء مملوءاً بحبّ القصائد والأناشيد، فأين يقع حبّ القرآن وذكر الله - تعالى - في ذلك الوعاء؟!

وقال ابن الجوزي - في نقده الصوفية -: «وقد نشب حبّ السماع بقلوب خلق منهم، فآثروه على قراءة القرآن، ورقت قلوبهم عنده مما لا ترق عند القرآن، وما ذاك إلا لتمكن هوى باطن تمكن منه، وغلبة طبع...»[6].

- إن النشيد المنضبط بالضوابط الشرعية بديل محمود عن الأغاني الماجنة، لكن إذا وضع بتوازن في موضعه الصحيح، أما إذا أردنا أن نعرف الحكم الشرعي في ذلك النشيد المتفلت، فعلينا أن ننظر إلى مآلاته وعواقبه، وقد حرر شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيّم قاعدة في ذلك، وأعملاها على السماع المحدث، فكان مما قاله ابن القيم:

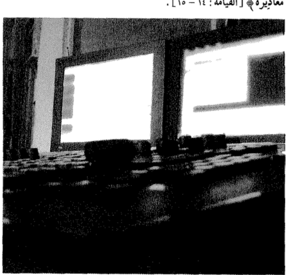
«إذا أشكل على الناظر أو السالك حكم شيء: هل هو الإباحة أو التحريم؟ فلينظر إلى مفسدته وثمرته وغايته، فإن كان مشتملاً على مفسدة راجحة ظاهرة، فإنه يستحيل على الشارع الأمر به أو إباحته، بل العلم بتحريمه من شرعه قطعي. ولا سيما إذا كان طريقاً مفضياً إلى ما يغضب الله ورسوله ﷺ موصلاً إليه.

فكيف يظن بالحكيم الخبير أن يحرم مثل رأس الإبرة من المسكر؛ لأنه يسوق النفس إلى السكر الذي يسوقها إلى المحرمات، ثم يبيح ما هو أعظم منه سَوْقاً للنفوس إلى الحرام بكثير؟...» - إلى أن قال -: « ... والذي شاهدناه - نحن وغيرنا - وعرفناه بالتجارب أن ما ظهرت المعازف وآلات اللهو في قوم، وفشت فيهم، واشتغلوا بها؛ إلا سلط الله عليهم العدو، وبُلوا بالقحط والجدب وولاة السوء. والعاقل يتأمل أحوال العالم وينظر، والله المستعان»[7].

- هذا النشيد المتهتك أنموذج من الترخص المتفلت في واقعنا الحاضر، فقد ظهرت في الآونة الأخيرة توجهات ومؤلفات في التفلت عن ضوابط الشرع، والتواثب على حرمات - الله عز وجل - مثل: حلق اللحية، وإباحة سماع الغناء، والتوسع في أنواع من المناكح والمكاسب والمطعومات دون التحقق من أحكام الشرع.

إضافة إلى ما هو أطم من ذلك كالتساهل في وسائل الشرك وذرائعه، وتهوين عقيدة الولاء والبراء، وغير ذلك.

وهذا الواقع يوجب على العلماء والدعاة أن يربّوا الأمة على أخذ الدين بقوة، والدعوة إلى التمسك بالسُّنة والعض عليها بالنواجذ، والحذر من تتبع الرخص والحيل المحرمة والأقوال الشاذة، وإحياء واعظ الله في قلوب أهل الإسلام، والتذكير بالوقوف بين يدي الجبار جل جلاله، الذي يعلم السر وأخفى، قال - عزَّ وجلَّ -: ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ [القيامة: ١٤ - ١٥].



(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٤٨٤).

(٢) التغبير: هو الضرب بالقضيب، وهو آلة من الآلات التي تقرن بتلحين الغناء، انظر: الاستقامة (١/٣٨).

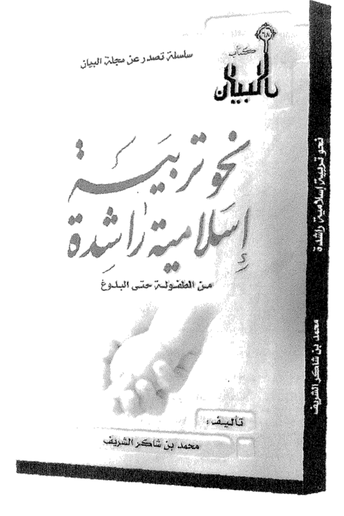
(٣) أخرجه ابن الجوزي في تلبيس إبليس، ص (٢٥٧).

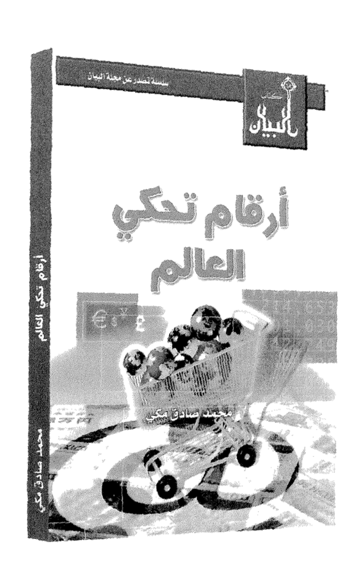
(٤) مجموع الفتاوى (١٠/٥٣٢)، وانظر: الاستقامة (١/٢٣٨).

(٥) مجموع الفتاوى (١٠/٤٣).

(٦) تلبيس إبليس، ص (٢٧٦).

(٧) مدارج السالكين: (١/٤٩٦، ٤٩٧، ٥٠٠)، وانظر: مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية (٢/٣٠٨).





:: الآن في الأسواق ::